قال الله تعالى
وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون

كتاب التوابين

تأليف

الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي
ولد سنة ٥٤١ هـ وتوفي سنة ٦٢٠ هـ
رحمه الله تعالى

حقق نصوصه وعلق عليه
عبد القادر الأرناؤوط

دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
بيروت - لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
هاتف : ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة المحقّق

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد : فهذا « كتاب التوابين » - للإمام الفقيه الزاهد شيخ الاسلام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي نقدّمه للناس في وقت أحوج ما نكون فيه إلى التوبة من الذنوب بالرجوع إلى الله تعالى ستار العيوب وغفار الذنوب ، فإن التوبة مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول إقدام المريدين ، ومفتاح استقامة المائلين -

استعرض فيه المؤلف أخبار التائبين ، وقصص المنيبين ممن كانوا في مختلف العصور القديمة والحديثة ، من عهد آدم عليه السلام إلى أوائل القرن السابع الهجري الذي كان فيه المؤلف رحمه الله .

وافتتحه بذكر توبة الملائكة عليهم السلام - ومرد قصة هاروت وماروت على أنهما ملكان - ثم ذكر توبة بعض الأنبياء والمرسلين الذين

ورد ذكر توبتهم في كتاب ربنا التواب الرحيم ، وسنة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، كما ذكر توبة بعض ملوك الأمم الماضية والقرون الخالية وبعض أتباع الأنبياء المتقدمين ، من بني اسرائيل قبل البعثة المحمدية ، ثم من تاب من أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وغير واحد من ملوك هذه الأمة وسلاطينها وأمرائها حتى زمنه ، ممن تاب عن اعتقاد فاسد ، أو مذهب غير صحيح، أوأقلع عن الوقيعة في الناس ، وشرب الخمر ، وارتكاب الفواحش ، وعمل السحر ، والتأنث والتخنث ، والزنا ، وغير ذلك مما يجري في كل عصر ومصر وزمان ومكان .

وختم الكتاب بأخبار بعض أهل الكتاب الذين اعتنقوا الاسلام وآمنوا بدعوة محمد عليه الصلاة والسلام .وقد استمد رحمه الله أخبار كتابه هذا مما قصه الله تعالى علينا في كتابه المبين ، ومما تحدث به نبينا الكريم ، مما هو مدون في الصحاح والسنن والمسانيد ، كما اعتمد بعض الكتب التي تعنى بالرقائق والوعظ ، مثل مصنفات الحافظ ابن أبي الدنيا المتوفى سنة (٢٨١هـ) و«تنبيه الغافلين» للإمام أبي الليث السمرقندي المتوفى سنة (٣٧٣ هـ) و « ملتقط الحكايات » للإمام ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٧٩ هـ) وما سمعه من أستاذه المشهود له بالفضل والعلم والمعرفة الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة (٥٦١ هـ) فكان هذا الكتاب أوفى وأوسع وأجمع من الكتب التي سبقته في موضوعه .

وغير خاف أن طريقة العرض التي اختارها المؤلف لسرد الأخبار في كتابه هذا مشوقة محببة ، تحكيها صورة جذابة ، وتشرحها جمل سهلة مألوفة ، يجني القارىء منها العبرة والفائدة في لطف ويسر واشتياق .

ولا شك أن مطالعته بحرارة وشوق توقظ في الانسان التقوى التي

تحمله على التقرب من الله وحده بما يقوم به من انسلاخ عن الرذائل وبعد عن أسبابها ، ومن تحل بالفضائل والتماس أسبابها وميسراتها ، جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . (ربنا إننا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) .

الباعث على طبع الكتاب :

لقد عثرت أثناء مطالعاتي في دار الكتب الظاهرية على مخطوطة جيدة لكتاب التوابين ، ونظرت في قسم المطبوعات ، فوجدته قد طبع سنة (١٩٦١ م) باشراف المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، وبتحقيق الاستاذ جورج المقدسي ، فأخذت أقلّب صفحاته ، وأقرأ بعض فصوله ، فأثار إعجابي ، وملك عليّ مشاعري، وترك في نفسي أثراً طيباً ، وقدّرت في نفسي أنني أستطيع أن أقتني منه نسخة مطبوعة ، لكنني فوجئت بما لم أكن أتوقعه حينما طلب مني صاحب المكتبة ثمنه (٤٠) ليرة سورية ، وأيقنت أن الانتفاع به محصور في نفر قليل من الناس لا يتجاوزون عدّ الأصابع من ذوي اليسار والجدة ، فنشأت عندي رغبة في تحقيقه ونشره بثمن ميسّر ليعم نفعه ويكون في متناول كل الطبقات ، سيما وأن بعض أهل العلم ممن له اطلاع ومعرفة شجعني على ذلك ، ومن ثم صوّرت النسختين الموجودتين في دار الكتب الظاهرية ، وشرعت في تحقيقه بعد الاتفاق مع صاحب دار البيان السيد بشير عيون ، الذي أبدى استعداده ورغبته ، وقدّم كافة التسهيلات الميسّرة لاخراجه ، فجزاه الله تعالى كل خير ، وسدد خطاه ، وشكر مسعاه .

وصف النسخ التي اعتمدنا في الطبع :

لقد اعتمدنا في طبع هذا الكتاب على نسختين خطيتين في دار الكتب الظاهرية العامرة بدمشق الشام المحروسة .

النسخة الأولى تحت رقم عام (٥٦٠٣) وعدد صفحاتها (٢٧٥) صفحة ، في كل صفحة (١٥) سطراً ، في كل سطر (١٠) كلمات تقريباً ، مقياس ٢٤×١٦سم ، خطها حسن مقروء واضح ، وهي موشحة ببعض التصحيحات والتصويبات ، كتبت سنة (٧٣٧ هـ) ، قابلها بعض علماء الشام على نسخة خطية كانت في جامع الحنابلة في قرية دوما ، وقد كتب في آخرها ما نصه :

الحمد لله ، بلغ مقابلة على نسخة مرقومة في يوم الثلاثاء رابع جمادى الأولى سنة (٧٩٥ هـ) وهي من أوقاف الشيخ أبي عثمان الحنبلي في جامع الحنابلة في قرية دوما في حجرة الشيخ المذكور رحمه الله ، وكانت المقابلة في دار الشيخ توفيق الأيوبي بمساعدة الشيخ فيض الله الأفغاني ، في ذي القعدة سنة (١٣١٦ هـ) والحمد لله رب العالمين ، وكتب محمد ابن محمد المبارك الحسني الجزائري الشاذلي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ، آمين آمين .

وقد رمزنا لها بـ « أ » .

النسخة الثانية تحت رقم عام (٥٦٣٢) وعدد ورقاتها (١٣٠) ورقة ، في كل صفحة منها (١٥) سطراً في كل سطر (١٢) كلمة تقريباً ، مقياس ٢٦×١٧ سم ، خطها مقروء حسن ، ومشكول في بعض المواطن ، وهي فيما يظهر أقدم من الأولى ، ولكنها ناقصة الصفحة الأولى والأخيرة وبعض صفحات متفرقات ، وقد تم هذا النقص من النسخة الأولى بخط حديث ، وكتب في آخرها : كانت هذه النسخة ناقصة (٧) ورقات فأتممناها من نسخة كتبت في الأحد رابع شهر رمضان المبارك سنة (٧٣٧ هـ) وعلى هذه النسخة أيضاً تصحيحات وتعليقات بخطوط متنوعة يستدل منها على أنها مقابلة على غيرها من النسخ ، ولعلها قوبلت

على نسخة المؤلف ، لأن ناسخها يقول في بعض المواطن عند تتمة أجزائها : من أصل مؤلفه وحده لا غير ، وفي مكان آخر : آخر الجزء الخامس من أصل المؤلف . وعلى كلٍ فهي نسخة لا بأس بها ، ولكن لدى التحقيق تبين أن النسخة الأولى أجود وأصح على الجملة .

وقد رمزنا لهذه النسخة بـ « ب » .

هذا وقد ذكر الأستاذ جورج المقدسي الذي عني بتحقيق هذا الكتاب ونشره لأول مرة في مقدمته الطويلة باللغة الفرنسية أن لكتاب التوابين ثلاث عشرة نسخة خطية في العالم ، وقد أتى على وصفها جميعها ، واعتمد على ثلاث نسخ منها ، وهو مشكور على ما أنفق من جهد في نشر هذا الكتاب لأول مرة ، وقد استفدنا منه بعض الشيء في المقابلة ، إلا أننا عثرنا على تحريفات وأخطاء أشرنا إلى بعضها في مواضعها من طبعتنا هذه ، والخطأ والعثار لا ينجو منهما إنسان .

عملنا في الكتاب :

لقد قابلنا النسخ الخطية في دار الكتب الظاهرية على بعضها ، وعلى مطبوعة المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، وأثبتنا ما كان منها صواباً ، وأشرنا في التعليق إلى ذلك غالبا ، وضبطنا النص ، وفصلناه ، ورقمنا آياته ، وخرجنا أحاديثه ، وذكرنا بعض الفوائد المستنبطة منه ، وعلقنا على بعض القصص التي لا تتفق وما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وأثبتنا في مطلع كل قصة عنواناً يناسبها ، وشرحنا بعض الكلمات الغريبة ، وترجمنا بإيجاز لبعض الأعلام والبلدان ، ونرجو الله تعالى أن نكون قد وفقنا إلى إخراج هذا الكتاب إخراجاً صحيحاً يقع موقع القبول والرضى من كافة القراء الكرام . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق الخميس ١٤ صفر ١٣٨٩هـ
١ أيار ١٩٦٩م

عبد القادر الأرناؤوط

ترجمة المؤلف

هو الإمام الفقيه الزاهد شيخ الإسلام أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي .

ولد في شعبان سنة (٥٤١ هـ) ببلدة جماعيل من أعمال نابلس قرب بيت المقدس من أرض فلسطين المقدسة ، وكان الصليبيون في ذلك الوقت قد استولوا على بيت المقدس وما حوله من البقاع ، فهاجر والده أبو العباس أحمد بن محمد بن قدامة - رئيس هذا البيت المبارك وهذه الشجرة الطيبة - بأسرته إلى دمشق مع ابنيه أبي عمر ، وموفق الدين ، وابن خالتهما عبد الغني المقدسي ، حوالي سنة (٥٥١ هـ) - وللحافظ ضياء الدين المقدسي كتاب في سبب هجرة المقادسة إلى دمشق - فنزلوا في مسجد أبي صالح بدمشق ظاهر الباب الشرقي ، ثم انتقلت الأسرة بعد سنتين من مسجد أبي صالح إلى جبل قاسيون في صالحية دمشق ، وفي خلال هذه المدة كان الموفق يحفظ القرآن ويتلقى مبادىء علومه على أبيه أبي العباس (وهو من أهل العلم والفضل والصلاح والزهد) ثم تتلمذ على شيوخ دمشق وعلمائها وحفظ « مختصر الخرقي » في الفقه ، وغيره من الكتب ، وما زال يتقدم حتى بلغ العشرين من عمره ، فقام برحلة إلى بغداد يصحبه ابن خالته عبد الغني المقدسي ، وكانا في سنٍّ واحدة ، فأقام الموفق في بداية أمره مدة يسيرة عند الشيخ عبد القادر الجيلاني ببغداد ، وكان الشيخ في التسعين من عمره ، فقرأ عليه «مختصر الخرقي»

قراءة فهم وتدقيق ، لانه كان يحفظه في دمشق ، ثم توفي الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله ، فلازم الشيخ ناصح الإسلام أبا الفتح ابن المنّي، وقرأ عليه المذهب والخلاف ، ولبث في بغداد أربع سنين ، وسمع بها أيضاً من هبة الله بن الدقاق وغيره ، ثم رجع إلى دمشق فأقام في أهله مدة وعاد إلى بغداد سنة (٥٦٧ هـ) فأمضى سنة أخرى سمع فيها من أبي الفتح ابن المني ، ورجع إلى دمشق ، ثم قام بأداء فريضه الحج سنة (٥٧٤ هـ) ثم عاد إلى دمشق وبدأ يصنف كتابه « المغني » شرح «مختصر الخرقي » في الفقه ، وهو من أعظم الكتب المؤلفة في الفقه الإسلامي عامة ، وفي فقه مذهب الإمام أحمد خاصة ، ولقد قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام فيه : لم تطب لي الفتيا حتى كانت عندي نسخة من « المغني » .

وكان طلبة العلم يتلقون عليه الدروس في الحديث والفقه وغير ذلك من العلوم ، وقد تفقه عليه خلق كثير ، منهم ابن أخيه قاضي القضاة شمس الدين بن أبي عمر وطبقته .

وكان إلى ذلك يواصل التأليف والتصنيف في أنواع شتى من الفنون، لا سيا الفقه الذي حذقه وصنف فيه العديد من الكتب التي تشهد بعلوّ كعبه فيه ، حتى أصبح علماً يشار إليه بالبنان ، وتتحدث بفضائله ومناقبه وعلومه الركبان .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الموفق .

وقال ابن الصلاح : ما رأيت مثل الموفق .

وقال سبط بن الجوزي : من رأى الموفق فكأنما رأى بعض الصحابة وكأن النور يخرج من وجهه .

وكان إماماً في فنون كثيرة ، ولم يكن في زمانه بعد أخيه أبي عمرو العماد أزهد ولا أورع ولا أعلم منه ، وكان كثير الحياء ، عزوفاً عن الدنيا وأهلها ، هيناً ، ليناً ، متواضعاً ، محباً للمساكين ، حسن الأخلاق ، جواداً ، سخياً ، وكان كثير العبادة ، غزير الفضل ، ثابت الذهن ، شديد التثبت في علمه ، دائم السكون ، قليل الكلام ، كثير العمل ، يستأنس الإنسان برؤيته قبل كلامه . ومناقبه كثيرة .

وقد ألف الحافظ ضياء الدين المقدسي في سيرته كتاباً ، وكذلك الحافظ الذهبي ولم يقتصر أمره ـ رحمه الله ـ على العلم والتقوى ، بل كان مجاهداً في سبيل الله مع البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي ، الذي جند المسلمين سنة (٥٨٣ هـ) لقمع الصليبيين وتطهير الأرض المقدسة من رجسهم فقد ذكر من ترجم له أنه هو وأخوه أبو عمر وتلاميذهما وبعض أفراد أسرتهما كانوا تحت هذه الألوية المظفرة ، وكان لهما ولتلاميذهما خيمة يتنقلون بها مع المجاهدين في سبيل الله حيثما حلوا .

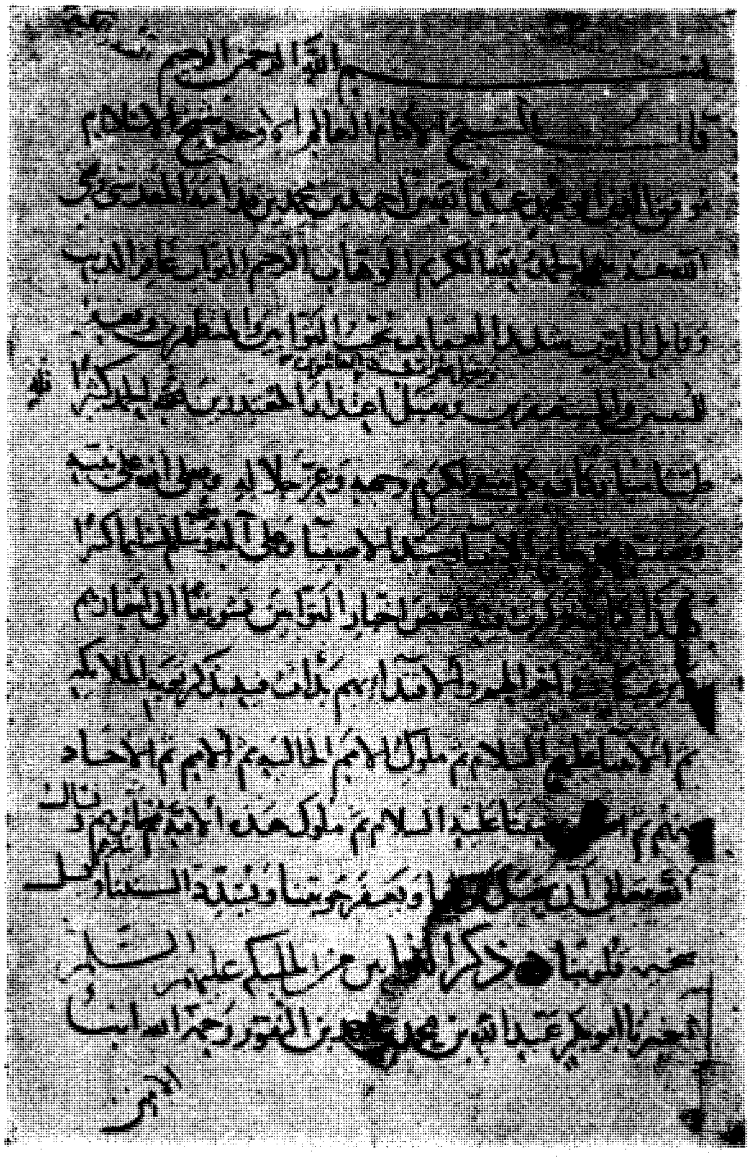
وقد ترك رحمه الله من المصنفات المفيدة والمؤلفات النافعة في الفقه وغيره ، الشيء الكثير .

ففي الفقه : « العمدة » للمبتدئين ، « والمقنع » للمتوسطين ، والكافي » ذكر فيه من الأدلة ما يتوصل الطلبة للعمل بالدليل ، « والمغني » شرح « مختصر الخرقي » ذكر فيه مذاهب العلماء والأدلة ليعلم من كان عنده أهلية طرق الاجتهاد ، و « روضة الناظر » في في أصول الفقه ، « ومختصر في غريب الحديث » ، و«البرهان في مسألة القرآن » ، « والقدر » و « فضائل الصحابة » و « والمتحابين في الله » و « الرقة والبكاء » . و « ذم الموسوسين » و « ذم التأويل» « والتبيين

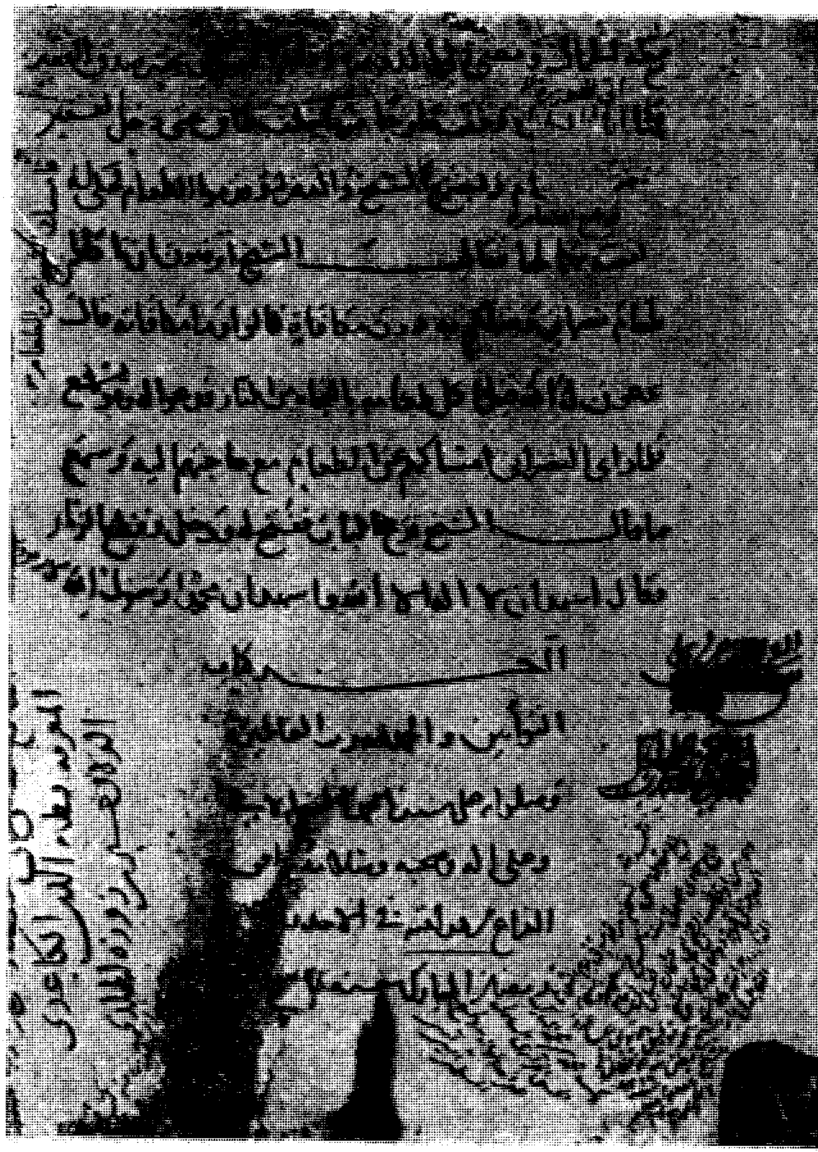
في نسب القرشيين » و « مناسك الحج » و « لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد » وغيرها .

توفي رحمه الله يوم السبت يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠ هـ ودفن في سفح جبل قاسيون في صالحية دمشق فوق جامع الحنابلة .

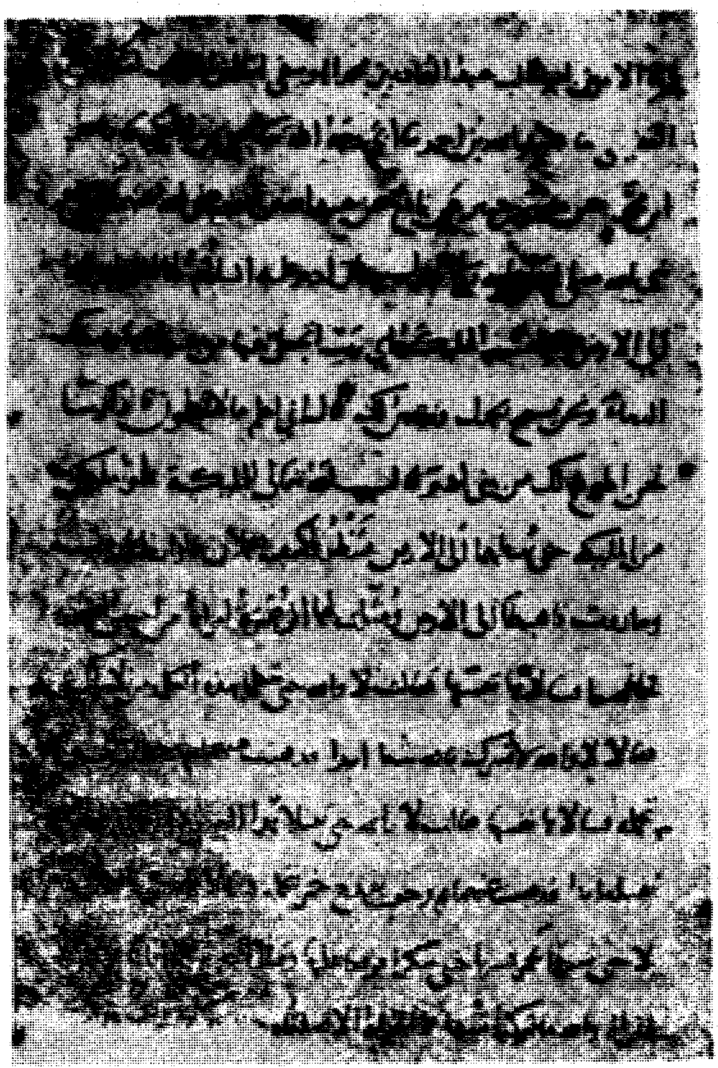
* * *



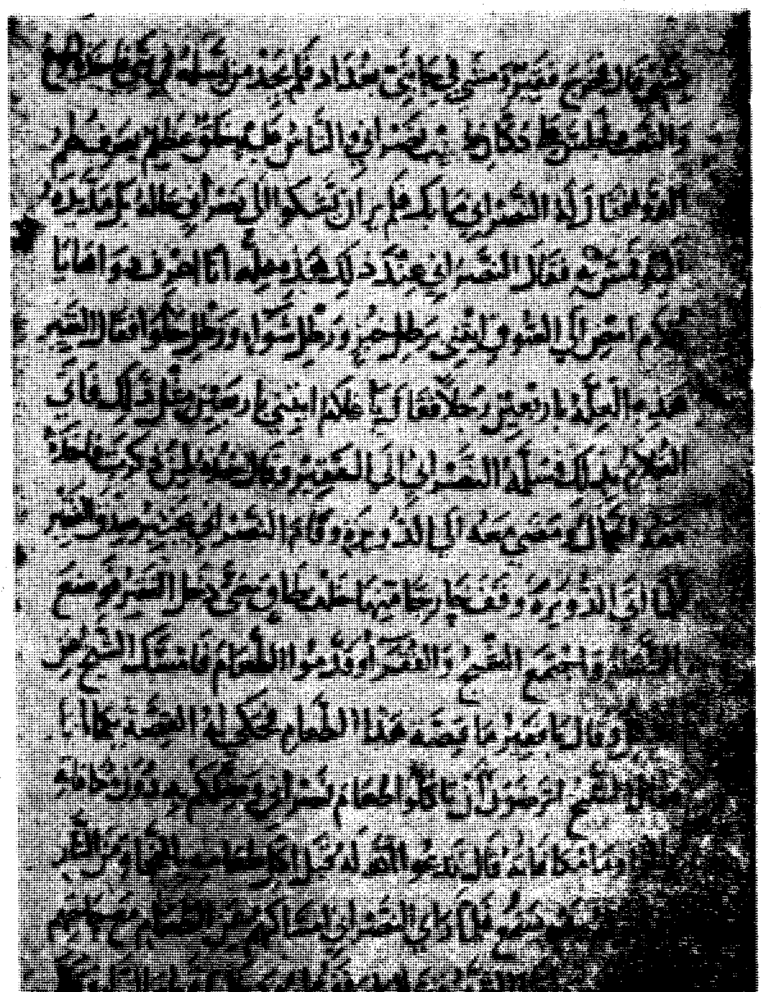
راموز الصفحة الأولى من النسخة « أ »



راموز الصفحة الأخيرة من النسخة « أ »



راموز الصفحة الثانية من النسخة « ب »



راموز الصفحة الأخيرة من النسخة « ب »

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

قال الشيخ الامام العالم الأوحد (*) الصدر الكبير ، شيخ الاسلام موفق الدين ، أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، رضي الله عنه :

الحمد لله الكريم الوهّاب ، الرحيم التوّاب ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، يحبّ التوّابين والمتطهّرين، ويغفر للمنيبين [1] والمستغفرين ، ويقيل عثرات العاثرين [2] ويقبل اعتذار المعتذرين ، فله الحمد كثيراً طيّباً مباركاً فيه ، كما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله .

(*) هذه الألقاب ليست من كلام المؤلف ، وإنما هي من الناسخ أو من أحد تلامذة المؤلف . والمراد بالأوحد : إما الأوحد في زمانه المقدم على غيره من العلماء ، أو الأوحد في البلد الذي وجد فيه ، أو الأوحد ممن عرفهم كاتب هذه الألقاب، وذلك أمر اعتباري .

(١) أي التائبين ، من أناب الى الله : إذا تاب اليه .

(٢) يقال : أقال الله عثرته ، بمعنى الصفح عنه ، أي يصفح عن زلات الناس إذا تابوا اليه .

وصلى الله على نبيّه وصفيّه محمّد خاتم الأنبياء وسيّد الأصفياء، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

هذا كتاب، ذكرت فيه بعضَ أخبار التوّابين تشويقاً إلى أخبارهم وترغيباً في أحوالهم، والاقتداء بهم.

بدأتُ فيه بذكر توبة الملائكة، ثم الأنبياءِ عليهم السلام، ثمّ ملوكِ الأمم الخالية، ثمّ الأمم، ثمّ الآحادِ منهم، ثمّ أصحاب نبيّنا عليه الصلاة والسلام، ثمّ ملوك هذه الأمّة، ثمّ سائرهم.

ونسأل الله تعالى أن يَقْبَلَ توبتنا، ويغفر حَوْبَتَنَا[1] ويسدّدَ ألسنتنا، ويَسُلَّ سخيمةَ قلوبنا[2].

(١) الحَوب بفتح الحاء والحُوب بضمها، والحاب: الإثم، وهو الذنب، ومنه قوله تعالى في [سورة النساء: ٢] عن أكل أموال اليتامى (إنه كان حوباً كبيراً) أي إثماً عظيماً وذنباً كبيراً.

(٢) السخيمة، كسفينة: الحقد والضغينة والموجدة في النفس.

ذكر التوابين من الملائكة عليهم السلام

١ ـ [قصة هاروت وماروت] *

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور رحمه الله، أنبأ الأمين أبو طالب عبد القادر بن محمّد اليوسفيُّ، أنبأ ابن المذهب، أنبأ أبو بكر القطيعيُّ، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا أبِيْ رحمه الله، ثنا يحيى ابْن أبي بُكَيْر[١] ثنا زهير بن محمّد، عن موسى بن جبير، عن نافع، عن عبد الله بن عمر أنّه سمع نبيّ الله ﷺ يقول: «إنّ آدم عليه السلام لمّا أهبطه الله الى الأرض قالت الملائكة: أي ربّنا[٢]: ﴿ أتجعلُ فِيها مَنْ يُفسِدُ فِيها ويسفِكُ الدّماءَ ونحنُ نُسبِّحُ بِحمدِكَ ونُقدِّسُ لكَ؟ قالَ: إنّي أعلمُ مالا تعلمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠][٣]. قالوا: ربّنا! نحن أطوع لك من بني آدم. قال الله تعالى للملائكة:

(*) هذا العنوان زيادة لم ترد في الأصل، و إنما أثبتناه لتوضيح القصة.

(١) وقع في تفسير ابن كثير وتاريخه: يحيى بن بكير، وهو خطأ من الناسخين أو الطابعين.

(٢) في مطبوعة المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق بتحقيق الأستاذ جورج المقدسي: إي رب، بكسر الهمزة، وهو خطأ.

(٣) والآية بتمامها: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها ...) الآية.

هلمّوا ملَكين من الملائكة حتّى نهبطهما الى الأرض فتنظروا [1] كيف يعملان . قالوا : ربّنا ! هاروت وماروت . فأُهبطا الى الأرض ومُثّلت لهما الزُّهَرَةُ [2] امرأةً من أحسن البشر ، فجاءتهما ، فسألاها نفسها ، قالت [3] : لا والله ! حتى تتكلما [4] بهذه الكلمة من الإشراك. فقالا : لا والله ! لا نشرك بالله شيئاً أبداً . فذهبت عنهما ثم رجعت بصبيّ تحمله ، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله ! حتّى تقتلا هذا الصبيّ ، فقالا : لا والله ! لا نقتله أبداً ، فذهبت ثمّ رجعت بقدح خمر تحمله ، فسألاها نفسها، فقالت : لا والله ! حتى تشربا هذا الخمر ، فشربا حتى سكرا [5] ، فوقعا عليها وقتلا الصبي . فلما أفاقا ، قالت المرأة : والله ما تركتما شيئاً مما أبيتماه [6] إلاّ فعلتماه [7] حين سكرتما ، فخُيّرا بين عذاب الدنيا والآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا » [8] .

---

(١) في « مسند أحمد » رقم (٦١٧٨) حتى نُهبط بها إلى الأرض فننظر .

(٢) الزُّهَرة : بضم الزاي وفتح الهاء : الكوكب المعروف ، ولا يجوز فيه إسكان الهاء .

(٣) في « مسند أحمد » : فقالت .

(٤) في « مسند أحمد » : تكلما .

(٥) في « مسند أحمد » : فشربا فسكرا .

(٦) في مطبوعة المعهد الفرنسي: أُتيتاه ، بضم الهمزة وبالتاء، وهو تصحيف .

(٧) في مسند أحمد » : إلا قد فعلتما .

(٨) أخرج هذه القصة أحمد في «المسند» رقم ٦١٧٨ ، وابن حبان في «صحيحه»: ٤٢٥ « موارد الظمآن » والطبري في تفسيره ٤٢٧/٢ ، ٤٣٥ والحاكم في «المستدرك» ٢٦٥/٢ ، ٢٦٦ وغيرهم ، في المرفوع ،وقد أعلها غير واحد من أهل العلم بالحديث ، =

أخبرنا أبو العباس أحمد بن المبارك بن سعد ، أنا جدّي لأمي أبو المعالي ثابت بن بندار ، أنا أبو عليّ بن دَوما، أنا أبو عليّ الباقرحي أنا الحسن بن علوّيه، أنا إسماعيل ، انا إسحاق بن بشر ، عن جويبر عن الضحّاك عن مكحول عن معاذ ، قال :

لمّا أن أفاقا جاءهما جبريل عليه السلام من عند الله عزّ وجلّ وهما يبكيان ، فبكى معهما وقال لهما : ما هذه البليّة التي أجحف بكما[1] بلاؤها وشقاؤها ؟ فبكيا إليه ، فقال لهما : إنّ ربّكما يخيّركما بين عذاب الدنيا وأن تكونا عنده في الآخرة في مشيئته، إن شاء عذّبكما، وان شاء رحمكما، وإن شئتما عذاب الآخرة. فعلما أنّ الدنيا منقطعة، وأن الآخرة دائمة، وأنّ الله بعباده رؤوف رحيم. فاختارا عذاب الدنيا، وأن يكونا في المشيئة عند الله . قال : فهما ببابل فارس معلَّقَين بين جبلين في غار تحت الأرض ، يُعذَّبان كلّ يوم طرَفي النهار الى الصيحة . ولمّا رأت ذلك الملائكة خفقت بأجنحتها في البيت ، ثم قالوا : اللهم اغفر لولد آدم ، عجباً كيف يعبدون الله ويطيعونه على ما لهم من الشهوات واللذّات ! .

= وعدوها من خرافات بني اسرائيل التي لايعول عليها، حدث بها كعب الأحبار، وتلقاها عنه طائفة من السلف ، فرفعها الى النبي صلى الله عليه وسلم خطأ ووهم . قال ابن كثير في تفسيره ١٣٨/١ : وأقرب مايكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار ، لاعن النبي صلى الله عليه وسلم . وانظر كلامه أيضاً في « البداية والنهاية » ٣٧/١ ، ٣٨ .

(١) أجحف به : ذهب .وسيل جحاف : يذهب بكل شيء والجحفة : الداهية .

وقال الكلبي : فاستغفرت الملائكة بعد ذلك لولد آدم ، فذلك قوله سبحانه : ﴿ والملائكةُ يُسبِّحونَ بِحمدِ ربِّهِمْ ويستغفرُون لِمن في الأرضِ ﴾ [الشورى : ٥][1] .

ورُوي عن ابن عبّاس أنّ الله تعالى قال للملائكة: انتخبوا ثلاثة من أفاضلكم . فانتخبوا عزرا وعزرايل[2] وعزويا . فكانوا إذا هبطوا الى الأرض كانوا في حدّ بني آدم وطبائعهم . فلما رأى ذلك عزرا وعرف الفتنة ، علم أن لا طاقة له . فاستغفر[3] ربه عز وجل واستقاله فأقاله . فرُوي أنّه لم يرفع رأسه بعدُ حياءً من الله تعالى .

قال الربيع بن أنس : لما ذهب عن هاروت وماروت السكر عرفا ما وقعا فيه من الخطيئة وندما ، وأرادا أن يصعدا الى السماء فلم يستطيعا ولم يُؤذَن لهما . فبكيا بكاءً طويلاً وضاقا ذرعاً بأمرهما . ثم أتيا إدريس عليه السلام وقالا له: ادعُ لنا ربك فإنا سمعنا بك تُذكَر بخير في السماء . فدعا لهما فاستُجيب له ، وخُيِّرا بين عذاب الدنيا والآخرة[4] .

---

(١) « مَن » في قوله تعالى : (لمن في الأرض) وإن كانت من ألفاظ العموم ، فان معناها خاص بأهل الايمان ، يدل عليه قوله تعالى في [سورة غافر : ٧] (ويستغفرون للذين آمنوا) . انظر « زاد المسير في علم التفسير » للامام ابن الجوزي ٧/٢٧٣ الذي حققته مع زميلي الأستاذ شعيب الأرناؤوط .

(٢) في «ب» وعزازيل.

(٣) وعلى هامش « أ » : فاستعفى .

(٤) قال ابن كثير في «تفسيره» : ١/١٤١ وقد روي في قصة هاروت وماروت عن=

وروي أن الملائكة ، لما قالوا لله تبارك وتعالى : ﴿ أتجعل فيها من يُفسِدُ فِيها ويَسفِكُ الدِّماءَ ﴾ [البقرة : ٣٠] ، طافوا حول العرش أربعة آلاف عام يعتذرون الى الله عز وجلّ من اعتراضهم .

= جماعة من التابعين، كمجاهد، والسدي، والحسن البصري ، وقتادة ، وأبي العالية ، والزهري والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم . وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين .

وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني اسرائيل ، اذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الاسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب ، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى ، والله أعلم بحقيقة الحال .

ذكر التوابين من الأنبياء عليهم السلام

٢ ــ توبة آدم عليه السلام

أخبرنا أبو الفضل مسعود بن عبيد الله بن النادر قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين ،أنا أبو بكر محمد بن عليّ الخيّـاط،أنا أبوعبد اللهبن دُوست ،ثناالحسينبن صفوان،ثنا ابنأبيالدنيا،ثنا يعقوب بن إسحاق ابن دينار، ثنا محمّـد بن معاذالعنبري عن ابن السمّـاكقال : حدّثني عمر ابنذرّ عن مجاهد :

أنّ آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة ، تساقط عنه جميع زينة الجنة ، ولم يبقَ عليه من زينتها إلا التاجُ والإكليل . وجعل لا يستتر بشيء من ورق الجنة إلا سقط عنه ، فالتفت الى حواء باكياً ، وقال : استعدّي للخروج من جوار الله ، هـذا أول شؤم المعصية . قالت : يا آدم ! ما ظننت أن أحداً يحلف بالله كاذباً . وذلك أن إبليس قاسمهما على الشجرة وآدم في الجنـة هارباً استحياءً من رب العالمين ، فتعلقت به شجرة ببعض أغصانها ، فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة ، فنكس

رأسه يقول: العَفْوَ العَفْوَ . فقال الله عز وجل: يا آدم! أفراراً مني؟ قال: بل حياءً منك سيدي .

فأوحى الله الى المَلكين : أن أخرجا آدم وحواء من جواري ، فإنهما قد عصياني . فنزع جبريل عليه السلام التاج عن رأسه ، وحل ميكائيل عليه السلام الإكليل عن جبينه ، فلما هبط من ملكوت القدس إلى دار الجوع والمسغبة[1] بكى على خطيئته مائة سنة ،قد رمى برأسه على ركبتيه حتى نبتت الأرض عشباً وأشجاراً من دموعه حتى تقع الدمع في نُقر الجلاميد[2] وأقعيتها .

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي ،أنا أبو الفضل أحمد بن الحسن ابن خيرون ، انا أبو علي بن شاذان،انا أبو علي عيسى بن محمد الطوماري، أنبأ محمّد بن أحمد بن البراء ، أنبأ عبد المنعم بن ادريس، أنبأ أبي عن وهب بن منبّه :

أن آدم عليه السلام لبث في السخطة سبعة أيام . ثمّ إن الله تعالى أطلعه في اليوم السابع ، وهو منكس محزون كظيم . فأوحى الله إليه : يا آدم! ما هذا الجهد الذي أراك فيه اليوم![3] وما هذه البلّية التي

(١) المسغبة : المجاعة، ومنه قوله تعالى في[سورة البلد : ١٤]: (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) أي ذي مجاعة ، ودار الجوع والمسغبة هي دار الدنيا .

(٢) واحدها جلمود ، وهو الصخر . يقال: أرض جلمدة : حَجِرة ، وألقى عليه جلاميده : ثقله . وذات الجلاميد : موضع . وفي « ب » ومطبوعة المعهد الفرنسي : « الجلام » .

(٣) في « ب » ومطبوعة المعهد الفرنسي :يا آدم ماهذا الجهد الذي آراك فيه يا آدم.

قد أجحف بك بلاؤها وشقاؤها ! قال آدم : عظمت مصيبتي يا إلهي ، وأحاطت بي خطيئتي. وخرجت من ملكوت ربّي، فأصبحت في دار الهوان بعد الكرامة ، وفي دار الشقاوة بعد السعادة ، وفي دار العناء والنَّصَب بعد الخفض والدعة ، وفي دار البلاء بعد العافية ، وفي دار الظعن والزوال بعد القرار والطمأنينة ، وفي دار الفناء بعد الخلد والبقاء ، وفي دار الغرور بعد الأمن. إلهي! فكيف لا أبكي على خطيئتي؟ أم كيف لا تحزنني نفسي ، أم كيف لي أن أجتبر هذه البلّية والمصيبة يا إلهي ؟ .

قال الله تعالى له : ألم اصطفك لنفسي ، وأحللتك داري ، واصطفيتك على خلقي ، وخصصتك بكرامتي ، وألقيت عليك محّبتي ، وحذّرتك سخطي ؟ ألم أباشرك بيدي ، وأنفخ فيك من روحي ، وأُسْجِدْ لك ملائكتي ؟ ألم تكُ جاري في بحبوحة جنتي ، تتبوأ حيث تشاء من كرامتي؛ فعصيتَ أمري،ونسيت عهدي،وضيعت وصيتي؟فكيف تستنكر نقمتي، فوعزتي وجلالي لو ملأت الأرض رجالاً كلهم مثلك﴿ يُسبّحُونَ الليلَ والنهارَ لايفتُرُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٠] ثم عصوني لأنزلتهم منازل العاصين!وإني قد رحمت ضعفك وأقلتك عثرتك وقبلت توبتك وسمعت تضرّعك وغفرت ذنبك . فقل :لاإله إلا أنت ، سبحانك اللهم وبحمدك ظلمت نفسي وعملت السوء ، فتب علي إنك أنت

التواب الرحيم . فقالها آدم ، ثم قال له ربه : قل : لا إله إلا أنت ، سبحانك اللهم وبحمدك ظلمت نفسي وعملت السوء فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم . فقالها آدم (١) ، ثم قال له ربه ، قل : لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك ظلمت نفسي ، وعملت السوء ، فارحمني إنك أرحم الراحمين .

قال ، وكان آدم قد اشتدّ بكاؤه وحزنه لما كان من عظم المصيبة ، حتى ان كانت الملائكة لتحزن لحزنه (٢) وتبكي لبكائه . فبكى على الجنة مائتي سنة ، فبعث الله اليه بخيمة من خيام الجنة ، فوضعها له في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة (٣) .

---

(١) في مطبوعة المعهد الفرنسي : فقال آدم .

(٢) في مطبوعة المعهد الفرنسيّ : بحزنه .

(٣) لا تخلو قصة آدم عليه السلام وغيرها من قصص الأنبياء الذين سيرد ذكر توبتهم من المبالغات والزيادات ، وأغفلنا التعليق عليها إلا ما كان قدحاً في النبوة والرسالة. وقد عرض الله تعالى في القرآن توبة آدم عليه السلام ضمن قصته فقال في [سورة البقرة: ٢٥ - ٢٧] (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) وقال في [سورة طه : ٢٠ ، ٢١] (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى . فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) وأصل التوبة : الرجوع ، فالتوبة من آدم : رجوعه عن المعصية، وهي من الله تعالى : رجوعه عليه بالرحمة .والتوّاب : الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر قبوله ، وانما لم تذكر حواء في التوبة ، لأنه لم يجر لها ذكر ، لأن توبتها لم تقبل . وقال قوم : إذا كان معنى فعل الاثنين واحداً ، جاز أن يذكر أحدهما ويكون المعنى لهما ، كقوله تعالى : (والله ورسوله أحق أن يرضوه) [التوبة : ٦٣] وقوله : (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) [طه : ١١٧] . وقال تعالى في [سورة الأعراف : ٢٣] على لسان آدم وحواء : (قالا ربنا إننا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين).

٣ ـ توبة نوح عليه السلام

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن عساكر ، أنا عبد القادر بن محمد ، أخبرنا الحسن بن عليّ ،أنا أبو بكر القطيعيّ ، ثنا عبد الله ، حدّثني أبي ، ثنا عبد الرزاق ، ثنا وهيب بن الورد ، قال :

لما عاتب الله تعالى نوحاً في ابنه فانزل عليه ﴿ إني أعِظُكَ أنْ تكُونَ من الجاهِلين ﴾ [هود : ٤٦] ، قال : فبكى ثلاثمائة عام حتى صار تحت عينيه مثل الجداول من البكاء (١) .

٤ ـ توبة موسى عليه السلام

أخبرنا أحمد بن المبارك،أنا جدّي ثابت، أنا أبو عليّ بن دَوما، أنا مخلد بن جعفر ،انا الحسن بن علويه،انا إسماعيل بن عيسى،انا إسحاق بن بشر ،انا أبو إلياس عن وهب بن منبه ، قال :

لما سمع موسى عليه السلام كلام ربّه عزّ وجلّ طمع في رؤيته .

(١) إن نوحاً عليه السلام أراد أن يستنجز وعد الله تعالى بنجاة أهله فقال : (رب ان ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) [هود : ٢٥] فعاتبه الله تعالى في كتابه بقوله : (يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين) [هود : ٤٦] إذ كان من حق نوح عليه السلام أن يعلم أن من كان خارج السفينة فليس ممن وعده الله بنجاتهم ، فاعتذر نوح عليه السلام عن ذلك وطلب المغفرة والرحمة على ما فرط منه فقال : (رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) [هود : ٤٧] . فقال الله تعالى له : (يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) . فنجاه الله تعالى ومن آمن معه .

فقال : ﴿ ربِّ أرني أنظُرْ إليكَ قالَ لن تراني ولكنِ انظُرْ إلى الجبلِ فإنِ استقرَّ مكانَهُ فسوفَ تراني ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

قال محمد بن إسحاق : حدَّثني بعض من لا أتهم قال : قال الله تعالى : يا ابن عمران ! إنه لا يراني أحد فيحيا . قال موسى : رب لا شريك لك، إني أن أراك[1] وأموت أحبّ إليّ من أن لا أراك وأحيا، ربِّ أتمم عليّ نعماك وفضلك وإحسانك بهذا الذي أسألك ، وأموت على أثر ذلك .

قال : وأخبرنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : لما رأى الله الرحيم بخلقه من حرص موسى على أن يعطيه سؤله قال : انطلق فانظر الحجر الذي في رأس الجبل فاجلس عليه ، فإنّي مهبط عليك جندي ، ففعل موسى . فلما استوى عليه ، عرض الله تعالى عليه جنود سبع سماوات ، فأمر ملائكة سماء الدنيا أن يعرضوا عليه . فمروا بموسى عليه السلام ولهم أصوات مرتفعة بالتسبيح والتهليل كصوت الرعد الشديد، ثم أمر ملائكة السماء الثانية أن يعرضوا عليه ففعلوا ، فمروا به على ألوان شتى، ذوو وجوه وأجنحة، منهم ألوان الأُسد، رافعي أصواتهم بالتسبيح . ففزع موسى منهم وقال : أي ربِّ ! إني ندمت على مسألتي ، ربِّ ! هل أنت منجيَّ من مكاني الذي أنا فيه ؟ قال له رأس الملائكة : يا موسى ! اصبر على ما سألت ، فقليل من كثير ما رأيت .

ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى .

---

(١) في مطبوعة المعهد الفرنسي: إن أراك ، وهو خطـأ .

فأقبل ما لا يحصى عددهم على ألوان شتى ، ألوانهم كلهب النار ، لهم بالتسبيح والتهليل زجل. فاشتد فزع موسى عليه السلام وساء ظنه ويئس من الحياة . فقال له رأس الملائكة : يا ابن عمران ! اصبر حتى ترى ما لا تصبر عليه . ثم أوحى الله تعالى الى ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا الى موسى بالتسبيح،فهبطوا ، ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج ، لهم أصوات عالية بالتسبيح والتقديس لا تشبه أصوات الذين مرّوا به . فقال له رأس الملائكة : يا موسى ! اصبر على ما سألت .

فكذلك أهل كل سماء الى السماء السابعة ينزلون إليه بألوان مختلفة وأبدان مختلفة ، وأقبلت ملائكة يخطف نورهم الأبصار ومعهم حراب ، الحربة كالنخلة الطويلة العظيمة كأنها نار أشد ضوءاً من الشمس . وموسى عليه السلام يبكي رافعاً صوته يقول : يارب ! اذكرني ولا تنسني أنا عبدك ، ما أظن أن أنجو مما أنا فيه ، إن خرجت احترقت ، وإن مكثت متّ . قال له رأس الملائكة : قد أوشكت أن تمتلىء خوفاً وينخلع قلبك ، هذا الذي جلست لتنظر إليه .

قال : ونزل جبريل وميكائيل وإسرافيل ومن في سبع سماوات وحملة العرش والكرسي وأقبلوا عليه يقولون : يا خاطىء ابن الخاطىء ! ما الذي رقاك إلى هاهنا ! وكيف اجترأت أن تسأل ربك أن تنظر (١) اليه ؟ وموسى عليه السلام يبكي وقد اصطكت ركبتاه

(١) وفي « ب »: النظر .

وتخلعت مفاصله . فلما رأى الله عز وجل ذلك من عبده أراه قائمة عرشه ، فتعلق بها فاطمأن قلبه . فقال له إسرافيل : يا موسى ! والله إنا لنحن رؤساء الملائكة لم نرفع أبصارنا نحو العرش منذ خلقنا خوفاً وفَرَقاً ، فما حملك أيها العبد الضعيف على هذا ؟ فقال موسى : يا إسرافيل ! ـ وقد اطمأن ـ أحببت أن أعرف من عظمة ربّي ما عرفت .

ثم أوحى الله عز وجلّ للسماوات : إني متجلٍّ للجبل . فارتعدت السماوات والأرض والجبال والشمس والقمر والنجوم والسحاب والجنة والنار والملائكة والبحار، وخرّوا كلهم سجّداً ، وموسى ينظر إلى الجبل. (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكّاً، وخر موسى صعقاً) [الأعراف: ١٤٣] ميّتاً من نور ربّ العزّة جلّ وعلا ، فوقع عن الحجر وانقلب عليه ، فصار عليه مثل القبة لئلا يحترق .

قال الحسن : فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام، فقلب الحجر عن موسى وأقامه . فقام موسى عليه السلام فقال: (سبحانك! تبت إليك) [الأعراف:١٤٣] مما سألت ، (وأنا أول المؤمنين) [الأعراف: ١٤٣] أي أنا أول من آمن أنه لا ينظر إليك أحد إلا مات ، وقيل : أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد في الدنيا (١) .

---

(١) إن موسى عليه السلام لما كلمه الله تعالى وأسمعه كلامه ، طلب رؤية الله تعالى التي لا يمكن تحققها لأحد في الدنيا فقال : (رب أرني أنظر إليك) [الأعراف : ١٤٢]=

٥ — توبة داود عليه السلام

أخبرنا أحمد بن المبارك قال: أنبأ ثابت، انا أبو علي، انا مخلد، انا الحسن ابن علي، انا إسماعيل، انا إسحاق قال: وأنبأ الأوزاعي [(١)] عن يحيى بن أبي كثير [(٢)] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

كان داود عليه السلام قد قسم الدهر على أربعة أقسام، فيوم لبني إسرائيل يدارسهم العلم ويدارسونه، ويوم للمحراب، ويوم للقضاء، ويوم للنساء. فبينا هو مع بني إسرائيل يدارسهم إذ قال بعضهم: لا يأتي على ابن آدم يوم إلا يصيب فيه ذنباً. فقال داود في نفسه: اليوم الذي أخلو فيه للمحراب تتنحى عني الخطيئة. فأوحى الله إليه: ياداود! خذ حذرك حتى ترى بلاءك.

قال إسحاق: وأخبرنا ابن بشر عن قتادة عن الحسن، قال: فبينا هو في محرابه منكب على الزبور يقرؤها، إذ دخل عليه طائر من الكوة فوقع بين يديه، جسده من ذهب، وجناحاه من ديباج، مكلل بالدرّ، ومنقاره زبرجد وقوائمه فيروزج. فوقع بين يديه فنظر اليه

=فعاتبه الله تعالى على ذلك بقوله: (لن تراني) أي لن تستطيع رؤيتي في الدنيا (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً) مغشياً عليه، (فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) انه لايستطيع أن يراك أحد في الدنيا. فقال الله تعالى له: (ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) [الأعراف: ١٤٤].

(١) في مطبوعة المعهد الفرنسي: وأنا ابن عم الأوزاعي، وهو تحريف، ولعل الصواب أبو عمرو، فهي كنية الإمام الأوزاعي.

(٢) يحيى بن أبي كثير لم يسمع من أبي هريرة، فالحديث منقطع، وعامة المفسرين ذكروا هذا الخبر مطولا عن ابن عباس موقوفاً عليه، وعن الحسن البصري.

فحسب أنه من طير الجنة، فجعل يتعجّب من حسنه . وكان له ابن صغير،فقال : لو أخذتُ هذا فنظر اليه ابني . فأهوى اليه فتباعد منه، ويطمعه احياناً من نفسه حتى تكاد تقع يده عليه، فتباعد منه أيضاً . فما زال كذلك يدنو ويتباعد حتى قام من مجلسه وأطبق الزبور . فطلبه فوقع في الكوة ، فطلبه في الكوّة ،فرمى بنفسه في بستان ، فاطلع داود فإذا بامرأة تغتسل .

قال قتادة عن بلال بن حسّان : فأخرج رأسه من الكوّة، فإذا هو بامرأة تغتسل ، فنظر إلى أحسن خلق الله . ونظرت المرأة وإذا وجه رجل ، فنشرت شعرها فغطّت جسدها .

رجع إلى حديث الحسن قال : فزاده ذلك بها إعجاباً . فرجع إلى مكانه وفي نفسه منها مافي نفسه . فبعث لينظر من هي ؟ فرجع إليه الرسول فقال : هي تشايع ابنة حنانا، وزوجها أوريا ابن صورا، وهو في البلقاء مع ابن أخت داود محاصري قلعة . فكتب داود إلى ابن أخته كتاباً : إذا جاءك كتابي هذا فمُرْ أوريا بن صورا فليحمل التابوت وليتقدّم أمام الجيش . وكان الذي يتقدّم لايرجع حتى يُقتَل أو يفتح الله عليه . فدعا صاحب الجيش أوريا فقرأ عليه الكتاب ، فقال : سمعاً وطاعة . فحمل التابوت وسار أمام أصحابه فقُتل، وكتب ابن أخت داود بذلك إلى داود . فلما انقضت عدّة المرأة أرسل إليها داود فخطبها فتزوّجها(١) .

---

(١) هذه القصة ظاهرة البطلان ، وواضحة الافتعال ، افتراها بعض أهل الكتاب =

قال : وأخبرنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : إن داود لما تزوّج تشايع بنت حنانا ، وكان يخلو للعبادة في المحراب ، فبينا هو في المحراب ، إذ سمع صوتاً عالياً ، ثم تسوّر عليه رجلان حتى اقتحما عليه، فلما رآهما فزع منهما. قالا : (لاتخف ! خصمان بغى بعضنا على بعض) - يعني اعتدى بعضنا على بعض فظلمه ، (فاحكم بيننا بالحقّ ولا تُشطِط) - يعني لا تَجُر ، (واهدنا إلى سواء الصراط) - يعني إلى قصد السبيل . فقال داود : قصّا عليّ قصّتكما . قال : (إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب) - يعني قهرني وظلمني - وأخذ نعجتي فضمّها إلى نعاجه ، وعزّني في الخطاب . يعني إذا تكلّم كان أبلغ في المخاطبة مني ، وإذا دعا كان أسرع إجابة مني ، وإذا خرج كان - يعني - أكثر تبعاً منّي . فقال داود : ﴿ لَقَد

= الذين بدلوا وغيروا وتناقلها عنهم بعض السلف دون تمحيص وأبى قبولها العلماء المحققون . ولا يستريب عاقل في أن من خصه الله تعالى بنبوته، وأكرمه برسالته، وائتمنه على وحيه ، وجعله واسطة بينه وبين خلقه لايليق أن ينسب اليه مثل هذا الهراء والافتراء . ومن ثم قال الامام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه « زاد المسير في علم التفسير » ١١٥/١ - الذي حققته مع زميلي الأستاذ شعيب الأرناؤوط - بعد أن ذكر القصة : وهذا لايصح من طريق النقل ، ولا يجوز من حيث المعنى ، لأن الأنبياء منزهون عنه وقال أيضاً : وما روي من أنه نظر إلى المرأة فهويها ، وقدم زوجها للقتل ، فانه وجه لايجوز على الأنبياء ، لأن الأنبياء لايأتون المعاصي مع العلم بها . وقال الحافظ ابن كثير عند ذكر قصة داود عليه السلام : قد ذكر المفسرون هاهنا قصة اكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه . وقال الامام الرازي : وحاصل القصة يرجع إلى أمرين : إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق ، وإلى الطمع في زوجته، وكلاهما منكر عظيم ، فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه السلام هذا .

ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾[سورة ص: ٢١ـ٢٤]. قال: فضحك المدّعى عليه. فقال داود: تظلم وتضحك؟ ما أحوجك إلى قدّوم يرضّ منك هذه وهذه ـ يعني جبهته وفاه . قال الملَك : بل أنت أحوج إلى ذلك منه ، وارتفعا . وفي رواية قال : فتحوّلا في صورتهما وعرجا وهما يقولان : قضى الرجل على نفسه .

وعلِمَ داود أنه إنما عُني به هو . فخرّ ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلاّ لحاجة لابدّ منها ، ثمّ يعود فيسجد ، لا يأكل ولا يشرب، وهو يبكي حتّى نبت العشب حول رأسه ، وهو ينادي ربّه عزّ وجلّ ويسأله التوبة .

وكان يقول في سجوده : سبحان خالقِ النور الحائلِ بين القلوب! سبحان خالق النور ! إلهي خلّيت بيني وبين عدوّي إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت بي. سبحان خالق النور ! إلهي لم أفارق الزبور ولم أتّعظ بما وعظتُ به غيري. إلهي ! أمرتني أن أكون لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج الرحيم، فنسيتُ عهدك ! سبحان خالق النور ! إلهي ! بأيّ عين أنظر إليك يوم القيامة، وإنّما ينظر الظالمون من طرف خفيّ . سبحان خالق النور ! إلهي ! الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب ! سبحان خالق

النور ! إلهي ! الويل لداود إذا كُشف عنه الغطاء فيقال : هذا داود الخاطىء ! سبحان خالق النور ! إلهي ! أنت المغيث وأنا المستغيث ! فمن يدعو المستغيث إلا المغيث ؟ سبحان خالق النور ! إلهي ! إليك فررت بذنوني واعترفت بخطيئتي، فلا تجعلني من القانطين، ولا تُخزني يوم الدين ، ـ في مناجاة كثيرة .

قال : فأتاه نداء : أجائع أنت فتُطعَم ؟ أظمآن أنت فتُسقَى ؟ أمظلوم أنت فتُنصَر ؟ولم يجبه في ذكر خطيئته . قال : فصاح صيحة هاج ماحوله ، ثمّ نادى : ياربّ ! الذنبَ الذي أصبتُ ؟ فنُودي : ياداود ! ارفع رأسك فقد غفرتُ لك .

قال : وأخبرنا أبو إلياس عن وهب بن منبه أنّ داود أتى قبرأوريا فقام عنده وجعل التراب على رأسه ، ثمّ نادى فقال : الويل لداود ، ثم الويل الطويل لداود ! سبحان خالق النور ! الويل لداود ، ثم الويل لداود إذا نصبت الموازين ! سبحان خالق النور ! الويل لداود ، ثمّ الويل الطويل لداود ، يوم يُقتَصّ للمظلوم من الظالم ! سبحان خالق النور! الويل لداود، ثمّ الويل الطويل لداود يوم يُسحَب على وجهه مع الخاطئين إلى النار ! سبحان خالق النور ! الويل لداود ، ثمّ الويل الطويل لداود !

قال : فأتاه نداء من السماء : ياداود ! قد غفرت لك ذنبك ،ورحمت بكاءَك ، وأقلت عثرتك . قال : ياربِّ ! كيف تعفو عنّي وصاحبي لم

يعف عنّي ؟ ! قال : ياداود أعطيه يوم القيامة من الثواب مالم ترَ عيناه ولم تسمع أذناه ، فأقول : رضي عبدي ؟ فيقول : ياربِّ ! من أين لي هذا ولم يبلغه عملي ؟ فأقول له: هذا عوض من عبدي داود ،فاستوهبك منه ، فيهبك لي . قال : ياربِّ ! الآن عرفت أنك قد غفرت لي .

[٦] توبة سليمان عليه السلام

قال إسحاق : وأخبرنا جويبر ، عن الضحّاك ، عن ابن عبّاس ، قال: كان سليمان عليه السلام رجلاً غزّاءً يغزو في البرّ والبحر ،فسمع بملك في جزيرة من جزائر البحر ، فركب سليمان الريح وجنوده من الجنّ والإنس حتّى نزل تلك الجزيرة، فقتل ملكها وسبى من فيها وأصاب[(١)] جارية لم يُرَ مثلها حسناً وجمالاً ، وكانت ابنة ذلك الملك ، فاصطفاها لنفسه . فكان يجد بها مالا يجد بأحد ، وكان يؤثرها على جميع نسائه . فدخل عليها يوماً ، فقالت : إني أذكر أبي وملكه وماأصابه ، فيحزنني ذلك ، فإن رأيت أن تأمر بعض الشياطين فيصورون لي صورة أبي في داري فأراه بكرة وعشياً، رجوت أن يذهب عني حزني ويسلي[(٢)] عني بعض ماأجد في نفسي . فأمر سليمان صخراً المارد ، فمثّل لها أباها في هيئته في ناحية دارها ، لاتنكر منه شيئاً إلّا أنه لاروح فيه . فعمدت إليه فزينته وألبسته حتّى تركته في هيئة أبيها ولباسه . فإذا خرج سليمان عليه السلام من دارها تغدو عليه كلّ غدوة مع جواريها فتطيبه

(١) في «ب» واختار .

(٢) في «ب» : ويسكن .

وتسجد له وتسجد جواريها وتروح بمثله . وسليمان لاعلم له بذلك ، حتى أتى لذلك أربعون يوماً . وبلغ الناس ، وبلغ آصف بن برخيا وكان صديقاً له ، فدخل عليه فقال : يانبيّ الله ! قد أحببت أن أقوم مقاماً أذكر فيه من مضى من أنبياء الله ،وأثني عليهم بعلمي فيهم . قال: فجمع سليمان الناس . فقام فيهم فذكر من مضى من أنبياء الله ، وأثنى على كلّ نبيّ بما فيه ، وذكر مافضّلهم الله به، حتّى انتهى إلى سليمان ، فذكر فضله وما أعطاه الله في حَدَاثة سِنِّه وصِغَره ثمّ سكت ، فامتلأ سليمان غيظاً . فلما دخل ، أرسل إليه فأتاه ، فقال: يا آصف ! ذكرتَ من مضى من أنبياء الله ، فأثنيت عليهم بما كانوا عليه في زمانهم كلّه ، فلما ذكرتني جعلت تثني عليّ بخير في صِغَري وسكتّ عماسوى ذلك من أمري في كِبَري ، فما الذي أحدثتُ في كبري ؟ قال :أحدثت أنّ غير الله يُعبَد في دارك منذ أربعين يوماً في هوى امرأة . قال : في داري ؟ قال : في دارك . قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! عرفتُ ، ماقلتَ هذا إلّا عن شيء بلغك . ثم رجع إلى داره ، وكسر ذلك الصنم ، وعاقب تلك المرأة وولائدها . ثمّ دعا بثياب الطهر فلبسها . ثمّ خرج إلى فلاة من الأرض ، ففرش له الرماد . ثم أقبل تائباً الى الله تعالى ، فجلس على ذلك الرماد يتمعّك فيه متذللاً متضرّعاً ، يبكي ويستغفر الله ويقول : يارب ! ماهذا بلاؤك عند آل داود أن يعبدوا

غيرك وأن يقروا في دارهم وأهلهم عبادة غيرك ؟!. فلم يزل كذلك حتى أمسى ، ثمّ رجع وكانت له جارية سمّاها الأمينة . وكان إذا أتى الخلاء أو أراد إتيان امرأة ، وضع خاتمه عندها . وكان لايمسّه إلا وهو طاهر. وكان الله تعالى جعل ملكه في خاتمـــه . قال وهب : فجاء يوماً يريد الوضوء، فدفع الخاتم إليها . وجاء صخر المارد، فسبق سليمان فدخل المتوضأ ، فدخل سليمان لحاجته، وخرج الشيطان على صورة سليمان ينفض لحيته من الوضوء، لاتنكر من سليمان شيئاً . فقـال : خاتمي ياأمينة ! فناولته إياه لاتحسب إلاّ أنه سليمان ، فجعله في يده . ثمّ جاء حتّى جلس على سرير سليمان ، وعكف عليه الطير والجنّ والإنس . وخرج سليمان ، فقال للأمينـة: خاتمي . قالت : ومن أنت ؟ قال : أنا سليمان بن داود . وقد تغيّر عن حاله وذهب عنـه بهاؤه ، قالت : كذبت ! إنّ سليمان قد أخذ خاتمه ، وهو جالس على سريره في ملكـه . فعرف سليمان أنّ خطيئته قد أدركته . قال الحسن : فخرج سليمان هارباً مخافة على نفسه. فمضى على وجهه بغير حـذاءٍ ولا قلنسوة في قميص وإزار . فمرّ بباب شارع على الطريق ، وقد جهده الجوع والعطش والحرّ . فأتى البـاب فقرعه، فخرجت امرأة فقالت : ما حاجتك ؟ فقال : ضيافة ساعة ، فقد ترين ما أصابني من الحرّ والرمضاء ، قد احترقت رجلاي[1] وبلغ مجهودي من الجوع والعطش . قـالت المرأة : زوجي غائب ، وليس يسعني أن أدخل رجلاً غريباً عليّ ، فادخل البستان فإنّ فيه ماءً

(١) في « أ » و « ب » : رجلي .

وثماراً[1] ، فأصب من ثماره ، وتبرّد فيه ، فإذا جاء زوجي استأذنته في ضيافتك ، فإن أذن لي فـذاك ، وإن أبى أصبتَ مارزق الله ومضيت . فدخل البستان فاغتسل ووضع رأسه فنام . فآذاه الذباب ، فجاءت[2] حيّة سوداء فأخذت ريحانة من البستان بفيها وجاءت سليمان، فجعلت تذبّ عنه الذباب حتّى جاء زوج المرأة. فقصّت عليه القصة، فدخل إلى سليمان . فلما رأى الحيّة وصنيعها ، دعا امرأته فقال لها : تعالي فانظري إلى العجب ! فنظرت ، ثمّ مشيا إليه فأيقظاه ، ثمّ قالا له: يا فتى! هذا منزلنا، لايسعنا شيء يعجزك، وهذه ابنتي قد زوجتكها. وكانت من أجمل نساء زمانها ، فتزوّجها ، وأقام عندهم ثلاثاً ، ثم قال : لايسعني إلا طلب المعيشة لي ولأهلي، فانطلق إلى الصيّادين ، فقال لهم: هل لكم في رجل يكون معكم يعينكم ، وترضخون له من صيدكم ، وكلّ يأتيه الله برزقه ؟ فقالوا : قد انقطع عنّا الصيد ، وليس عندنا فضل نعطيكه، فمضى إلى غيرهم . فقال لهم مثل هذه المقالة . فقالوا له : نعم وكرامة ، نواسيك بما عندنا .

فأقام عندهم[3] يختلف كل ليلة إلى أهله بما أصاب من الصيد ، حتى أنكر الناس قضاء[4] سليمان وفعاله . فلما رأى الخبيث أنّ الناس قد فطنوا له ، انطلق بالخاتم فألقاه في البحر . قال الحسن : أمسك الخاتم أربعين يوماً .

(١) في «ب» : وثمراً .
(٢) في « أ » : فجاءته .
(٣) في «ب» : معهم .
(٤) في « أ » من قضاء .

وروي أنه قعد على كرسيّ سليمان ، فاجتمع له الجنّ والإنس والشياطين . وملّك كلّ شيء كان يملكه سليمان عليه السلام إلاّ أنّه لم يُسلّط على نسائه . وخرج سليمان يسأل الناس ويتضيّفهم ، ويقوم على باب الرجل والمرأة ، ويقول : أطعموني فإنّي سليمان بن داود . فيطردونه ، ويقولون له : ما يكفيك ما أنت فيه حتّى تكذب على سليمان ، وهذا سليمان على ملكه ،حتى أصابه الجهد واشتدّ عليه البلاء . فلما تمّ عليه أربعون يوماً ، قال آصف : يا معشر بني إسرائيل ! هل رأيتم من خلاف حكم ابن داود ما رأيت ؟ قالوا : نعم، فعمد عند ذلك الخبيث فألقى الخاتم في البحر. فاستقبله جرِّيٌّ [1] فابتلع الخاتم، فصار في جوفه مثل الحريق من نور الخاتم . فاستقبل جَرْيَةَ الماء ، فوقع في شِباك الصيّادين الذين كان سليمان معهم . فلما أمسوا قسموا السمك ، فأسقطوا الجِرِّيَّ فجعلوه لسليمان . فذهب به إلى أهله ، فأمرهم أن يصنعوه . فلما شقّوا بطنه أضاء البيت نوراً من خاتمه . فدعت المرأة سليمان ، فأرته الخاتم . فتختّم به،وخرّ لله ساجداً ،وقال: إلهي ! لك الحمد على قديم بلائك ، وحسن صنيعك إلى آل داود . إلهي! أنت ابتدأتهم بالنِّعَم ، وأورثتهم الكتاب والحكم والنبوّة ، فلك الحمد. إلهي ! تجود بالكبير [2] وتلطف بالصغير ، فلك الحمد، نعماؤك ظهرت

---

(١) الجِرِيّ : بكسر الجيم ، وبكسر الراء وتشديدها : ضرب من السمك .

(٢) في «ب» تجود بالكثير .

فلا تخفى ، وبطنت فلا تحصى ، فلك الحمد . إلهي ! لم تسلمني بذنوبي ، فلك الحمد ، تغفر الذنوب وتستجيب الدعاء ، فلك الحمد . إلهي ! لم تسلمني بجريرتي ، فلك الحمد ، ولم تخذلني بخطيئتي ، فلك الحمد . إلهي فأتمّ نعمتك عليّ ، واغفر لي ما سلف ، وهب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي. فذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص : ٣٤] .

ورُوي عن عكرمة أنّ سليمان ، لما أصاب الملك ، أمر بحملِ أهل ذلك البيت، فوضعهم في وسط المملكة. ولم يكن سليمان عليه السلام نال تلك المرأة حتى ردّ الله عليه ملكه .(١)

[٧] توبة يونس عليه السلام

قال إسحاق بن بشر : وأخبرنا سعيد عن قتادة عن الحسن أن يونس عليه السلام كان مع نبي من أنبياء بني إسرائيل ، فأوحى الله إليه أن ابعث يونس إلى أهل نينوى(٢) يحذّرهم عقوبتي . قال : فمضى يونس على كرهٍ منه ، وكان رجلاً حديداً شديد الغضب . قال : فأتاهم

(١) قال العلماء : وماروي في قصة الخاتم وعبادة الوثن في دار سليمان عليه السلام ، فذلك من أباطيل أهل الكتاب ، ومن ثم قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف، كسعيد بن المسيب ، وزيد بن أسلم ، وجماعة آخرين ، وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب .

(٢) قرية من أرض الموصل في العراق .

فحذّرهم وأنذرهم ، فكذّبوه وردّوا عليه نصيحته، ورمَوْه بالحجارة وأخرجوه ، فانصرف عنهم . فقال له نبيّ بني إسرائيل : ارجع إلى قومك . فرجع إليهم ، فرمَوه بالحجارة وأخرجوه . فقال له النبي : ارجع إلى قومك ، فرجع فكذّبوه ، وأوعدهم العذاب ،فقالوا: كذبت، فلما كذّبوه وكفروا بالله وجحدوا كتابه،دعا عند ذلك ربّه على قومه، فقال : يارب ّ! إنّ قومي أَبوا إلّا الكفر ، فأنْزِلْ عليهم نِقمَتَك . فأوحى الله تعالى اليه : : إني أنزل بقومك العذاب . قال : فخرج عنهم يونس،وأوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام.وأخرج أهله وانطلق فصَعِد جبلاً ينظر إلى أهل نينوى ، ويترقّب العذاب . فجاءهم العــذاب وعاينوه ، فتابوا الى الله تعالى فكشف عنهم العذاب . فلما رأى ذلك ، جاءَه إبليس فقال : يا يونس ! إنّك إن رجعت إلى قومك اتّهموك وكذّبوك . فذهب مغاضباً لقومه . فانطلق حتى أتى شاطىء دجلة ، فركب سفينة . فلما توسطت به الماء أوحى الله إليها أن اركدي . فركدت السفينة ، والسفن تمرّ يميناً وشمالاً . فقالوا : ما بال سفينتكم ؟ فقالوا : لا ندري . قال يونس : أنا أدري . قالوا : فما حالها ؟ قال :فيها عبدٌ آبقٌ من ربّه ، فلا تسير حتّى تُلقوه في الماء . قالوا : ومن هو ؟ قال : أنا ، وعرفوه . قالوا : أما أنت فليس نُلقيك ، والله ما نرجو النجاة منها إلّا بك ! قال : فاقترعوا ، فمن قرع فألقوه في الماء . قال : فاقترعوا ، فقرعهم يونس ، فأبَوا أن يلقوه قال : فاقترعو الثانية ، فقرعهم . قال : فاقترعوا الثالثة ، فقرعهم . قال : ألقوني في الماء .

وفي رواية قال : ياقوم ! اطرحوني في الماء وانجوا . فقام القوم ، فاحتملوه شبه المشفقين عليه . فقال : ائتوا بي صدر السفينة . ففعلوا، فلما أشرفوا ليلقوه ، فإذا الحوت فاتح فاه . فلما رأى ذلك ، قال : ياقوم ! ردّوني الى مؤخر السفينة . ففعلوا ، فلما أشرفوا ، ذهبوا يطرحونه ، فاستقبله الحوت فاتحاً فاه . فلما رأى جوفه وهَوْلَهُ قال : ياقوم ! ردّوني الى وسط السفينة . ففعلوا ، فاستقبله ، فقال : ردّوني الى الجانب الآخر .فاستقبلهفاتحاً فاه ليأخذه. فقال :اطرحوني وانجوا فلا منجا من الله . فطرحوه ، والتقمه الحوت قبل أن يبلغ الماء ، وتصوّب به .

رجع الحديث الى الحسن ، قال : فانطلق به الحوت الى مسكنه من البحر ، ثمّ انطلق به الى قرار الأرض ، فطاف به البحار أربعين يوماً . فسمع يونس تسبيح الحصى وتسبيح الحيتان . قال : فجعل يسبّح ويهلّل ويقدّس . وكان يقول في دعائه : سيدي ! في السماء مسكنُك ، وفي الأرض قدرتُك وعجائبك . سيّدي ! من الجبال أهبطتَني ، وفي البلاد سيرتني ، وفي الظلمات الثلاث حبستني . إلهي سجنتني بسجن لم تسجن به أحداً قبلي. إلهي ! عاقبتني بعقوبة لم تعاقب بها أحداً قبلي . فلما كان تمام أربعين يوماً وأصابه الغم ، (فَنَادى في الظُّلُماتِ أَنْ لاَ إلهَ إلاَّ أنتَ سُبْحَانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمينَ) [الأنبياء:٨٧] قال: فسمعت الملائكة بكاءه وعرفوا صوته ، وبكت الملائكة

لبكاء يونس ، وبكت السماء والأرض والحيتان . فقال الجبار : ياملائكتي ! مالي أراكم تبكون ؟ قالوا : ربّنا ! صوت ضعيف حزين نعرفه في مكان غريب . قال : ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر . فقالوا : ياربّ ! العبد الصالح الذي كان يصعد له في كل يوم وليلة العمل الصالح الكثير ؟ قال ابن عبّاس ، قال الله تعالى : نعم . قال : فشفعت له الملائكة والسماوات والأرض . فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام ، فقال : انطلق الى الحوت الذي حبست يونس في بطنه ، فقل له : إنّ لي في عبدي حاجة ، فانطلقْ به الى الموضع الذي ابتلعْتَه فيه فاقذفه به ، فانطلق جبريل الى الحوت فأخبره . فانطلق الحوت بيونس ، وهو يقول : ياربّ ! استأنست في البحر بتسبيح عبدك ، واستأنستْ به دوابّ البحر ، وكنت أزكى شيء به ، وجعلت بطني له مصلّى يقدّسك فيه ، فقدّستَ به وما حولي من البحار . فتخرجه عني بعد أنس كان به ؟! قال الله تعالى : إنّي أَقَلْتُهُ عَثْرَتَهُ وَرَحِمْتُهُ فألقِهِ .

قال : فجاء به الى حيث ابتلعه ببلد على شاطىء دجلة . فدنا جبريل من الحوت وقرّب فاه من فم الحوت ، فقال : السلام عليك يايونس ! ربّ العزّة يقرئك السلام . فقال يونس : مرحباً بصوت كنت خشيت أن لا أسمعه أبداً ، مرحباً بصوت كنت أرجوه قريباً من سيّدي ! ثمّ قال جبريل للحوت : اقذف يونس

بإذن الله الرحمن ! فقذفه مثل الفرخ الممعوط [1] الذي ليس عليه ريش فاحتضنه جبريل عليه السلام .

قال الحسن : فانبت الله عليه شجرة من يقطين ، وهو الدُّبَّاء ، فكان لها ظلّ واسع يستظلّ به ، وأُمرت أن ترضعه أغصانها ، فكان يرضع منها كما يرضع الصبيّ .

وعن الحسن ، قال : بعث الله الى يونس وعلة من وعول [2] الجبل يدر ضرعها لبناً ، حتى جاءت الى يونس وهو مثل الفرخ ، ثمّ ربضت [3] وجعلت ثديها في في يونس . فكان يمصه كما يمصّ الصبيّ ، فإذا شبع انصرفت . فكانت تختلف اليه حتى اشتدّ ونبت عليه شعره خلقاً جديداً ، ورجع الى حاله قبل أن يقع في بطن الحوت . فمرّت به مارّة فكسوه كساءً . فبينا هو ذات يوم نائم ، إذ أوحى الله الى الشمس أن احرقي شجرة يونس ، فأحرقتها . فأصابت الشمس جلده فأحرقته فقال ، ياربّ ! نجّيتني من الظلمات ، ورزقتني ظلّ شجرة كنت أستظلّ بها فاحرقتها ، أفتحرمني يارب ؟ وبكى ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا يونس ! إن الله تعالى يقول : أنتَ زرعتَها أم أنت أنبتَّها ؟ !قال : لا . قال : فبكاؤك حين تعلم أنّ الله قد أعطاكها فكيف دعوت على مائة ألف وزيادة عشرين ألفاً أردت أن تهلكهم ؟ !

وقال ابن عباس : قال له جبريل : أتبكي على شجرة أنبتها الله لك

---

(١) يقال : امتعط الشعر : إذا تساقط

(٢) في «ب» من وعل . (٣) أي بركت .

ولا تبكي على مائة الف أو يزيدون أردت أن تهلكهم في غداة واحدة ؟!
فعند ذلك عرف يونس ذنبه ، واستغفر ربه فغفر له .

وعن الزهري ، قال . لمّا قوي يونس ، كان يخرج من الشجرة يميناً وشمالاً ، فأتى على رجل يصنع الجرار ، فقال يونس : ياعبد الله ما عملك ؟ قال: أصنع الجرار وأبيعها وأطلب فيها فضل الله . فأوحى الله الى يونس : أن قل له يكسر جراره ، فقال يونس ذلك له ، فغضب الجرّار وقال : إنك رجل سوء ! تامرني بالفساد وتامرني أن أكسر شيئاً صنعته وعملته ورجوت خيره. فأوحى الله الى يونس: ألا ترى الى هذا الجرّار كيف غضب حين أمرته بكسر ما صنع ؟ وأنت تامرني بهلاك قومك ! فما الذي يشق عليك أن يصلح من قومك مائة ألف أو يزيدون ! قال الله سبحانه : (فلولا أنه كان من المسبحين) يعني من المصلين من قبل أن تنزل البلية ، (للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) [الصافات: ١٤٣] .

قال ابن عباس : من كان ذاكراً لله في الرخاء ، ذكره الله في الشدّة واستجاب له ، ومن يغفل عن الله في الرخاء وذكره في الشدّة ، لم يستجب له . وقال الله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. فقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ

نُنْجِي المُؤمنينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧] . يقول الله تعالى : كذلك نفعل بالصالحين ، إذا وقعوا في الخطيئة ، ثمّ تابوا إليّ ، قبلت منهم .

قال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : « دعا أخي يونس بهذه الدعوة في الظلمات ، فأنجاه الله . فلا يدعو بها مؤمن مكروب إلاّ كشف الله عزّ وجلّ ذلك عنه . إنها عِدَة من الله لا خُلْف لها . »[1]

(١) لم أعثر على هذا الحديث من طريق ابن عباس رضي الله عنه كما ذكر المصنف رحمه الله فيما بين يديّ من المصادر ، وإنما رواه الترمذي ، والنسائي ، والحاكم ، كلهم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت : (لا إله لا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له » . قال الحافظ ابن حجر : وهو حديث حسن .

ذكر التوابين من ملوك الأمم الماضية

٨ — [توبة طالوت]

أخبرنا أحمد بن المبارك ، أنا ثابت ، أنا أبو علي بن دوما ، أخبرنا مخلد بن جعفر ، أنا الحسن بن علويه ، أنا إسماعيل بن عيسى ، أنا إسحاق ابن بشر ، أنا أبو إلياس ، عن وهب بن منبّه : أنّ داود عليه السلام لمّا قتل جالوت ، وانصرف طالوت ببني إسرائيل مظفّراً ، فزوّج ابنته من داود وقاسمه نصف ملكه ، واجتمعت بنو إسرائيل ، وقالوا : نخلع طالوت ونجعل علينا داود فإنه من آل يهوذا وهو أحقّ بالملك . فلمّا أحسّ طالوت بذلك ، وخاف على ملكه ، أراد أن يغتال داود فيقتله . فأشار عليه بعض وزرائه : إنّك لا تقدر على قتله إلاّ أن تساعدك ابنتك . فدخل طالوت على ابنته ، فقال لها : يا بنيّة ! إني أريد أمراً وأحبّ أن تساعديني عليه . قالت : وما ذاك ؟ قال : أريد أن أقتل داود ، فانه قد فرّق عليَّ الناس . فقالت : يا أبتِ[1] إنّ داود له صولة ، شديد الغضب ، فلست آمن عليكَ إن لم تستطع قتله ،

(١) في مطبوعة المعهد الفرنسي : ياأبة ، وسنرمز لها فيا بعد بـ « المطبوعة » لأنه لم يطبع سواها.

أن يظفر بك فيقتلك[١] ، فإذا أنت قد لقيت الله قاتلاً لنفسك مستحلاً لداود ! وعجبٌ منك ومما أعرف من حلمك وسداد[٢] رأيك ! كيف أسلمك الى هذا الرأي القصير وهذه الحيلة الضعيفة بالتقدم إلى داود ، وأنت تعلم أنه أشدُّ أهل الأرض نفساً وأبسلهم عند الموت ؟!. فقال طالوت : إنّي لاأسمع[٣] قول مفتونة بزوج، قد منعها حبها إياه أن تقبل من أبيها وتناصحه ، واعلمي أني لم أدْعُكِ الى مادعوتك اليه إلاّ وقد وُطنت نفسي على قطع صهره[٤] . إما أن أقتلكِ ، وإما أن تقتليه . قالت : فأمهلني حتى إذا وجدت فرصة أعلمتك .

قال : وأخبرنا جويبر عن الضحّاك عن ابن عباس ،أنها انطلقت فأخذت زقاً ، ثمّ ملأته خمراً ، ثم طيّبته بالمسك والعنبر وأنواع الطيب، ثمّ أضجعت الزقّ على سرير داود ولحفته بلحاف داود ، وأفشت الى داود ذلك ، وأدخلته المخدع ، وأعلمت طالوت ، وقالت : هلمّ الى داود فاقتله . فجاء حتّى دخل البيت ومعه السيف . ثمَ قالت : هو ذاك ، فشأنك وشأنه . فوضع السيف على قلبه ثمّ اتكأ عليه حتّى أنفذه ، فانتضح الخمر ونفح منه ريح المسك والطيب . قال : ياداود ! ما أطيبك ميتاً،وكنت وأنت حيّ أطيب منك ميتاً ، وكنت طاهراً

---

(١) في « ب » والمطبوعة : إن ظفر بك قتلك.

(٢) السَّداد ، بفتح السين : الصواب من القول والعمل ، والاستقامة . وأما سِداد القارورة والثغر ، فبالكسر فقط .

(٣) في « ب » والمطبوعة: لأسمع .

(٤) الصهر : القرابة ، وزوج بنت الرجل، وزوج أخته. وفي « ب » والمطبوعة: على قطع ظهره .

نقياً ! وندم ، فبكى وأخذ السيف فأهوى به الى نفسه ليقتلها ، فاحتضنته ابنته وقالت : ياأبت ! مالك؟ قد ظفرتَ بعدوّكَ وقتلته ، وأراحكَ الله منه ، وصفا لك الملك. قال: يابنيّة ! قد علمتِ أن الحسد والغيرة [١] حملاني على قتله وصرتُ من أهل النار ،وإنّ بني إسرائيل لايرضون بذلك ، فأنا [٢] قاتل نفسي . قلت : ياأبت أفكان يسرك أن لم تكن [٣] قتلته ؟ قال : نعم . قال : فأخرجت داود من البيت ، فقالت : ياأبت ! إنك لم تقتله ، وهذا داود ! قال : وندم طالوت .

قال إسحاق : وأخبرنا ابن سمعان عن مكحول ، قال ، زعم أهل الكتاب أن طالوت طلب التوبة الى الله تبارك وتعالى، وجعل يلتمس التنصّل من ذنوبه ، وانه أتى عجوزاً من عجائز بني إسرائيل كانت تحسن لاسم الذي به يدعى الله فيجيب . فقال لها : إني قد أخطأت خطيئة لايخبرني عن كفارتها إلا إليسع ، فهل أنت منطلقة بي الى قبره فتدعين الله عزّ وجل ليبعثه حتى أساله عن خطيئتي ما كفّارتها ؟ قالت : نعم . فانطلق بها حتى أتى قبره . قال:فصلت ركعتين ثم دعت الله عز وجل ، فخرج اليه إليسع ، فقال : يا طالوت ! ما بلغت [٤]

(١) في « ب » والمطبوعة : والغبن .

(٢) وفي نسخة : فاني .

(٣) في المطبوعة : إن لم تكن بكسر الهمزة ، وهو خطأ .

(٤) في « ب » : بلغت .

خطيئتك أن أخرجتني من مضجعي الذي أنا فيه ؟! قال : يانبي الله ! ضاق عليّ أمري فلم يكن لي بد من مسألتك عنه . قال : فإن كفارة خطيئتك أن تجاهد بنفسك وأهل بيتك حتى لايبقى منكم أحد . ثم رجع إليسع الى مضجعه ،وفعل ذلك طالوت حتى قتل هو وأهل بيته.

٩ — [توبة ابن ملك من ملوك بني اسرائيل]

أخبرنا أبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن صابر السلمي ، أنا أبو القاسم علي بن إبراهيم بن العباس الحسني ، أنا أبو الحسن رشأ ابن نظيف المقرىء ، أنا أبو محمد الحسن بن اسماعيل الضراب ، أنا أبو بكر أحمد بن مروان المالكي ، حدثنا الحارث بن أبي أسامة ،ثنا مروان بن معاوية بن عمرو ثنا أبو بكر العجلي، ثنا أبو عقيل الدورقي عن بكر بن عبد الله المزني ، قال :

كان رجل من ملوك بني إسرائيل ، قد أعطي طول عمُر وكثرة أموال وكثرة أولاد . وكان أولاده إذا كبر أحدهم لبس ثياب الشعر ، ولحق بالجبال ، وأكل من الشجر ، وساح في الارض حتى يأتيه الموت .ففعل ذلك جماعتهم رجل بعد رجل ثم تتابع بنوه على ذلك .

وأصاب ولداً بعد كبر ، فدعا قومه ، فقال : إني قد أصبت ولداً بعد ما كبرت ، وترون شفقتي عليكم ، وإني أخاف أن يتبع هذا سنّة إخوته . وأنا أخاف عليكم إن لم يكن عليكم أحد من ولدي بعدي أن تهلكوا ، فخذوه الآن في صغر سنه ،فحببوا إليه الدنيا ، فعسى أن يبقى من بعدي عليكم . فبنوا له حائطاً فرسخاً في فرسخ ، فكان فيه دهراً من دهره .

ثم ركب يوماً فإذا عليه حائط مصمت،فقال : إني أحسب ان خلف هذا الحائط ناساً وعالماً آخر ، فأخرجوني أزدد علماً وألقى النـــاس . فقيل ذلك لأبيه ،ففزع وخشي أن يتبـع سنّـة إخوته ، فقال : اجمعوا عليه كل لهو ولعب ، ففعلوا ذلك .

ثم ركب في السنة الثانية ، فقال : لابد من الخروج . فأُخبر بذلك الشيـخ ، فقال : أخرجوه .فجُـعل على عجلة وكلل بالزبرجد والذهب وصار حوله حافتان من الناس. فبينا هو يسير إذا هو برجل مبتلىً (١) فقال : ما هذا ؟ قالوا : رجل مبتلى (١) . فقال : أيصيب ناسـاً دون ناس أو كلّ خائف له ؟ قالوا : كل خائف له . قال : وأنا فيما انا فيه من السلطان ؟ قالوا :نعم ، قال: أف لعيشكم هذا ! هذا عيش كدر . فرجع مغموماً محزوناً، فقيل لأبيه ، فقال: انشروا عليه كل لهو وباطل حتى تنزعوا من قلبه هذا الحزن والغمّ .

فلبث حولا ، ثمّ قال : أخرجوني ، فاخرج على مثل حاله الأول . فبينـا هو يسير إذا هـو برجل قـد هرم ، ولعابـــه يسيل من فيـه . فقال : ما هذا ؟ قالوا : رجل قد هرم . قال : يصيب ناسـاً دون ناس أو كلّ خائف له إن هو عُمّـر ؟ قالوا : كلّ خائف له . قـــال :أفٍّ لعيشكم هذا ! هذا عيش لايصفو لأحد . فـاخبر بذلك أبوه ، فقـال : احشروا عليه كلّ لهو وباطل . فحشروا عليه .

---

(١) في المطبوعة : مبتلٍ ، وهو خطأ .

فمكث حولاً ، ثمّ ركب على مثل حاله . فبينا هو يسير إذا هـــو بسرير تحمله الرجال على عواتقها .فقال : ما هذا ؟ قالوا : رجل مات. قال لهم : وما الموت ؟ إيتوني به ! فأتوه به . فقال : أجلسوه.فقالوا. إنه لايجلس . قال: كلموه . قالوا : إنّه لا يتكلم . قال . فأين تذهبون به ؟ قالوا : ندفنه تحت الثرى . قال : فيكون ماذا بعد هذا ؟ قـالوا : الحشر . قال لهم : وما الحشر ؟ قالوا : (يوم يقوم الناس لربّ العالمين) [المطففين:٥]، فيجزى كلّ واحد على قدر حسناته وسيئـاته . قال : ولكم دار غير هذه تُجازون فيها ؟ قالوا:نعم . فرمى بنفسه من الفرس وجعل يعفّـر وجهه في التراب ، وقال لهم : مِن هذا كنت أخشى ! كاد هذا يأتي عليّ وأنا لا أعلم به ،أمّـا وربّ يعطي ويحشر ويجازي ! إنّ هذا آخر العهد (١) بيني وبينكم ، فلا سبيل لـكم عليّ بعد هـذا اليوم . فقالوا : لاندعك حتى نردك الى أبيك .

قال : فردوه الى أبيه ، وكاد ينزَف دمه . فقـال : يابنيَّ ! ماهـذا الجزع ؟ قال : جزعي ليوم يُعطى فيه الصغير والـكبير مجـازاتهـما ما عملا من الخير والشر . فدعا بثياب فلبسهـا ، وقـال : إني عـازم في الليل أن أخرج . فلما كان في نصف الليل ، أو قريباً منه ، خرج . فلما خـرج من باب القصر ، قال: اللهـمّ ! إني أسـالك أمراً ليس لي منه قليل ولا كثير ، قد سبقت فيه المقادير . إلهي ! لوددتُ أن الماء كان في

(١) في « ب » والمطبوعة : آخر الدهر .

الماء،وأن الطين كان في الطين ،ولم أنظر بعينيَّ الى الدنيا نظرة واحدة .

قال بكر بن عبد الله : فهذا رجل خرج من ذنب واحد لايعلم ماذا عليه ، فكيف بمن يذنب وهو يعلم ما عليه فيه ، ولا يتحرج ولا يجزع ولا يتوب ؟!

١٠ — [توبة صاحب الخورنق]

أخبرنا عبد الله بن عبدالرحمن، اناعليّ بن إبراهيم،انا رشأ،انا الحسن ابن اسماعيل، انا أحمد بن مروان قال: ثنا محمدبن عبدالعزيز ،ثنا أبي عن بهلول بن حسّان عن اسحاق بن زياد عن شبيب بن شبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم ، قال :

إنّ ملكا من الملوك خرج الى الخورنق [١] والسدير في عام قد بكر وسميُّه وتتابع وليُّه ، وأخذت الأرض فيه زخرفها وزينتها . وكان قد أعطي بسطة في الملك مع الكثرة والغلبة والقهر . فنظر فأبعد النظر، فقال لجلسائه : لمن هذا ؟ قالوا : للملك . قال : فهل رأيتم أحداً أعطي مثل ما أُعطيت ؟

---

(١) الخورنق : قصر بالحيرة للنعمان بن الشقيقة بناه رجل يقال له: سِنِمّار ، فلما فرغ من بنائه ، عجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمت أنكم توفوني أجرتي ، وتصنعون بي ما أستحقه، لبنيته بناءً يدور مع الشمس حيثما دارت، فقالوا : وإنك لتبني ماهو أفضل منه ولم تبنه ؟! ثم أمر به فطرح من أعلى القصر .

والسدير : ذكر صاحب «القاموس» أنه نهر بالحيرة ، وقال شارحه :وقيل : السدير: قصر في الحيرة من منازل آل المنذر وأبنيتهم ، وذكر الخلاف ياقوت في «معجم البلدان» فقال : السدير : نهر ، وقيل : قصر قريب من الخورنق كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض ملوك العجم . وانظر خبره في« الاغاني » ٢/١٤٤،١٤٥

قال : وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة ، ولم تخل الأرض من قائم لله بحجته في عباده : فقال : أيها الملك ! إنك قد سألت عن أمر ، أفتأذن لي بالجواب عنه ؟ قال : نعم : قال أرأيت ما أنت فيه ، أشيء لم تزل فيه ، أم شيء صار إليك ميراثاً ، وهو زائل عنك، وصائر الى غيرك كما صار إليك ؟ قال : كذلك هو . قال : فلا أراك إلا أعجبت بشيء يسير[1] لا تكون فيه إلا قليلاً وتنقل عنه طويلا ، فيكون غداً عليك حساباً. قال: ويحك ! فأين المهرب وأين المطلب؟ وأخذته القُشعريرة[2] قال : إما أن تقيم في ملكك فتعمل فيه بطاعة الله على ماساءك وسرك وآمضك وأرمضك ، وإما أن تنخلع عن ملكك وتضع تاجك وتلقي عليك أطمارك ، وتعبد ربك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلك . فقال : إني مفكر الليلة وأوافيك في السحر فأخبرك باحدى[3] المنزلتين .

فلما كان في السحر قرع عليه بابه ، فقال: إني اخترت هذا الجبل وفلوات الارض وقفر البلاد ،وقد لبست علي أمساحي ووضعت تاجي، فإن كنت رفيقا فلا تخالف . فلزما والله الجبل حتى أتاهما أجلهما جميعا. وهو الذي يقول فيه أخو بني تميم عدي بن زيد العبادي[4] :

---

(١) في المطبوعة : أفلا أراك إنما عجبت بشيء يسير ، وهو خطأ .

(٢) في المطبوعة : الإقشعريرة .

(٣) في المطبوعة : فأخبرك إحدى .

(٤) هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن مناة بن تميم، شاعر فصيح من شعراء الجاهلية =

أيها الشامتُ المعيِّرُ بالدهـ ـر أأنتَ المبرأُ الموفورُ [1]

أمْ لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيـ ـامِ بلْ أنتَ جاهلٌ مغرورُ

منْ رأيتَ المنون خلّدنَ أمْ منْ ذا عليهِ من أنْ يضامَ خفيرُ [2]

أينَ كسرى كسرى الملوكِ أنوشر وانَ أمْ أينَ قبلهُ سابورُ [3]

وبنو الأصفرِ الكرامِ ملوكُ الـ ـرومِ لمْ يبقَ منهمْ مذكورُ

وأخو الحضر إذْ بناه وإذ دجـ ـلةُ تُجبَى إليهِ والخابورُ [4]

شادهُ مرمراً وجلّلهُ كلـ ـساً فللطيرِ في ذُراه وكورُ

لمْ يهبهُ ريبُ المنونِ فبادَ الـ ـملكُ عنهُ فبابهُ مهجورُ

= ولايعد من الفحول ، قال ابن قتيبة : وكان يسكن الحيرة ، ويدخل الارياف ، فثقل لسانه ، واحتمل عنه شيء كثير جـداً، وعلماؤنا لايرون شعره حجة ، وله أربع قصائد غرر . انظر ترجمته في«الأغاني» ٢/٩٧ ، ١٥٦ « والخزانة » ١/١٨٣، ١٨٦ للبغدادي، ومعاهد «التنصيص» ١٣٩ ، ١٤٥، و«الشعر والشعراء» ١/١٧٦ ، ١٨٠ .

(١) الأبيات في «الشعر والشعراء» ١/١٧٦، ١٧٧، و«الأغاني» ٢/١٣٨، ١٣٩، و« حماسة البحتري » ٨٦ ، ٨٧ .

(٢) في «اللسان» مادة : منّ :عزين، بدل « خلدن » والمنون : الموت ، وقيل: الدهر ، وقد جعله عدي بن زيد جمعاً، وأورد هذا البيت ،وفي «معاهد التنصيص »١٤١ جازته ، بدل : خلدن

(٣) في « الشعر والشعراء » : أبو ساسان . وسابور الجنود هو ابن أردشير ، وسابور ذو الاكتاف وهو سابور بن هرمز ، وكلاهما من ملوك العجم قبل كسرى أنو شروان .

(٤) في المطبوعة : تحيا،بدل،«تجبى».والحضر ، بفتح الحاء وسكون الضاد : مدينة بازاء تكريت بينها وبين الموصل والفرات ، كانت مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها .

والخابور : اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة .

وَتذكَّرْ رَبُّ الخوَرْنَقِ إذْ أشْـــرَفَ يَوْماً وَلِلهُدَى تفكير[1]
سَرَّهُ مَالُـهُ وَكَـثْرَةُ مَـــا يَمْـــلكُ وَالبحرُ معرِضاً والسَّدير[2]
فَارْعوى قَـلبُـهُ وَقَالَ ومَاغِبْـــطَةُ حَـيٍّ إلى المَمَاتِ يَصيرُ.[3]

١١ — [توبة النعمان بن امرئ القيس الاكبر]

قال أحمد بن مروان : وحدثنا أحمـد بن يوسف حدثنـا محمـد بن سلام الجمحي عن الاصمعي أن النعمان بن امرىء القيس الأكبر ، وهـو الذي بنى الخورنق ، ركب يوماًفاشرف علىالخورنق،فنظر الى ماحوله فقال لمن حضره : هل علمتم أحداً أوتيَ مثل ما أوتيتُ ؟ فقالوا : لا،إلا رجل منهم ساكت لايتكلم ، وكان من حكمائهم. فقال له :مالكلاتتكلم؟ فقال : أيها الملك ، إن أذنت لي تكلمت . فقـال : تكلم . قال : أرأيت ما جمعتَ ، أشيء هو لك لم يزلولايزول،أمهو شيء كان لمن كان قبلك وزال عنه وصار إليك وكذلك يزول عنك ؟ قال : لابل كان لمن قبـلي فزال عنه وصار إليّ وكذلك يزول عني . قال : فسررت بشيء تزول

---

(١) في «الشعر والشعراء» : « وتبين » ، وفي « شعراء الجاهلية » : « وتفكر ».

(٢) معرضاً بمعنى متسع ، ومنه : أعرض الثوب ، أي اتسع وعرض .

(٣) وبعد هذا البيت .

ثُم بَعد الفلاح والملك والإ مّـةِ وارتهم هُنـــاكَ القبور
ثمّ صَارُوا كأنهم ورق جــــــــفّ فألوت به الصبا والدّبور

عنك لذَّتُه غداً وتبقى تَبِعتُه عليك ؟! تكون فيه قليلا وترتهن فيه كثيراً طويلا ؟ !

قال : فبكى وقال له : أين المهرب ؟ قال : الى أحد أمرين : إما أن تقيم فتعمل بطاعة ربك ، وإما أن تلقي عليك أمساحاً ، ثم تلحق بجبل وتفر من الناس وتقيم وحدك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك . قال : فاذا فعلتُ ذلك فما لي ؟ فقال : حياة لاتموت ،وشباب لايهرم ، وصحة لاتسقم ،وملك جديد لا يبلى . فقال له: أيها الحكيم! فكل ما أرى الى فناءٍ وزوال ؟ قال : نعم .قال : فأي خير فيما يفنى ؟ والله لأطلبن عيشاً لا يزول أبداً .

قال : فانخلع من ملكه ولبس الأمساح وسار في الارض . وتبعه الحكيم ،فعبدا الله جميعاً حتى ماتا .وهو الذي يقول فيه عدي بن زيد الشاعر :

وَتَذَكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إذْ أشْـ ـرَفَ يَوْماً وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ
سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْـ ـلِكُ وَالْبَحرُ مُعْرِضاً والسدير
فَارْعَوَى قَلْبُهُ فقالَ وَماغِبْـ ـطَةُ حَيٍّ إلى الْمَمَاتِ يَصِيرُ

وفيهم يقول الأسود بن يَعْفُر[1] :

مَاذَا أُؤَمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ ... تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وبَعدَ إِيَادِ[2]

أهْلِ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارقٍ ... والقَصرِ ذي الشُّرُفاتِ منْ سِنْدادِ[3]

نَزَلوا بأنْقُرَةٍ يَسيلُ عليهِمُ ... مَاءُ الفُراتِ يَجِيءُ منْ أطْوادِ[4]

أرْضٌ تخَيَّرَها لِطيبِ مَقيلِها ... كَعْبُ بنُ مامَةَ وابنُ أُمِّ دُؤادِ[5]

جرَتِ الرِّياحُ على مَحَلِّ دِيارِهِمْ ... فكأنَّمَا كانُوا على مِيعادِ[6]

---

(١) هو الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وهو أحد العشي هو أعشى بني نهشل يكنى أبا الجراح شاعر جاهلي مقدم فصيح فحل كان ينادم النعمان بن المنذر ، ولما أسن كف بصره .

(٢) الأبيات من قصيدة طويلة رائعة لاحقة بأول الشعر، معدودة من مختار أشعار العرب وحكمها، وهي في «المفضليات» : ٢١٦ ، ٢٢٠ ، و«منتهى الطلب» ١/٨١ ، ٨٢ ، و«شعراء الجاهلية» ٤٨٠ ، ٤٨٣ .

(٣) سنداد : نهر أسفل من الحيرة بينها وبين البصرة ، وقال الأنباري : «سنداد» الرواية بكسر السين إلا أن أحمد أنشد فيه بالفتح ، وسألت ثعلباً عنها فلم يعرف غير الكسر .

(٤) أنقرة : بكسر القاف وبضمها : بلد بالحيرة بالقرب من الشام وهي غير أنقرة التي في بلاد الروم . الأطواد : الجبال .

(٥) في «المفضليات» أرضاً تخيرها لدار أبيهم. وكعب بن مامة هو الإيادي أحد أجواد العرب في الجاهلية وابن أم دؤاد نقل الأنباري عن أحمد بن عبيد أنه يعني به أبا دؤاد الإيادي وهو الشاعر المعروف .

(٦) البيت في وقعة صفين : ١٥٩ تمثل به الحر بن قيس وهو ينظر إلى آثار كسرى، =

فَأَرَى النَّعِيمَ وَكلَ مَا يُلْهِي بهِ يَوْماً يَصيرُ إِلَى بِلَى وَنَفَادِ[1]

١٢ ـ [نوبة ملك من الملوك]

وذكر محمَّد بن أحمد بن البراء في كتاب «الروضة» قال: حدّثنا أحمد ابن إبراهيم ثنا جويبر[2] بن أسماء عن أبي معدان عن عون بن عبد الله ابن عتبة قال: حدّثت عمر بن عبد العزيز بحديث، فكأنّ معناه وقع منه، حدّثته أنّ ملكاً ممّن كان قبلنا ابتنى بنية[3] فتنوّق في بنائها. ثمّ صنع طعاماً ودعا الناس إليه، وأقعد على أبوابها ناساً يسألون كلّ من خرج: هل رأيتم عيباً؟ فيقولون: لا، حتّى جاء ناس في آخر ما جاء، عليهم أكسية، فسألوهم: هل رأيتم عيباً؟ قالوا: عيبين اثنين. قال: فحبسوهم، ودخلوا على الملك فقالوا: قد دخل الناس فسألناهم، فذكروا أنّهم لم يروا عيباً، حتّى جاء قوم عليهم أكسية ـ أظنّه قال: شباب ـ فسألناهم، فقالوا: رأينا عيبين اثنين. قال: ما كنت أرضى بواحد،

= فقال له علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: أفلا قلت: (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قوماً آخرين، فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين) [الدخان: ٢٥-٢٩] إن هؤلاء كانوا وارثين، فأصبحوا موروثين، إن هؤلاء لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية، إياكم وكفر النعم لا تحل بكم النقم.

(١) في «المفضليات»: فاذا النعيم.

(٢) في «ب» والمطبوعة: جويرية.

(٣) في «ب»: مدينة.

فائتـوني بهم قال : فادخلوهم عليه . قال : هل رأيتم عيباً ؟ قالوا : عيبين اثنين . قال : وما هما ؟ قالوا : تخرب ويموت صاحبها . قال : وهل تعلمون داراً لا تخرب ولا يموت صاحبها ؟ [قالوا : نعم ، قال : وما هي ؟ قـالوا : دار الآخرة] [1] قـال : فدعوه ، فاستجاب لهم . قال : فقال لهم : إن جئت معكم علانية لم يـدَعْـني أهل مملكتي ، ولكن ميعادكم موضع كذا وكذا . قال : فكان معهم زماناً . ثمّ قـال لهم ذات يوم : عليكم السلام . قال : فقالوا : ما لك ؟ أرأيت منّـا شيئاً تكرهه؟ قال : لا . قالوا : فما حملك على هذا؟قال:أنتم تعرفوني فانتم تكرمونني لحالي التي كنت عليها . قال : فكانّ معناه وقع من عمر موقعاً. فذهبت إلى مسلمة فأخبرته . قال : فدخل مسلمة على عمر وقد كان حدّثه بهذا الحديث . قال : فقال : ويحك يامسلمه ! أرأيت رجلاً حُمّـل مالايطيق ففرّ إلى ربّه عزّ وجـلّ ، فهل ترى عليه بذلك بأساً ؟ قال : فاتق الله [2] ، ياأمير المؤمنين في أمّـة محمد ﷺ ، فوالله لئن فعلت ليقتتلُـن بأسيافهم . قـال : ويحك يا مسلمة ! حـُمّـلت ما لا أطيق ! فردّدها ، وجعل مسلمة يناشده حتى سكن .

---

(١) ما بين المعقفين سقط من « ب » والمطبوعة ، ولا يستقيم المعنى بدونها .
(٢) في « أ » تتق ، وفي « ب » والمطبوعة : يتق .

١٣ — [توبة امرىء القيس]

وروى المرزبانيّ عن الأزديّ ، قال : كان امرؤ القيس الكندي ، وهو مخرّق الأول ، طويل المصاحبة للّهو والـلذّات ، كثير العكوف على اللعب . فركب يوماً إمّا متبدّياً وإمّا متصيّداً ، فانقطع عن أصحابه . فإذا هو برجل جالس قد جمع عظاماً من عظام الموتى وهي بين يديه يقلّبها . فقال : ما قصّتك أيّها الرجل وما بلغ بك إلى ما أرى من سوء الحال وشسوف الجسم (١) وتلويح اللون والانفراد في هذه الفلاة؟فقال : أمّا ذلك فلأني على جناح سفر بعيد ، وبي موكّلان مزعجان يحدوان بي إلى منزل ضنك المحلّ ، مظلم القعر ، كريه المقرّ . ثم يسلماني إلى مصاحبة البلى ومجاورة الهلكى تحت أطباق الثرى . فلو تُركت بذلك المنزل مع جفائه وضيقه ووحشته ، وارتعاء خشاش (٢) الأرض في لحمي وعصبي حتى أعود رفاتاً وتصير أعظمي رمماً ، كان للبلاء (٣) انقضاء وللشقاء نهاية ؛ ولكني أُدفَع بعد ذلك إلى صيحة الحشر وأرد لهول مواقف الجزاء . ثم لا أدري إلى أيّ الدارين

---

(١) شسوف الجسم : يبسه ضراً وهزالاً . وفي المطبوعة : شفوف . والشفوف : نحول الجسم من الهم والوجد .

(٢) في المطبوعة : وارتعى أحناش . وخشاش الأرض : حشراتها والعصافير ونحوها .

(٣) في المطبوعة : للبلى .

يؤمر بي . فأيّ حال يلتذّ به من يكون إلى هذا الأمر مصيره [1] ؟

فلمّا سمع الملك كلامه ألقى نفسه عن فرسه وجلس بين يديه، وقال: أيّها الرجل ! لقد كدّر مقالك عليّ صفو عيشي ، وملك الاشفاق قلبي ، فأعد عليّ بعض قولك واشرح لي دينك [2] . فقال له : أما ترى هذه التي بين يديّ ؟ قال: بلى . قال : هذه عظام ملوك غرّتهم الدنيا بزخرفها ، واستحوذت على قلوبهم بغرورها . فألهتهم عن التأهّب لهذه المصارع حتى فاجأتهم الآجال وخذلتهم الآمال وسلبتهم بهاء النعمة . وستُنشَر هذه العظام فتعود أجساداً ، ثم تُجازَى بأعمالها ، فإما إلى دار القرار ، وإما إلى محلّ البوار .

ثمّ اختلس [3] الرجل فلم يُرَ له أثر . وتلاحق أصحاب الملك ، وقد امتُقع لونه وتواصلت عبراته وركب وقيذاً [4] . فلمّا جنّ [5] عليه الليل ، نزع ما عليه من لباس الملك ، ولبس طمرين ، وخرج تحت الليل ، فكان آخر العهد به .

---

(١) في المطبوعة : صيوره .

(٢) في المطبوعة : ذنبك .

(٣) في « ب » : التمس ، وفي المطبوعة : انغلس .

(٤) في الأصل: وقيداً: وفي كتب اللغة: والوقيذ من الرجال: البطيء الثقيل، كأن ثقله وضعفه وقذه ، والوقيذ والموقوذ : الشديد المرض الذي قد أشرف على الموت ، وقد وقذه المرض والغم . والوقيذ : الذي يغشى عليه لايدرى أميت أم لا ؟

(٥) في المطبوعة « جن » بضم الجيم على البناء للمجهول وهو خطأ . قال تعالى في [سورة الانعام : ٧٦](فلما جَنّ عليه الليل) ولا يقال « جُن » إلا لفاقد العقل .

١٤ – [توبة ملك من ملوك اليمن]

ورُوي أنـه احترب ملِكان من ملوك اليمن، فغلب أحدهما صاحبه وقتله وشرّد أصحابه ، وزينت له السرر ودارُ الملك ، وتلقّاه الناس ليدخل . فبينا هـو في بعض السكك يقصد دار الإمارة بها ، وقف له رجل كان ينسب للجنون ، فأنشده :

تَسمَّعْ مِنَ الأيّامِ إنْ كُنتَ حازماً ... فإنكَ فيهَا بَيْنَ نَاهٍ وآمِرِ
فكم مَلِكٍ قدْ رُكِّمَ التُّرْبُ فوقَهُ ... وعَهدي به بِالأمْسِ فوقَ المنابرِ
إذا كُنتَ في الدُّنْيا بَصيراً فإنَّما ... بَلاغُكَ منها مِثْلُ زَادِ المُسافرِ
إذا أبْقَتِ الدُّنيا علَى المَرءِ دِينَهُ ... فَمافاتَهُ مِنْها فَلَيْسَ بضائرِ

فقال له : صدقت، ونزل عن فرسه، وفارق أصحابه ، ورقي الجبل وأقسم على أصحابه أن لا يتبعه أحد ، فكان آخر العهد بـه . وبقيت اليمن شاغرة أيّاماً حتى اختير لها من عقدوا له الملك عليها .

١٥ – [توبة ملك من ملوك بني اسرائيل]

وقرأتُ في « الملتقط » عن عبد الواحد بن زيد ، قال : كان في بني إسرائيل عابد لم يكن له إلّا جبّة صوف وقربة يستقي [1] فيها الماء

(١) في المطبوعة : يستسقي .

للناس . فلمّا حضره الموت، قال لأصحابه : إنّي لم أدَع من الدنيا شيئاً إلّا جبّتي وهذه القربة ما أطيق حملها يوم القيامة ، فإذا مت فادفعوها إلى فلان الملك ليحملها مع ما تحمّل من دنياه . فلمّا مات العابد أخبروا الملك بما قاله . فقال الملك : هذا العابد عجز عن حمل جبّة وقربة وأنا تحمّلت من الدنيا ما تحمّلته ! فأخذ الجبّة فلبسها وأخذ القربة وخرج من ملكه فجعل يستقي للناس الماء [1] .

★ ★ ★

١٦ ـ [توبة ملك من ملوك بني اسرائيل]

أخبرنا شيخ الإسلام محيي الدين أبو محمّد عبد القادر بن أبي صالح ابن عبد الله الجيلي [2] أخبرنا أبو بكر أحمد بن المظفر بن سوسن التمار ، أنا أبو علي بن شاذان ، أنا أبو بكر محمّد بن العبّاس بن نجيح البزّاز ، ثنا يعقوب بن يوسف القزويني ، ثنا محمّد بن سعيد ، ثنا عمرو بن أبي قيس ، عن سماك ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن أبيه عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله ﷺ ، قال :

«إن بني إسرائيل استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى ، فقام يصلي في القمر فوق بيت المَقْدس . قال: فذكر أموراً كان يصنعها . قال : فخرج فتدلّى بسبب ، فأصبح السبب متعلّقاً في المسجد وقد ذهب .

(١) كتب هنا في الأصل «أ» :آخر الجزء الأول من الأصل .

(٢) ويقال له : الجيلاني ، والكيلاني ، وهو الشيخ عبد القادر الجيلاني المشهور شيخ المصنف رحمه الله من كبار الزهاد ،اشتهر بالفقه والوعظ ، ولد في جيلان (وراء طبرستان) (٤٧١ هـ) وانتقل إلى بغداد ، كان يأكل من عمل يده ، توفي رحمه الله (٥٦١ هـ) .

قال : فانطلق حتى أتى قوماً على شاطىء البحر بديار مصر ، فوجدهم يصنعون لَبِنَاً[1] فسألهم كيف يأخذون هذا اللَّبِن؟ قال: فأخبروه فلبَّن معهم. وكان يأكل من عمل يده ، فإذا كانَ حين الصلاة تطهّر فصلّى، فرفع ذلك العمّال إلى قهرمانهم[2] انّ فينا رجلاً يفعل كذا وكذا، فأرسل إليه ، فأبى أن يأتيه ثلاث مرّات . ثمّ إنّه جاءه بنفسه يسير على دابته فلما رآه فرّ ، واتّبعه فسبقه ، فقال : أنظرني أكلّمْك . قال : فقام حتى كلّمه ، فأخبره خبره . فلمّا أخبره خبره ، وأنّه كان ملكاً ، وأنّه فرّ من رهبة ربّه عزّ وجلّ ، قال : إنّي لأظنّ أني لاحق بك. قال : فلحقه ، فعبدا الله عزّ وجلّ حتى ماتا بـ « رميلة » مصر . قال عبد الله : إنّي لو كنت ثمّ لاهتديت إلى قبريهما من صفة رسول الله ﷺ التي وصف .

١٧ — [توبة رجل من بني اسرائيل كان يعبد الأصنام]

أخبرنا أبو العبّاس بن المبارك قال : أخبرنا أبو المعالي بن بندار ، قال : أخبرنا أبو عليّ النعالي ، أخبرنا مخلد بن جعفر الباقرحيّ ، أنا الحسن، أنا إسماعيل بن عيسى ، أنا إسحاق بن بشر ، أنا عليّ بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، قال :

كان في بني إسرائيل عابد قد أُعجبوا به ، فذكروه يوماً عند

(١) ويجمع ايضاً على لِبْن مثل فَخِذ، وفِخْذ ، وكَرِش، وكِرْش ، وهو المضروب من الطين مربعاً ، واحده: لَبِنَة ، ولِبْنَة ، وهي التي يبنى بها ، ولبن اللبن : عمله.

(٢) وهو : رئيس القوم .

نبيّهم ، فأثنوا عليه ، فقال : إنّه لكما تقولون ، لكنّه تارك لشيء من السنّة [1] فبلغ العابد ، فقال : فعلام أدئب نفسي !

قال : فهبط من مكانه فأتى النبيّ وعنده الناس ، والنبيّ لا يعرفه بوجهه . فسلّم عليه ، ثمّ قال : يا نبيّ الله ! بلغني أنّي ذكرتُ عندك فقلتَ : إنّه لكذلك ، لولا أنّه تارك لشيء من السنّة ، ففيمَ أدئب نفسي بالليل والنهار وأعتزل [2] الناس ، وإنّما أطلب سنّة الرب عز وجلّ ! قال : أنت فلان ؟ قال : نعم . قال : أما والله ما هو شيء أحدثتَه في الإسلام ولكنّك لم تتزوّج . قال له العابد : وليس إلّا هذا؟ قال : لا . قال : فلما رأى النبيّ استهانته قال : أرأيت لو فعل الناس مثل الذي فعلت من كان يتّقي العدوّ عن المسلمين، ومن كان يأخذ للمظلوم من الظالم ؟ [3] قال : وذكر الصلاة . قال له العابد : صدقت، يا نبيّ الله ! ما أحرّمه ، ولكني أكره أن أتزوّج امرأة مسلمة وأنا فقير فأعضلها ، وليس عندي ما أُنفق عليها، وأمّا الأغنياء فلا يزوّجونني.

---

(١) في «ب» والمطبوعة زيادة كلمة « يعني » بعد قوله : « من السنة » ولا معنى لها هنا .

(٢) في «ب» والمطبوعة : واعتزالي .

(٣) وهذا يدل على مدى حرص بني اسرائيل على الزواج الذي هو سنة الكون ، وسنة الأنبياء والمرسلين ، وأن البعد عنه سبب لتقليل عدد المسلمين ، وقد جاء القرآن الكريم بالحث عليه والترغيب فيه، وأحاديث رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في الأمر به القادر والترغيب فيه كثيرة جداً ، وكل ماروي من الاحاديث في الترهيب من النكاح والبعد عنه ، فغير صحيح .

فقال له النبيّ : ما بك إلّا هذا؟ قال ، فما بي إلّا هذا . قال : أنا أزوّجك ابنتي . قال : قد فعلت . قال : فزوّجه ، فولدت له غلاماً . قال ابن عباس : فوالله ما وُلد في بني إسرائيل مولود ذكر قطّ كانوا أشد فرحاً به من ذلك الغلام . قال ، قالوا : ابن نبيّنا وابن عابدنا ! إنّا لنرجو أن يبلغ بنا ما بلغ رجل (١) . قال : فلمّا بلغ الغلام انقطع إلى عَبَدَة الأوثان ، وانقطعوا إليه ، وكثروا عنده . قال : فبينا هم عنده يوماً ، إذ قال : إنّي أراكم كثيراً ، فما بال هؤلاء القوم قاهرين لكم (٢) ؟ فقالوا : إنّ لهم رأساً يجمعهم وليس لنا رأس . قال : فما يمنعكم إلّا هذا ؟ قالوا : نعم . قال : فأنا رأسكم . قالوا : وتفعل ؟ قال : نعم . قال : فخرج وخرجوا معه . قال : فبلغ ذلك النبي وبلغ أباه ، فاجتمع بنو إسرائيل إلى النبيّ وأبوه معهم ، فأرسل إليه يذكّره بالله ، وأن يرجع إلى الإسلام ، فأبى. فخرج إليه النبيّ ، وخرج أبوه معه ، فالتقى القوم واقتتلوا حتى كثرت الدماء فيهم ، وقُتِل النبي وقتل أبوه مع النبيّ . وانهزم بنو إسرائيل ، واتبعهم يفنيهم ويبعث في آثارهم يقتلهم . قال : فلحق أحبارهم بالجبال ، واستقام له الناس . قال : فجعلت نفسه لا تَدَعه (٢) وظنّ أنّ ذلك الملك لا يستقيم له حتّى يفنيَ بني إسرائِل . قال: فجعل

(١) وعلى هامش «أ» نسخة : أن يبلغ منا مابلغ رجل .

(٢) في « أ » و « ب » والمطبوعة زيادة كلمة « يعني » هنا في المكانين ، ولا معنى لها .

يبعث في طلبهم في الجبال يقتّلهم ، فاستقام له الناس ، واشتدّ ملكه . فلمّا رأى أحبار بني إسرائيل ما يفعل بهم ، قالوا: خلّينا عن هذا الرجل وعن ملكه وليس يَدَعنا ! لقد بؤنا[1] بغضب من الله ، فررنا عن نبيّنا وعابدنا حتّى تُتلا وليس يَدَعنا ، فتعالَوا نتوب إلى الله عزّ وجلّ ونلقى هذا الرجل فنقاتل ونحن تائبون . قال: فولّوا رجلاً منهم أمرهم ، وبايعوا له ، وهبطوا وقد وطّنوا أنفسهم على الموت ، وتابوا إلى الله عزّ وجلّ . قال : فخرج إليهم ، فاقتتلوا أوّل يوم من أوّل النهار حتّى حال بينهم الليل . ثمّ غَدَوْا فاقتتلوا حتّى كثرت الدماء في الفريقين ، حتّى حال بينهم الليل . قال ابن عبّاس : فغدوا اليوم الثالث وقد صبّروا أنفسهم لله فاقتتلوا قتالاً شديداً . وقال لهم صاحبهم : إنّي لأرجو أن يكون الله قد تاب عليكم وقَبل توبتنا ، فإنّي أرى الصبر قد أُنزل علينا،وصارت الريح لنا، فإن ظَفِرتم به ، فإن استطعتم أن تأخذوه سليماًفلا تقتلوه. قال: فاقتتلوا إلى قريب من الليل، لاهؤلاء يفرّون ولا هؤلاء يهربون . فلمّا كان في آخر النهار وعرف الله منهم الصدق ،أنزل عليهم النصر ، فهزموهم بإذن الله ، وقتلوهم ، وأخذوه سليماً فأتَوْا به . قال : فاجتمع بنوا إسرائيل إلى صاحبهم ، فقال لهم: ما جزاء رجل من أنفسنا قتل نبيّنا وقتل والده وأدخل علينا عبدة الأوثان حتّى قتلونا وشرّدونا في البلاد ؟ فقائل يقول : احرقوه !

---

(١) أي رجعنا .

وقائل يقول : قطعوه ! وقائـل يقول : عذّبوه ! فكلّما قالوا له شيئاً من هذا قال : هذا ياتي على نفسه . قالوا : فانت أعلم . قال : فإنّي أرى أن ناخذه فنصلبه حيّاً ولا نطعمه ولانسقيه ولا نقتله ونَدَعه حتّى يموت . قالوا له : افعل . فصُلب حيّاً وجعلوا عليه الحرس . قال : فمكث يومه ومن الغد واليوم الثالث حتّى أمسى ، فلمّا أمسى رأى الموت . فدعا[1] آلهته التي كان يعبد من دون الله عزّ وجلّ . قال : فبدأ بأفضلها في نفسه ، فيدعوه ، فإذا لم يجبه جاوزه ، ودعا الآخر . فأتى على آلهته جميعاً يدعوهم فلا يجيبونه ، وذلك في جوف الليل . قال: اللّهمّ إله جدّي وأبي ! إنّي قد ظلمت نفسي ودعوتُ هذه الآلهة التي كنت أعبدها من دونك ، فلو كان عندها خير لأجابتني ، فاغفر لي وخلّصني مما أنا فيه . فتحلّلت عنه العُقَد فإذا هو في أسفل الجذع .

وفي حديث آخر ، قال : فجعل يدعو صنماً صنماً ، فلا يجيبه[2] أحد . قال : فنظر إلى السماء وقال : يا حنّان ! يامنّان ! أشهد أنّ كلّ معبود من لدن عرشك إلى قرار أرضك باطل إلا وجهك الكريم أنت فاغثني . قال : فبعث الله عزّ وجلّ ملكاً ، فحلّه عن خشبته فانزله . قال ابن عبّاس :فأخذه الحرس فأَتَوا به صاحبهم ، واجتمع بنو إسرائيل ، فقال : ماتأمرون في هذا ؟ قالوا : ما ترى فيه ، الله عزّ

(١) في « أ » و «ب» : دعا .

(٢) في المطبوعة : لايجيبه .

رجلٌ حلمه وتقول لنا : ماتأمرون فيه! قال : صدقتم ، ولكن أحببت أن أستأمركم . قال : فخلّوا عنه .

قال سعيد بن جبير : سمعت ابن عبّاس يقول : والله ما كان في بني إسرائيل بعده رجل خيراً [1] منه ولا أفضل.

١٨ - [توبة ملك من الملوك]

أخبرنا الإمام أبو الحسين عليّ بن عساكر بن المرحّب البطائحيّ المقرىء ، أنبأ أبو طالب اليوسفي ، أنبأ ابن المذهب ، أنبأ أبو بكر القطيعيّ ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثنا هدبة ، ثنا حمّاد بن سلمة ، عن ثابت وحميد ، عن بكر بن عبد الله المزنيّ ، قال :

كان فيمن كان قبلكم ملك ، وكان متمرّداً على ربّه عزّ وجلّ ، فغزاه المسلمون فأخذوه سليماً ، فقالو : بأي قتلة نقتله ؟ فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له قمقماً [2] عظيماً ، ويؤججوا [3] تحته النار ، ولايقتلوه حتى يذيقوه طعم العذاب . ففعلوا ذلك به . قال : فجعل يدعو آلهته واحداً واحداً : يا فلان ! بما كنت أعبدك به وأصلّي لك وأمسح وجهك ، فأنقذني مما أنا فيه . فلمّا رآهم لايغنون عنه شيئاً ، رفع رأسه إلى السماء ، وقال : لا إله إلا الله ! ودعا مخلصاً ، فصبّ الله عليه مثعباً من السماء [4] فأطفأ

(١) في المطبوعة : حير ، وهو خطأ .

(٢) القمقم : الجرة ، وضرب من الأواني ، وما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره ، ويكون ضيق الرأس .

(٣) في نسخة : ويحشوا ، بمعنى يوقدوا .

(٤) المثعب : مسيل من الماء .

تلك النار ، وجاءت ريح فاحتملت ذلك القمقم فجعلت تدور بين السماء والأرض ، وهو يقول : لا إله إلّا الله ! فقذفه الله إلى قوم لايعبدون اللهعزَّ وجلَّ وهو يقول :لاإله إلّا الله!فاستخرجوهفقالوا: ويحك ! ما لك ؟ فقال : أنا ملك بني فلان ، كان من أمري ، وكان من أمري [1] . فقصَّ عليهم القصَّة فآمنوا .

١٩- [توبة الملك كنعان]

أخبرنا أحمد بن المبارك ، أنا ثابت ، أنا أبو عليّ بن دوما ، أنا مخلد ، أنا الحسن ، ثنا إسماعيل بن عيسى ، أنا إسحاق بن بشر قال : وحُدِّثت عن ابن سمعان عن بعض أهل العلم بالكتب :

أنّ ذا الكفل كان إليسع بن خطوب الذي كان مع إلياس ، وليس باليسع الذي ذكر الله تبارك وتعالى في القرآن ، وإليسع ذو الكفل كان قبل داود . وذلك أنَّ ملكاً جبّاراً يقال له : كنعان ، وكان لايُطاق في زمانه لظلمه وطغيانه ، وكان ذو الكفل يعبد الله سرّاً منه ، ويكتم إيمانه وهو في مملكته . فقيل للملك : إنّ في مملكتك رجلا يفسد عليك أمرك ويدعو الناس إلى غير عبادتك ، فبعث إليه ليقتله ، فأُتِيَ به . فلمّا دخل عليه ، قال لهُ الملك . ما هذا الذي بلغني عنك أنّك تعبد غيري ؟ فقال له ذو الكفل : اسمع منّي وتفهَّمْ ولا تغضب ، فإنّ

(١) في المطبوعة : وكان من أخذي .

الغضب عدوّ للنفس يحول بينها وبين الحقّ ويـــدعوها الى هواها ، وينبغي لمن قدر ألاّ يغضب ، فإنّـه قادر على ما يريد. قال: تكلّـم . قال: فبدأ ذو الكفل وافتتح الكلام بذكر الله عزّ وجـلّ ، والحمـد لله ، ثم قال ذو الكفل : أتزعم أنّـك إلّـه ؟ فإله من تملك ؟ أو إله جميـع الخلق؟ فإن كنت إلّـه من تملك ، فإنّ لك شريكاً فيما لا تملك ، وإن كنت إلّـه الخلق ، فمن إلّـهك ؟ قال له : ويحك ! فمن إلّـهي ؟ قال : إلّـه السماء والأرض وهو خالقها وهـــذه الشمس والقمر والنجوم ، فاتّـق الله واحذر عقوبته ، فإن أنت عبدته ووحّـدته رجوتُ لك ثواباً والخلود في جواره . قال له الملك : أخبرني ، من عبد إلّـهك فما جزاؤه ؟ قال : الجنّـة إذا مات . قال : وما الجنّـة ؟ قال : دار خلقها الله تبارك وتعالى بيده ، فجعلها مسكناً لأوليائه ، يبعثهم يوم القيامة شباباً مرداً أبنـاء ثلاث وثلاثين سنة ، فيدخلهم الجنّـة في نعيم وخلود. شباب لايهرمون، مقيمون لا يظعنون ، أحياء لايموتون ، في نعيم وسرور وبهجة . قال: فما جزاء من لم يعبده وعصاه ؟ قال : النار ، مقرونين مع الشياطين ، مغلغلين بالأصفاد ، لا يموتون أبداً ، في عذاب مقيم وهوانٍ طويـل ، تضربهم الزبانية بمقامع من حديد، طعامهم الزقوم والضريع ، وشرابهم الحميم . فرقّ الملك وبكى لما كان قد سبق له . فقال له : إن أنا آمنت بالله فما لي ؟ قال : الجنّـة . قال : فمن لي بذلك ؟ قال : أنا لك الكفيل ، وأكتب لك على الله تبارك وتعالى كتاباً ، فإذا أتيته تقاضيته بمـــا في كتابك، وفى لك ، فإنّـه قادر قاهر يوفّـيك ويزيدك. ففكّـر المَـلِك في

ذلك ، فأراد الله به الخير ،فقال له : اكتب لي على الله عزّ وجلّ كتاباً.
فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب كتبه فلان الكفيل على الله تعالى لكنعان الملك ثقةً منه بالله تبارك وتعالى ، إنّ الله لا يضيع أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ، ولكنعان على الله عزّ وجلّ بكفالة فلان ، إن تاب ورجع وعبد الله ، أن يدخله الجنّة ويبوّئه منها حيث يشاء ، وإنّ له على الله ما لأوليائه ، وأن يجيره من عذابه ، فإنّه رحيم بالمؤمنين ، واسع الرحمة ، سبقت رحمته غضبه . ثمّ ختم الكتاب[1] ودفعه إليه . ثمّ قال له: أرشدني كيف أصنع . قال : قم فاغتسل والبس ثياباً جدداً ، ففعل . ثمّ أمره أن يتشهّد بشهاده الحقّ ، وأن يبرأ من الشرك ، ففعل . ثمّ قال له : كيف أعبد ربّي ؟ فعلّمه الشرائع والصلاة . فقال له : يا ذا الكفل ! استر هذا الأمر ولا تظهره حتّى ألحق بالنسّاك . قال : فخلع المُلك وخرج سرّاً ، فلحق بالنُسّاك فجعل يسيح في الأرض . وفقده أهل مملكته فطلبوه . فلمّا لم يقدروا عليه قالوا : اطلبوا ذا الكفل ! فإنّه هو الذي غرّ إلـهنا . قال : فذهب قوم في طلب الملك ، وتوارى ذو الكفل . فقدروا على الملك على مسيرة شهر من بلادهم . فلمّا نظروا اليه قائماً يصلّي خرّوا له سجّداً . فانصرف إليهم ، فقال : اسجدوا لله ولا تسجدوا لأحد من الخلق ؛ فإنّي آمنت بربّ السماوات والأرض والشمس والقمر . فوعظهم وخوّفهم ،

(١) في « ب » والمطبوعة : ثم ختم على الكتاب .

قال : فعرض له وجـــع ، وحضره الموت . فقال لأصحابه : لاتبرحوا فإنّ هذا آخر عهدي بالدنيا ، فإذا متّ فادفنوني . وأخرج كتابه فقرأه عليهم حتّى حفظوه وعلموا ما فيه. وقال لهم : هذا كتاب كتبه لي على ربّي عزّ وجلّ ، أستوفي منه ما فيه ، فادفنوا هذا الكتاب معي . فلمّا مات جهّزوه ، ووضعوا الكتاب على صدره ، ودفنوه . فبعث الله تبارك وتعالى ملكاً ، فجاء به الى ذي الكفل ، فقال : يا ذا الكفل ! إنّ ربّك قد وفى لكنعان بكفالتك ، وهذا الكتاب الذي كتبته له ، وإن الله عز وجل يقول : هكذا أفعل بأهل طاعتي .

فلمّا أن جاءه الملك بالكتاب ظهر للناس ، فأخذوه . فقالوا له : أنت الذي غررت ملكنا وخدعته ؟ فقال لهم : لم أغرّه ولم أخدعه ، ولكن دعوته الى الله ، وتكفّلت له بالجنّة . وقد مات ملككم اليوم في ساعة كذا وكذا ودفنه أصحابكم. وهذا الكتاب الذي كنت كتبته له على الله عزّ وجلّ بالوفاء ، وقد وفّاه الله عزّ وجل حقّه . وهذا الكتاب تصديق لما أقول لكم . فانتظروا حتّى يرجع أصحابكم .

فحبسوه حتّى قدم أصحابهم فسألوهم ، فقصّوا عليهم القصّة . فقالوا لهم : تعرفون الكتاب الذي دفنتموه معه ؟ قالوا : نعم . فأخرجوه إليهم ، فقرؤوه ، فقالوا : هذا الكتاب الذي كان معه ، ودفنّاه في يوم كذا وكذا . فنظروا وحسبوا ، فإذا ذو الكفل كان قد قرأ عليهم الكتاب وأعلمهم بموت الملك في اليوم الذي مات فيه . فآمنوا

به واتّبعوه . فبلغ من آمن به مائةَ ألف وأربعةً وعشرين [1] ألفاً . وتكفّل لهم مثل الذي تكفّل لملكهم على الله عزّ وجلّ ، فسماه الله ذا الكفل .

---

(١) في المطبوعة المعهد الفرنسي : وعشرون ، وهو خطأ .

ذكر التوابين من الأمم

٢٠ـ [توبة قوم موسى عليه السلام]

وبه عن إسحاق بن بشر ، عن سعيد، عن قتادة عن الحسن ، قال : أقبل موسى عليه السلام يسأل ربّه عزّ وجلّ أن يتوب على قومه من عبادة العجل . فقال : يا موسى ! لا توبة لهم إلّا أن يقتلوا أنفسهم . فرجع موسى عليه السلام الى قومه ، فقال : ياقوم ! إنّ الله أبى أن يقبل منكم توبتكم إلاّ أن تقتلوا أنفسكم ، فتلك توبتكم ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٤] (١) ـ يعني خالقكم . قالوا : يا موسى! نصبر لأمر الله عزّ وجلّ .وندم القوم على ماصنعوا . فأخذ موسى عليه السلام منهم الميثاق ليصبرنّ للقتل والقضاء . فقالوا:

---

(١) والآية بتمامها : (وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم).

قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » : وفي قوله هاهنا : (إلى بارئكم) تنبيه على عظم جرمهم ،أي : فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره .

نعم . فأصبحوا غدوة بأفنية البيوت ، كل بني أب على حيالهم . فأمر موسى الذين لم يكونوا عبدوا العجل من بني إسرائيل أن يأخذوا السيوف فيقتلوا من لقوا . فمشوا في العسكر ، فقالوا : رحم الله من لم يحلّ حبوته ، ولم يرفع بصره ، ولم يمتنع بيده ولا رجله ، ولم يقم من مجلسه حتى يقضي الله قضاءه .

قال : فقتلوا حتّى إن كان الرجل من بني إسرائيل ليأتي قومه وهم بأفنية بيوتهم جلوس ، فيقول : إنّ هؤلاء إخوانكم أتوكم شاهرين السيوف ، فاتّقوا الله واصبروا ، فإنّ لعنة الله وملائكته على رجل حلّ حبوته ، أو قام من مجلسه ، أو حدّد إليهم طرفه ، أو اتّقاهم بيد أو رجل ، فيقولون : آمين .

وعن ابن عبّاس ، قال : قال القوم حين أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً : يا رسول الله : كيف نقتل الآباء والأبناء والإخوة ؟ قال: فأنزل الله عليهم ظلمة لا يرى بعضهم بعضاً فقتلوهم . فقالوا : يا موسى ! ما آية توبتنا ؟ قال : أن تقوم السيوف والسلاح فلا تقتل وتُرفَع عنكم الظلمة. قال: فقتلوا حتّى بلغت الدماء المئزر وخاضوا فيها . وصاح الصبيان الى موسى يقولون : يا موسى ! العَفْوَ ! العَفْوَ ! وبكى موسى الى الله عزّ وجلّ ، فأنزل الله عزّ وجلّ الرحمة وقام السلاح. ونادى موسى أن ارفعوا عن إخوانكم فقد نزلت الرحمة وارتفعت عنهم الظلمة فتكشّفت عن القتلى . قال ابن عبّاس : فقتلاهم شهداء وأحياؤهم مغفور لهم .

٢١ — توبة قوم يونس عليه السلام

قال إسحاق : وأخبرنا جويبر ومقاتل عن الضحّاك [١] عن ابن عبّاس قال : لمّا أيس يونس عليه السلام من إيمان قومه دعا ربّه عليهم فقال : يا ربّ ! إنّ قومي أبوا إلّا الكفر فأنزل عليهم نِقْمتك . فأوحى الله عزّ وجلّ اليه : إنّي أنزل بقومك العذاب . قال : فخرج عنهم يونس وأوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام . وأخرج أهله ومعه ابناء صغيران ، فانطلق حتّى خرج عنهم . فصَعِدَ جبلاً ينظر إلى أهل « نينوى » ويترقّب العذاب . وبعث الله عزّ وجلّ جبريل ، فقال : انطلق الى مالكٍ خازنِ النار فقل له يخرج من سموم جهنّم على قدر مثقال شعيرة ، ثمّ انطلق به فأحِطْ به أهل مدينة « نينوى » . قال : فانطلق جبريل ففعل ما أمره ربّه عزّ وجلّ . وعاين قوم يونس العذاب لما هبط للوقت الذي وقّت لهم يونس .

قال أبو الجَلْد [٢] : إنّ العذاب لمّا هبط على قوم يونس فجعل يحوم على رؤوسهم مثل قطع الليل المظلم . قال ابن عبّاس : فلمّا استيقنوا بالعذاب سقط في أيديهم وعلموا أنّ يونس قد صدقهم ، فطلبوه فلم يقدروا عليه . فقالوا : نجتمع الى الله ونتوب إليه .

قال : فخرجوا الى موضع يُقال له : تلّ الرماد ، وتلّ التوبة

(١) في المطبوعة : على الضحاك ، وهو خطأ .

(٢) بفتح الجيم وسكون اللام : هو جيلان بن أبي فروة الأسدي .

وإنّما سُمّي : تـل الرماد ، لأنهم خرجوا جميعاً الرجال والنساء والعواتق ، وأخرجوا معهم أنعامهم وبهائمهم ، فميّزوا بين المراضع وأولادها ، والبهائم وأولادها ، وجعلوا الرماد على رؤوسهم ، ووضعوا الشوك من تحت أرجلهم، ولبسوا المسوح والصوف ، ثمّ استجاروا بالله ورفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء . فعلم الله عزّ وجلّ منهم الصدق .

فقالت الملائكة : يا ربّ ! رحمتك وسعت كلّ شيء ، فهؤلاء الأكابر من ولد آدم تعذّبهم ، فما بال الأصاغر والبهائم ؟ فقال الله عزّ وجلّ : ياجبريل ! ارفع عنهم العذاب، فقد قبلت توبتهم. يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [يونس : ٩٨] (١)

---

(١) قال ابن كثير : يقول الله تعالى : فهلا كانت قرية آمنت بكمالها من الأمم السالفة الذين بعثنا اليهم الرسل ، بل ما أرسلنا من قبلك يامحمد من رسول إلا كذبه قومه أو اكثرهم ، قال : وفي الحديث الصحيح : « عرض عليّ الأنبياء فجعل النبي يمر ومعه الفئام من الناس ، والنبي يمر معه الرجل، والنبي معه الرجلان ، والنبي ليس معه أحد »,ثم ذكر كثرة أتباع موسى عليه السلام ، ثم ذكر كثرة أمته صلوات الله وسلامه عليه كثرة سدت الخافقين الشرقي والغربي . والغرض أنه لم توجد قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرى إلا قوم يونس وهم أهل « نينوى » وما كان إيمانهم إلا خوفاً من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم بعد ماعاينو أسبابه وخرج رسولهم من بين أظهرهم ، فعندما جاؤوا إلى الله واستغاثوا به وتضرعوا له واستكانوا وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم ، فعندها رحمهم الله وكشف عنهم العذاب .

قال : واختلف المفسرون ، هل كشف عنهم العذاب الأخروي مع الدنيوي ، أو=

أخبرنا عليّ بن عساكر ، أنا أبو طالب ، أنا أبو عليّ التميمي ، أنا أبو بكر القطيعيّ ، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا أبي ، ثنا هشيم ، ثنا صالح ، عن أبي عمران الجونيّ ، عن أبي الجَلْد ، قال :

إنّ العذاب لمّا هبط على قوم يونس فجعل يحوم على رؤوسهم مثل قطع الليل المظلم ، فمشى ذوو العقول منهم الى شيخ من بقية علمائهم ، فقالوا : إنّا قد نزل بنا ما ترى ، فعلّمنا دعاءً ندعو به ، عسى الله أن يرفع عنّا العقوبة . فقال : قولوا : يا حيّ حين لا حيّ ، وياحيّ محيي الموتى ، وياحيّ لا إله إلاّ أنت! قال: فكشف الله عزّ وجلّ عنهم [1]

وعن الحسن أنّ يونس عليه السلام بعد ما أنجاه الله من بطن الحوت رجع فمرّ براعٍ من رعاة قومه وهو في بريّة يرعى غنماً ، فقال يونس للراعي: من أنت يا عبد الله ؟ قال : أنا من قوم يونس بن متّى . قال يونس : فما فعل يونس ؟ قال : لاندري ما حاله ، غير أنّه كان خير الناس وأصدق الناس ، أخبرنا عن العذاب ، فجاءنا على ما قال [2] ، فتبنا الى الله فرحمنا ، فنحن نطلب يونس ولا ندري أين هو ولا نسمع له بذكر .

=إنما كشف عنهم في الدنيا فقط ؟ على قولين: أحدهما: إنما كان ذلك في الحياة الدنيا كما هو مقيد في هذه الآية . والثاني : فيهما ، لقوله تعالى : (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فتمعناهم إلى حين) ، فأطلق عليهم الايمان ، والايمان منقذ من العذاب الأخروي، وهذا هو الظاهر والله أعلم .

(١) أخرجه أحمد في « الزهد » صفحة (٣٤).

(٢) في المطبوعة : كما قال .

قال يونس : هل عندك من لبن ؟ قال : لا ، والذي أكرم يونس ماامطرت السماء ولا أعشبت الأرض منذ فارقنا يونس . قال : ألا أراكم تحلفون بإله يونس ؟ قال : لانحلف بغير إله يونس، من فعل في مدينتنا فحلف بغير إله يونس نُزع لسانه من قفاه. فقال له يونس: متى استحدثتم هذا ؟ قال : لما كشف الله عنّا العذاب . قال يونس : ائتني بنعجة . قال : فأتاه بنعجة مسلوبة ، فمسح يده على بطنها ، ثمّ قال لها: درّي بإذن الله . فدرّت ، فاحتلبها يونس ، فشرب يونس والراعي .

فقال الراعي : إن كان يونس حيّاً فأنت هو ! قال : أنا يونس ، فأتِ قومك فاقرئهم منّي السلام . قال : إنّ الملك قال : من أتاني فأعلمني أنّه رأى يونس ، وجاءني ذلك ببرهان ، خلعت له ملكي وجعلته مكاني ولحقت بيونس. فلا أستطيع [أن] أبلغه ذلك إلاّ بحجّة، فإني أخاف أن يُقال لي : إنّما قلت هذا لقول الملك وطمعت في ملكه وكذبت، وليس أحد منّا يكذب اليوم كذبة إلاّ قتلوه ، وأنت أعظم في أعينهم من ذلك أن أجيئهم بما يكذّبوني ويقتلوني . قال يونس : تشهد لك الشاة التي شربنا منها لبناً ، وهو مستند إلى صخرة ، فقال للصخرة: اشهدي له .

قال ابن سمعان : إنّ يونس قال للراعي: انطلق إلى قومك فبلّغهم عنّي السلام وأخبرهم أنّك قد رأيتني . قال: فانطلق الراعي فأخبرهم، فكذّبوه. فلمّا شهدت الصخرة والشاة، اجتمعوا فبكوا على ذكر يونس ولم يروه ، وقالوا للراعي : أنت خيرنا وسيّدنا حين رأيت يونس.

فملَّكوه عليهم ، وقالوا : لاينبغي أن يكون فينا أحد أرفع منك، ولا نعصي لك أمراً بعدما رأيت يونس رسول الله . فكان ذلك آخر العهد بيونس . قال : وملَكهم الراعي أربعين سنة .

٢٢ - [توبة قوم نبي من الانبياء]

أخبرنا عبد الرحمن بن جامع الفقيه ، أنا أحمد بن أحمد المتوكّلي ، أنا أبو بكر الخطيب ، أنا محّمد بن موسى بن الفضل ، أنا محمَّد بن عبد الله الصفَّار ، أنا ابن أبي الدنيا ، أنا سعيد بن سنان الحمصي ، قال :

أُوحى الله عزَّ وجلَّ إلى نبيّ من الأنبياء : إنَّ العذاب حائق بقومك . قال : فذكر ذلك النبيُّ لقومه وأمرهم أن يُخرِجوا أفاضلهم فيتوبوا . قال : فخرجوا ، فأمرهم أن يُخرجوا ثلاثة من أفاضلهم وفداً إلى الله تعالى . قال : فخرجت الثلاثة أمام القوم. قال: فقال أحد الثلاثة: اللّهمَّ إنَّك أمرتنا في التوراة التي أنزلت على عبدك موسى أن لا تردَّ السؤَّال إذا قاموا بأبوابنا ، وإنا سؤَّال من سؤَّالك قمنا بباب من أبوابك فلا تردَّ سؤَّالك . وقال الثاني : اللَّهمّ ! إنك أمرتنا في التوراة التي أنزلت على عبدك موسى أن نعفوَ عمن ظلَمنا ، وإنا ظلمنا أنفسنا فاعفُ عنا . وقال الثالث : اللّهمّ ! إنك أمرتنا في التوراة التي أنزلت على عبدك موسى أن نعتق أرقاءنا، وإنا عبيدك وأرقاؤك فأوجب لنا عتقنا . فأوحى الله إلى نبيه أنه قد قبل منهم وعفا عنهم .

ذكر التوابين من آحاد الأمم الماضية

٢٣ - [توبة أصحاب الغار]

أخبرنا أبو الحسين عبد الحقّ بن عبد الخالق اليوسفي، أنا ابو الحسن ابن العلاف، أنا أبو القاسم بن بشران، أنا أبو العباس أحمد ابن إبراهيم ابن علي الكندي ، أنا أبو بكر محمَّد بن جعفر السامرّي ، ثنا نصر بن داود بن مهران، ثنا داود بن عبد الرحمن العطار عن موسى بن عقبة(١) عن نافع عن(٢) ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ .

بينما ثلاثة نفر(٣) يمشون(٤) إذ أخذهم المطر، فأووا(٥) إلى غار في جبل فانحطت عليهم في غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم باب الغار .

---

(١) في المطبوعة : عن موسى عن عقبة ، وهو خطأ ، صوابه : عن موسى بن عقبة كما أثبتنا ، والتصحيح من « الصحيحين » وغيرهما .

(٢) في المطبوعة : عن موسى عن عقبة عن ابن عمر ، وهو خطأ ، صوابه : عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر، كما أثبتنا. والتصحيح من « الصحيحين » وغيرهما

(٣) في حديث عقبة بن عامر عند الطبراني في الدعاء : إن ثلاثة من بني اسرائيل .

(٤) في حديث عقبة وكذا في حديث أبي هريرة عند ابن حبان والبزار: أنهم خرجوا يرتادون لأهليهم .

(٥) يجوز فيه قصر ألف « أووا » ومدُّها .

فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالاً عملتموها صالحة فادعوه بها . فدَعَوُا الله عزّ وجلّ ، فقال بعضهم : اللّهمّ إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وامرأة وصبيان ، فكنت أرعى عليهم. فإذا رحت إليهم حلبت فبدأت بوالديّ أسقيهما قبل بنيّ . وإنه نأى بي طلب الشجر [1] فلم آت حتّى أمسيت فوجدتهما قد ناما . فحلبت كما كنت أحلب ، فجئت فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما وأكْرَهُ أن أبدأ بالصبية قبلهما. فجعلوا يتضاغون [2] عند قدميّ . فلم أزل كذلك دأبي ودأبهم حتّى طلع الفجر .فإن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافْرُج [3] عنّا فُرْجَةً نرى منها السماء ، ففَرَجَ الله عزّ وجلّ لهم فرجة .

وقال الآخر : اللّهم ! إنه كانت لي ابنة عمّ فاحببتها كأشدّ ما يحب الرجل النساء . فطلبت إليها نفسها فأبت عليّ حتّى آتيها بمائة دينار . فسعيت حتّى جمعت مائة دينار فجئتها بها . فلمّا قعدت بين رجليها ، قالت : يا عبد الله ! اتق الله ولا تفض الخاتم إلاّ بحقه [4] . فقمت عنها.

---

(١) أي بَعُدَ بي طلب المرعى .

(٢) أي يصيحون ويبكون .

(٣) بهمزة وصل وضم الراء ، من فرج الثلاثي ، وضبطه بعضهم: فأفرِج ، بهمزة قطع وكسر الراء من أفرج الرباعي .

(٤) في المطبوعة : بحقها ، وهو خطأ . ومعنى قوله : ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، لاتفض : لاتكسر ، والخاتم : كناية عن عذرتها ، إلا بحقه ، أي الحلال ، أي لا أحل لك أن تقربني إلا بتزويج صحيح . وفي بعض الروايات : أذكرك الله أن تركب ماحرم الله عليك ، قال : فقلت : أنا أحق أن أخاف ربي ، وفي غيرها : فلما كشفتها ارتعدت من تحتي ، فقلت : مالك ؟ قالت : أخاف الله رب العالمين ، فقلت : خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء ؟! فتركتها ..... الحديث .

فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافرج لنا فرْجَةً نرى منها السماء ! ففرج الله لهم فرجة .

وقال الآخر : اللَّهم ! إني استأجرت أجيراً ، فلمَّا قضى عمله قال: أعطني حقّي . فعرضته عليه فتركه ورغب عنه[1] ، فثمَّرته[2] حتى اشتريت به بقراً ورعاءها . فجاءني بعد حين ، فقال : اتق الله ولا تظلمني حقي ، فقلت : انطلق فخذ تلك ورعاءها ، فقال : اتق الله ولا تستهزىء بي . فقلت : إني لا أستهزىء بك . فخذ تلك البقر ورعاءها . فأخذها وذهب . فإن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي . ففرجها الله عنهم[3] .

(١) في «ب» والمطبوعة : فتركه ورغب عنه يعني ، ولا داعي لكلمة « يعني » .
(٢) أي زدته .

(٣) أخرج هذا الحديث البخاري في الصحيح » من حديث ابن عمر رضي الله عنها في كتاب البيوع : باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي ، والإجارة ، باب : من استأجر أجيراً فترك أجره فعمل في المستأجر فزاد ، والحرث والزراعة : باب إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم ، وحديث الأنبياء : باب ماذكر عن بني إسرائيل ، والأدب : باب إجابة دعاء من بر والديه ، وأخرجه مسلم في « صحيحه » رقم (٢٧٤٣) باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٣٦٧/٦ : لم يخرج الشيخان هذا الحديث إلا من رواية ابن عمر ، وجاء باسناد صحيح عن أنس أخرجه الطبراني في الدعاء من وجه آخر حسن ، وباسناد حسن عن أبي هريرة ، وهو في صحيح ابن حبان ، واخرجه الطبراني من وجه آخر عن أبي هريرة ، وعن النعمان ابن بشير من ثلاثة أوجه حسان ، أحدهما عند أحمد ٢٧٤/٤ ، ٢٧٥ والبزار .

وجاء من حديث علي ، وعقبة بن عامر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وابن أبي أوفى بأسانيد ضعيفة ، وقد استوفى طرقه كلها أبو عوانة في « صحيحه » والطبراني في الدعاء .

واتفقت الروايات كلها على أن القصص الثلاثة في الأجير والمرأة والأبوين ، إلا حديث عقبة بن عامر ، ففيه بدل الأجير أن الثالث قال : كنت في غنم أرعاها فحضرت الصلاة =

٢٤ - [توبة الكفل]

قال محمّد بن جعفر : وأخبرنا عبد الرزّاق بن منصور الضرير، ثنا أسباط[1] بن محمّد عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله[2] عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً ، قال :

=فقمت أصلي ، فجاء الذئب فدخل الغنم، فكرهت أن أقطع صلاتي فصبرت حتى فرغت. فلو كان إسناده قوياً لحمل على تعدد القصة . ثم قال : فصاحب الأبوين فضيلته مقصورة على نفسه ، لأنه أفاد أنه كان باراً بوالديه ، وصاحب الأجير نفعه متعـد ، وأفاد بأنه عظيم الأمانة ، وصاحب المرأة أفضلهم ، لأنه أفاد أنه كان في قلبه خشية ربه ، وقد شهد الله لمن كان كذلك بأن له الجنة ، حيث قال : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) وقد أضاف هذا الرجل إلى ذلك ترك الذهب الذي أعطاه للمرأة ، فأضاف إلى النفع القاصر النفع المتعدي ، ولا سيا وقد قال : إنها كانت ابنة عمه فتكون فيه صلة رحم أيضاً ، وأن ذلك في سنة قحط فتكون الحاجة إلى ذلك أحرى .
وفي هذا الحديث : استحباب الدعاء في الكرب ، والتقرب إلى الله تعالى بذكر صالح العمل، واستنجاز وعده بسؤاله ، وفيه فضل الإخلاص في العمل ، وفضل بر الوالدين وخدمتها وايثارهما على الولد والأهل وتحمل المشقة لأجلها - ولعل بكاء الأولاد كان زيادة على سد الرمق، لأنه استشكل ترك اولاده الصغار يبكون - وفيه فضل العفة والانكفاف عن الحرام مع القدرة ، وأن ترك المعصية يمحو مقدمات طلبها ، وأن التوبة تجب ماقبلها ، وفيه جواز الإجارة بالطعام المعلوم بين المتآجرين ، وفيه فضل أداء الأمانة ، وإثبات الكرامة للصالحين ، واستدل به على جواز بيع الفضولي ، وفيه أن المستودع إذا اتجر في مال الوديعة كان الربح لصالح الوديعة ، وفيه الاخبار عما جرى للأمم الماضية ليعتبر السامعون بأعمالهم فيعمل بحسنها ويترك قبيحها ، والله أعلم .

(١) في المطبوعة : إسباط بكسر الهمزة وهو خطأ .

(٢) هو عبد الله بن عبد الله الرازي .

كان الكفل من بني إسرائيل [1] لا يتورع من ذَنْبٍ عَمِلَهُ. فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطاها. فلمَّا قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت [2] وبكت. فقال لها: ما يبكيك؟ أكْرِهتكِ [3]؟ قالت: لا، ولكن هذا عمل [4] لم أعمله قطُّ. قال: فلم تفعلين هذا ولم تكوني فعلتيه قطُّ؟ قالت: حملتني عليه الحاجة.

قال: فتركها، ثمَّ قال: اذهبي والدنانير لك. ثمَّ قال: والله لا يعصي الله الكفل أبداً. فمات من ليلته، فأصبح مكتوباً على بابه: غفر الله للكفل [5].

---

(١) هو رجل أدركته توبة بعد اقتحام ذنب، وهو غير ذي الكفل الذي ذكر في القرآن من الأنبياء.

(٢) في «سنن الترمذي» أرعدت.

(٣) بحذف همزة الاستفهام، وفي بعض نسخ الترمذي «أأكرهتك» باثباتها.

(٤) وفي «سنن الترمذي» ولكنه عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين أنت هذا وما فعلته ؟! ، اذهبي فهي لك، وقال: «لا والله لا أعصي الله بعدها أبداً، فات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه: إن الله قد غفر للكفل.

(٥) هذا الحديث رواه الترمذي في« سنته» رقم (٢٤٩٨) وقال: هذا حديث حسن، وقد رواه شيبان وغير واحد عن الأعمش ورفعوه، وروواه بعضهم عن الأعمش ولم يرفعه. وروى أبو بكر بن عياش هذا الحديث عن الأعمش فأخطأ فيه وقال: عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عمر، وهو غير محفوظ. وقد روى عن عبد الله ابن عبد الله الرازي عُبَيدة الضبي والحجاج بن أرطاة وغير واحد.

والحديث أخرجه ابن حبان في «صحيحه» إلا أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرين مرة يقول ... فذكره، ورواه الحاكم والبيهقي من طريقه وغيرهما. وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

٢٥ - [توبة العابد والمرأة البغي]

أنبأنا الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الإمام [١] أنا عبدالملك ابن أبي القاسم، قال: أنا محمد بن علي بن عمير ، أنا محمد بن محمد بن عبد الله الفاميّ ، أنا محمد بن أحمد المرواني ، قال : حدّثني محمد بن المنذر شُكر ، قال : حدّثني الفضل بن عبد الجبار الباهلي ، أنا إبراهيم بن الأشعث ، ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبي كعب صاحب الحرير عن الحسن ، قال :

كانت امرأة بَغِيٌ ، لها ثلث الحسن ، لا تمكن من نفسها إلاّ بمائة دينار . وإنّه أبصرها عابد فأعجبتْه . فذهب فعمل بيديه وعالج فجمع مائة دينار . ثمّ جاء إليها ، فقال: إنّك أعجبتِني فانطلقتُ فَعَمِلْتُ بيديَّ ، وعالجتُ حتّى جمعتُ مائة دينار . فقالت له : ادخل . فدخل ، وكان لها سرير من ذهب ، فجلستْ على سريرها ، ثمّ قالت له : هلم . فلمّا جلس منها مجلس الخاتن [٢] ذكر مُقامه بين يدي الله ، فأخذته رِعْدة . فقال لها : اتركيني أخرج ولك المائة دينار . قالت : ما بدا لكَ وقد زعمتَ أنّك رأيتني فأعجبتُك فذهبتَ فعالجتَ وكددتَ حتّى جمعت مائة دينار ، فلمّا قدرتَ عليّ فعلتَ الذي فعلتَ ؟ فقال

---

(١) هو ابن الجوزي، صاحب « زاد المسير في علم التفسير » وغيره من المؤلفات القيمة

(٢) الخاتن : الزوج .

فرَقاً [1] من الله ومن مقامي بين يديه ، وقد بغضتِ إلي ، فأنتِ أبغضُ الناس إليّ. فقالت : إن كنتَ صادقاً فما لي زوج غيرك .فقال: دَعيني أخرج . فقالت : لا ، إلاّ أن تجعل لي أن تزوَّج بي، قال : لا ، حتّى أخرج . قالت : فلي عليك إن أنا أتيتُكَ أن تتزوَّجني ؟ قال : لعلّ . فتقنّع بثوبه ، ثمّ خرج إلى بلده . وارتحلتْ تائبةً نادمةً على ما كان منها حتّى قدمتْ بلده. فسألت عن اسمه ومنزله، فدُلّتْ عليه. فقيل له : إنّ المَلِكةَ قد جاءتك . فلمّا رآها شهق شهقة فمات وسقط في يدها. وقالت: أمّا هذا فقد فاتني، فهل له من قريب ؟ قالو : أخوه رجل فقير . قالت : فإنّي أتزوجه حبّاً لأخيه . فتزوّجته ، فنَشرَ الله منهما سبعة أنبياء .

٢٦ - [توبة القصاب والجارية]

أخبرنا الفقيه أبو محمّد عبد الرحمن بن جامع بن غنيمة بن البنّا ، حدثنا أبو السعادات أحمد بن أحمد المتوكّليّ ، أنا أبو بكر الخطيب، أنا أبو سعيد محمّد بن موسى بن الفضل ، أنا أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الصفّار ، أنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، ثنا الحسن بن الصباح ، ثنا زيد ابن الحباب ، ثنا محمّد بن نشيط الهلالي ، ثنا بكر بن عبد الله المزنيّ .

أنّ قصّاباً وُلع بجارية لبعض جيرانه . فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى ، فتبعها ، فراودَها عن نفسها . فقالت : لا تفعل !

(١) أي خوفاً .

لَأناأشدّ حبّاً لك منك لي ، ولكـنّي أخاف الله . قال : فأنت تخافينه وأنا لا أخافه ؟! فرجع تائباً ، فأصابه العطش حتـى كاد ينقطع عنقه . فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل ، فسأله ، قال : ما لك؟قال: العطش . قال : تعـالَ حتّـى ندعوَ الله حتّـى تظلّـنا سحابة حتّـى ندخلَ القرية . قال : ما لي من عمل . قال : فأنا أدعو وَأمِّـنْ أنتَ . قال : فدعا الرسول ، وأمَّـنَ هو . فأظلّـتْـهم سحابةٌ حتّـى انتَـهوا إلى القرية ، فأخذ القصّاب إلى مكانه ، ومالت السحابة فمالت عليه . فرجع الرسول ، فقال : زعمت أنْ ليس لك عمل ، وأنا الذي دعوتُ وأنتَ الذي أمَّـنْـتَ ، فأظلّـتْـنا سحابة ثمّ تبعتـك ، لَتُـخْـبِرَنّـي ماأمرك . فأخبره ، فقال الرسول : التائب إلى الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه .

٢٧ - [توبة صاحب الرغيف]

أخبرنا أبو الفتح محمّـد بن عبد الباقي بن أحمـد بن سلمان ، أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد ، ثنا أبو نعيم الحافظ ، ثنا عبد الله بن محمـد بن شبل ، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، ثنا أبو عثمان ، عن أبي بردة ، قال :

لما حضرت أبا موسى الوفـــاة ، قال : يا بَـنِيّ ! اذكروا صاحب الرغيف ، كان رجل يتعبد في صومعة أُراهُ سبعين سنة لا ينزل إلاّ في

يوم واحد . قال : فشبّـه أو شب الشيطان في عينه امرأة ، فكان معها سبعة أيام أو سبـع ليالٍ ، ثم كُشف عن الرجل غطاؤه ، فخرج تائباً. وكان كلما خطا خطوة صلى وسجد . فآواه الليل إلى دكان عليه اثنـا عشر مسكيناً . فادركه العياء ، فرمى بنفسه بين رجلين منهم . وكان ثَمّ راهبٌ يبعث إليهم كلّ ليلة أرغفة فيعطي كلّ إنسان رغيفاً . فجاء صاحب الرغف ، فأعطى كلّ إنسان رغيفاً،ومرّ على ذلك الرجل الذي خرج تائباً فظنّ أنّه مسكين فأعطاه رغيفاً ، فقال له المتروك(١) :مالك لم تعطني رغيفي ؟ فقال: تراني أمسكتُ عنك ؟ سلْ هل أعطيتُ أحداً منكم رغيفين ؟ قالوا : لا . فقال : والله لا أعطيك الليلة شيئاً ! فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه فدفعه إلى الرجـــل الذي تُرك ، فاصبـح التائب ميتاً ، قال : فوُزنت السبعون بالسبـع ليالٍ فرجحت الليالي . فوُزن الرغيف بالسبـع ليالٍ فرجح الرغيف. فقال أبوموسى: يا بَنيّ ! اذكروا صاحب الرغيف .

٢٨ - [توبة راهب من بني اسرائيل]

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن عساكر البطائحيّ ، أنا الأمين أبو طالب اليوسفيّ ، أنا ابن المذهب ، أنا القطيعيّ ، ثنا عبد الله بن أحمـد ، حدثني أبي ، ثنا أبو معاوية ، ثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ،عن مغيث ابن سُميّ ، قال :

(١) في المطبوعة : فقال المتروك لصاحب الرغف .

تعبد راهب من بني إسرائيل في صومعة ستين سنة ، فنظر يوماً في غبّ سماء ، فأعجبته الأرض . فقال : لو نزلتُ فمشيتُ في الأرض ونظرتُ فيها . قال : فنزل معه برغيف . فعرضت له امرأة فتكشفت له ، فلم يملك نفسه أن وقع عليها . فأدركه الموت على تلك الحال . قال: وجاء سائل فأعطاه الرغيف ومات . قال : فجيء بعمل ستين سنة فوُضع في كفة . قال : وجيء بخطيئته فوُضعت في كفة فرجحت بعمله . قال : وجيء بالرغيف فوُضع مع عمله فرجح بخطيئته (١) .

٢٩ - [توبة عابد من العبدة]

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ، أنا أبو الحسن عليّ بن محمد بن محمد بن محمد الخطيب الأنباريّ ، أنا أبو الحسين بن بشران ، أنا أبو عليّ بن صفوان ، أنا ابن أبي الدنيا ، ثنا المثنى بن معاذ العنبريّ ، ثنا أبي عن شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم :

أنّ رجلاً من العُباد كلّم امرأة ، فلم يزل حتى وضع يَدَهُ على فخذها . فذهب فوضع يده في النار حتى نشت (٢)

(١) ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٠٩) «موارد الظمآن» عن أبي ذر رضي الله عنه بنحوه ، ورواه البيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بنحوه موقوفاً عليه .

(٢) يقال : نش الغدير ينش نشاً : أخذ ماؤه في النضوب . والمعنى : جفت،وليس من شروط التوبة في شرعنا تعذيب الجسد وايلامه ، وانما يكفي في ذلك الاقلاع عن الذنب ، والندم على فعله ، والعزم على عدم العود اليه .

٣٠ - [توبة ذي الرِّجل]

أخبرنا محمد ، أنا عليّ بن محمد ، أنا علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ، أنا الحسين بن صفوان ، أنا عبد الله بن محمد ، حدّثني محمد بن الحسين ، عن موسى بن داود ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ، قال :

كان في بني إسرائيل رجل يتعبد في صومعته ، فمكث بذلك زماناً طويلاً . فأشرف يوماً ، فإذا هو بامرأة فافْتُتِنَ بها وهمّ بها . فأخرج رجْله لينزل إليها ، فأدركه الله بسابقة . فقال : ما هذا الذي أريدُ أن أصنع ؟ ورجعتْ إليه نفسه وجاءتْه العصمة ، فندم . فلما أراد أن يعيد رجْله في صومعته ، قال : هيهات ! هيهات ! رِجــل خرجت تريد أن تعصيَ الله تعود معي في صومعتي ؟ لا يكون والله ذلك أبداً ! فتركها والله معلقة من الصومعة تصيبها الرياح والأمطار والشمس والثلج حتى تقطعت فسقطت . فشكر اللهُ عزّ وجلّ له ، فأنزل في بعض الكتب : « وذو الرِّجل » ، يذكره بذلك .

٣١ - [توبة برخ العابد]

وذكر ابن البراء في « الروضة » : أنبأنا الفضل بن حازم ، حدّثني يوسف بن عزولا ، حدّثني مخلد بن ربيعة الربعيّ ، عن كعب ، قال :

قحطت بنو إسرائيل على عهد موسى عليه السلام فسألوه أن

يستسقي لهم . فقال : اخرجوا معي إلى الجبل، فخرجوا ، فلما صَعِد الجبل قال موسى : لا يتبعني رجل أصاب ذنباً . فانصرف أكثر من نصفهم. ثمّ قال الثانية : لا يتْبعني من أصاب ذنباً، فانصرفوا جميعاً إلّا رجلاً واحداً أعور يقال له : برْخٌ العابد . فقال له موسى : ألم تسمع ما قلت ؟ قال : بلى . قال : فلم تصب ذنباً ؟ قال : ما أعلمه إلّا شيئاً أذكره ، فإن كان ذنباً رجعتُ . قال : ما هو ؟ قال : مررت في طريق، فإذا باب حجرة مفتوح ، فلمحتُ بعينيّ هذه الذاهبة شخصاً لا أعلم ما هو . فقلت لعيني: أنت من بين بدني سارعتِ الى الخطيئة، لا تصحبيني بعدها ! فأدخلت أصبعي فقلعتها ، فإن كان هذا ذنباً رجعتُ . فقال موسى : ليس هذا ذنباً . قال له : استسقِ يا برخ ، فقال : قدّوس ! قدّوس ! ما عندك لا ينفد ، وخزائنك لا تفنى ، وأنت بالبخل لا تُرمَى ، فما هذا الذي لا تُعرَف به ؟ اسقِنا الغيث الساعةَ الساعةَ . قال : فانصرفا يخوضان الوحل .

٣٢ - [توبة العبد العاصي]

ورُوي أنّه لحق بني إسرائيل قحط على عهد موسى عليه السلام فاجتمع الناس إليه ، فقالوا : يا كليم الله ! ادعُ لنا ربّك أن يسقيَنا الغيث ، فقام معهم ، وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفاً أو يزيدون . فقال موسى عليه السلام : إلهي ! اسقِنا غيثَك : وانشُر علينا رحمتَك ،

وارحمنا بالأطفال الرُضَّع ، والبهائم الرُتَّع ، والمشايخ [1] الرُكَّع .

فما زادت السماء إلّا تقشعاً ، والشمس إلّا حرارة . فقال موسى: إلهي إن كان قد خلقَ جاهي عندك ، فبجاه النبيّ الأميّ محمد ﷺ الذي تبعثه في آخر الزمان ! فأوحى الله إليه: ما خلقَ جاهُك عندي ، وإنّك عندي وجيه ، ولكن فيكم عبد يبارزني منذ أربعين سنة بالمعاصي، فناد في الناس حتى يخرج من بين أظهركم ، فبه منعتُكم. فقال موسى إلـهي وسيدي ! أنا عبد ضعيف ، وصوتي ضعيف ، فأين يبلغ وهم سبعون ألفاً أو يزيدون ؟ فأوحى الله إليه : منك النداء ، ومني البلاغ.

فقام منادياً وقال: يا أيّها العبد العاصي الذي يبارز الله منذ أربعين سنة! اخرج من بين أظهرنا ، فبكَ مُنعنا المطر . فقام العبد العاصي ، فنظر ذات اليمين وذات الشمال ، فلم يرَ أحداً خرج. فعلم أنه المطلوب، فقال في نفسه : إنْ أنا خرجتُ من بين هذا الخلق افتُضِحتُ على رؤوس بني إسرائيل ، وإن قعدتُ معهم مُنِعوا لأجلي . فأدخل رأسه في ثيابه نادماً على فَعاله ، وقال: إلـهي وسيدي ! عصيتُك أربعين سنة وأمهلتني ، وقد أتيتُك طائعاً فاقبلني . فلم يستتمّ الكلام حتى ارتفعتْ سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القِرَب، فقال موسى: إلـهي وسيدي ! بماذا سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحد؟ فقال : ياموسى! سقيتُكم بالذي به منَعتُكم . فقال موسى : إلـهي ! أرني هذا العبد

---

(١) في المطبوعة : والمشائخ ، بالهمز ، وهو خطأ ، وهمز المشايخ لا يجوز .

الطائع . فقال : يا موسى ! إنّي لم أفضحه وهو يعصيني ، [أ]أفضحه وهو يطيعني ؟! يا موسى ! إنّي أبغضُ النمامين ، [أ] فأكون نمّاماً ؟!

٣٣ - [توبة شاب مسرف على نفسه]

وعن وهب بن منبه ، قال : كان في زمن موسى عليه السلام شابٌ عاتٍ مُسرف على نفسه ، فأخرجوه من بينهم لسوء فعله . فحضرته الوفاة في خربة على باب البلد ، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إنّ وليّاً من أوليائي حضره الموت ، فاحضره وغسّله وصلّ عليه ، وقل لمن كثر عصيانه يحضر جنازته لأغفرَ لهم، واحمله إليّ لأُكرم مثواه. فنادى موسى في بني إسرائيل ، فكَثُرَ الناس. فلما حضروه عرَفوه، فقالوا : يا نبيّ الله ! هذا هو الفاسق الذي أخرجناه . فتعجب موسى من ذلك . فأوحى الله إليه : صَدَقُوا وهم شهدائي ، إلّا أنه لما حضرته الوفاةُ في هذه الخربة نظر يَمْنةً ويَسْرَةً فلم يرَ حميماً ولا قريباً، ورأى نفسه غريبة وحيدة ذليلة ، فرفع بصره إليّ ، وقال : إلهي ! عبدٌ من عبادك غريب في بلادكَ ،لو علمتُ أنّ عذابي يزيد في ملكك ،وعفوك عني ينقص من ملككَ لما سألتك المغفرة ، وليس لي ملجأ ولا رجاء إلّا أنت ، وقد سمعتُ فيما أنزلتَ أنك قلتَ : إني أنا الغَفُورُ الرَّحيمُ ، فلا تُخيِّبْ رجائي . ياموسى ! أفكان يحسن بي أن أردّه وهو غريب على هذه الصفة ، وقد توسل إليّ بي وتضرّع بين يديّ ! وعزّتي ، لو

سألني في المذنبين من أهل الأرض جميعاً لو هبتهم له لِذُلِّ غربته . يا موسى ! أنا كهف الغريب وحبيبه وطبيبه وراحمه .

٣٤ - [توبة رجلين من بني اسرائيل]

أخبرتنا شُهدة ابنة أحمد بن الفرج الابريّ قالت : أنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة ، أنا أبو الحسن محمد بن عبيد الله الحنائي ، أنا ابن السماك ، أنا أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم الخُتَّلي ، أنا عليّ بن مسلم ، ثنا سيار ، ثنا جعفر ، ثنا مالك بن دينار ، عن معبد الجُهَنيّ عن أبي العوّام سادن بيت المَقدِس عن كعب الأحبار ، قال : انطلق رجلان من بني إسرائيل إلى مسجد من مساجدهم ، فدخل أحدهما وجلس الآخر خارجاً ، فجعل يقول : ليس مثلي يدخل بيت الله وقد عصيت الله ، فكُتب صدّيقاً .

قال : وأصاب رجل من بني إسرائيل ذنباً ، فحزن عليه وجعل يجيء ويذهب ويجيء ويقول : بم أرضي ربّي ؟ بم أرضي ربّي ؟ بم أرضي ربّي ؟ فكُتب صدّيقاً .

٣٥ — [توبة عاص من العصاة]

أخبرنا الشيخ أبو الفرج [(١)] فيما كتبَ إليّ به ، أنا عبد الملك بن أبي القاسم ، أنا محمد بن عليّ بن عمير ، أنا محمد بن محمد بن عبد الله القاضي ،

(١) هو الامام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي البغدادي ، صاحب المؤلفات الكثيرة ، توفي رحمه الله سنة (٥٩٧ هـ) .

ثنا محمد بن أحمد المرواني ، قال : حدّثني محمد بن المنذر ، أنا الربيع بن سليمان ، أنا عبد الله بن وهب ، قال : حدّثني ابن زيد ، عن ربيعة بن عثمان التيميّ ، قال :

كان رجل على معاصي الله تعالى ، ثمّ إنّ الله أراد به خيراً وتوبة [1] . فقال لزوجته : إنّي لملتمس شفيعاً إلى الله تعالى . فخرج إلى الصحراء ، فجعل يصيح : يا سماء ! اشفعي لي ، ياجبال ! اشفعي لي ، يا أرض ! اشفعي لي ، يا ملائكة ! اشفعي لي . فأدركه الجهد فخرّ مغشياً عليه ، فبعث الله إليه ملَكاً ، فأجلسه ومسح رأسه وقال له : أبشر ، فقد قبل الله توبتك ، قال : رحمك الله ! من كان شفيعي إلى الله عزّ وجلّ ؟ قال : خشيتُك شَفعت لك إلى الله تعالى .

٣٦ - [توبة الخارج من القرية الظالمة]

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن ثابت ، أنا طراد بن محمد الزينبي ، أنا أبو الحسين بن بشران ، أنا إسماعيل بن محمد الصفار ، ثنا أحمد ابن منصور ، أنا عبد الرزّاق ، أنا معمَر ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

كانت قريتان إحداهما صالحة ، والأخرى ظالمة ، فخرج رجل من القرية الظالمة يريد القرية الصالحة ، فأتاه ملَك الموت [2] حيث شاء الله

(١) في المطبوعة : وتوبه .
(٢) أي في صورة آدمي .

عزّ وجل ، فاختصم فيه الملك والشيطان ، فقال الشيطان : والله ما عصاني قطّ ! فقال الملك : إنه خرج يريد التوبة ! فقُضي بينهما أن يُنظر إلى أيهما هو أقرب ، فوجدوه أقرب إلى القرية الصالحة بشبر ، فغُفر له :

٣٧ - [توبة من قتل مائة نفس]

أخبرنا أبو بكر بن النقور ، أنا أبو طالب اليوسفيّ ، أنا أبو علي ابن المذهب ، أنا أبو بكر القطيعيّ ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثنا أبي ، ثنا يزيد ، ثنا همام بن يحيى ، ثنا قتادة ، عن أبي الصدّيق الناجيّ ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : لا أحدّثكم إلاّ ما سمعت من رسول الله ﷺ ، سمعَتْه أُذنايَ ، ووعاه قلبي :

أنّ عبداً قتل تسعةً وتسعين نفساً ، فعرضت[1] له التوبة، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلّ على رجل ، فأتاه فقال : إني قتلتُ تسعةً وتسعين نفساً، فهل لي من توبة ؟ فقال: بعد قتل تسعة وتسعين نفساً! قال: فانتضى سيفه فقتله به ، فأكمل به المائة . ثمّ عرضت له التوبة ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلّ على رجل ، فأتاه فقال : إني قتلتُ مائة نفس ، فهل لي من توبة ؟ قال : ومن يحوُل بينك وبين التوبه ؟ اخرج من القرية الخبيثة التي أنت فيها إلى القرية الصالحة[2] . [قرية

(١) في « مسند أحمد » : ثم عرضت .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٦/٣٧٤ : ووقعت لي تسمية القريتين المذكورتين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً في «المعجم الكبير» للطبراني ، فإن فيه أن اسم القرية الصالحة : « نصرة » واسم القرية الأخرى « كفرة » .

كذا وكذا فاعبد ربك فيها ، قال : فخرج إلى القريـــة الصالحة] [1] فعرض له أجله في الطريق . قال : فاختصمت فيه ملائكة الرحمـــة وملائكة العذاب . قال : فقال إبليس : أنا أولى به ، إنه لم يعصني ساعة قط . قال : فقالت ملائكة الرحمة : إنه خرج تائباً .

قال همام : فحدّثني حُميد الطويلُ ، عن بكر بن عبد الله المزني ، عن أبي رافع ، قال : فبعث الله ـ عز وجل ـ [له] [2] ملكاً ، فاختصموا إليه . ثم رجع إلى حديث قتادة ، قال : فقال : انظروا إلى أي القريتين كان أقرب إليها فألحقوه بأهلها .

قال قتادة : فحدثنا الحسن أنه لما عرف الموت ، احتفز [3] بنفسه. فقرب الله منه القرية الصالحـة ، وباعد منـه القرية الخبيثة ، فألحقوه بأهل القرية الصالحة [4] .

---

(١) زيادة من « مسند أحمد » .

(٢) زيادة من « مسند أحمد » .

(٣) في المطبوعة : احتفر .

(٤) هو في « مسند أحمـد » ٢٠/٣ ورواه البخاري ٣٧٥/٣٧٤/٦ ومسلم ٢٢١٨/٤ بنحوه .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتـح » ٣٧٤/٦ : وفي الحديث مشروعيـة التوبة من جميع الكبائر ، حتى من قتل الأنفس ، ويحمل على أن الله تعالى إذا قبـل توبة القاتل تكفل برضى خصمه .

وفيه أن المفتي قد يجيب بالخطأ ، وغفل من زعم أنه إنما قتل الأخير على سبيل التأول، لكونه أفتاه بغير علم ، لأن السياق يقتضي أنه كان غير عالم بالحكم حتى استمر يستفتي ، وان الذي أفتاه استبعد أن تصح توبته بعد قتله لمن ذكر أنه قتله بغير حق ، وأنـه إنما قتله بناءً على العمل بفتواه ، لأن ذلك اقتضى عنده أن لا نجاة له ، فيئس من الرحمة ثم تداركه الله فندم على ما صنع فرجع يسأل . =

٣٨ - [توبة لص من بني اسرائيل]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي ، أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد الحدّاد ، أنا أحمد بن عبد الله بن إسحاق ، ثنا أبو محمد بن حيان ، ثنا

= وفيه إشارة إلى قلة فطنة الراهب، لأنه كان من حقه التحرز ممن اجترأ على القتل حتى صار له عادة بأن لا يواجهه بخلاف مراده ، وأن يستعمل معه المعاريض مداراة عن نفسه ، هذا لو كان الحكم عنده صريحاً في عدم قبول توبة القاتل ، فضلاً عن أن الحكم لم يكن عنده إلا مظنوناً .

وفيه أن الملائكة الموكلين ببني آدم يختلف اجتهادهم في حقهم بالنسبة إلى من يكتبونه مطيعاً أو عاصياً ، وأنهم يختصمون في ذلك حتى يقضي الله بينهم .

وفيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الانسان فيها المعصية لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك ، إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها ، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه ، ولهذا قال له الأخير :ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية والتحول منها كلها والاشتغال بغيرها .

وفيه فضل العالم على العابد ، لأن الذي أفتاه أولاً بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير ، وأما الثاني فغلب عليه العلم ، فأفتاه بالصواب ودله على طريق النجاة .

قال عياض : وفيه أن التوبة تنفع من القتل كما تنفع من سائر الذنوب ، وهو وإن كان شرعاً لمن قبلنا ، وفي الاحتجاج به خلاف ، لكن ليس هذا موضع الخلاف ، لأن موضع الخلاف إذا لم يرد في شرعنا تقريره وموافقته، أما إذا ورد فهو شرع لنا بلا خلاف . ومن الوارد في ذلك قوله تعالى :(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وحديث عبادة بن الصامت ففيه بعد قوله :(ولا تقتلوا النفس)وغير ذلك من المنهيات، «فمن أصاب من ذلك شيئاً فأمره إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عذبه» . متفق عليه.
قال الحافظ : قلت: ويؤخذ ذلك أيضاً من جهة تخفيف الآصار عن هذه الأمة بالنسبة إلى من قبلهم من الأمم ، فإذا شرع لهم قبول توبة القاتل ، فمشروعيتها لنا بطريق الأولى .
قال : واستدل به على أن في بني آدم من يصلح للحكم بين الملائكة إذا تنازعوا ، وفيه حجة لمن أجاز التحكيم ، وأن من رضي الفريقان بتحكيمه، فحكمه جائز عليهم ، وفيه أن للحاكم إذا تعارضت عنده الأحوال وتعددت البينات أن يستدل بالقرائن على الترجيح .

أحمد بن الحسين ،ثنا أحمد بن إبراهيم،حدثني محمد بن يزيد بن خنيس، عن وهيب بن الورد ، قال :

بلغنا أن عيسى عليه السلام مرّ هو ورجل من بني إسرائيل من حواريه بلصّ في قلعة له . فلما رآهما اللصّ ألقى الله في قلبه التوبة . قال : فقال لنفسه : هذا عيسى بن مريم عليه السلام ، روح الله وكلمته وهذا حواريه ، ومن أنت يا شقيّ ؟ لصّ بني إسرائيل ! قطعتَ الطريق ، وأخذتَ الأموال ، وسفكتَ الدماء! ثم هبط إليهما تائباً نادماً على ما كان منه . فلما لحقهما ، قال لنفسه : تريد أن تمشيَ معهما ؟ لستَ لذلك بأهل ! امش خلفهما كما يمشي الخطّاءُ المذنب مثلك !

قال : فالتفت إليه الحواري فعرفه . فقال في نفسه : انظر إلى هذا الخبيث الشقيّ ومشيه وراءنا ! قال : فاطلع الله سبحانه وتعالى على ما في قلوبهما من ندامته وتوبته ومن ازدراء الحواريّ إياه وتفضيله نفسه عليه. قال: فأوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم أن مرِ الحواري ولص بني إسرائيل أن يأتنفا العمل جميعاً ، أما اللص فقد غفرتُ له ما قد مضى لندامته وتوبته ،وأما الحواري فقد حبط عمله لعجبه بنفسه وازدرائه هذا التوّاب

٣٩ - [توبة ثلاث بنات من البغايا وغواة قريش]

أخبرنا المبارك بن علي،أنا أحمد بن الحسين بن قريش ، أنا إبراهيم ابن عمر البرمكي ، أنا أبو بكر محمد بن زكريا الدقاق ، ثنا عبد الله بن

سليمان ، ثنا عبد الملك بن محمد بن عبد الله ، ثنا ابن عائشة ، ثنا سعيد ابن عامر قال : حدثني حسن أبو جعفر ، قال :

كان لقمان الحبشي عبداً لرجل جاء بـه إلى السوق يبيعه . قال : فكان كلما جاء إنسان يشتريه قال له لقمان : ما تصنع بي ؟فيقول :أصنع بك كذا وكذا . قال : حاجتي إليك أن لا تشتريَـني، حتى جاء رجل ، فقال: ما تصنع بي ؟ قال : أصيِّـرك بواباً على بابي ، قال : أنت اشترني . قال : فاشتراه وجاء به إلى داره .

قال : وكان لمولاه ثلاث بنات يبغين في القريـة ، وأراد أن يخرج إلى ضيعة له ، فقال له: إني قد أدخلت إليهن طعامهن وما يحتجن إليه ، فإذا خرجت فاغلق الباب واقعد من ورائه ولا تفتحه حتى أجيء .

قال : فقلن له : افتح الباب ! فأبى عليهنّ ، فشججنه ، فغسل الدم وجلس . فلما قدم سيده لم يخبره . ثم عاد مولاه بعدُ للخروج ، فقال : إني قد أدخلت إليهن ما يحتجن إليه ، فلا تفتحنّ الباب . فلما خرج ، خرجن إليه فقلن له : افتح الباب ، فأبى،فشججنه ورجعن، فجلس، فلما أن جاء مولاه لم يخبره بشيء .

قال : فقالت الكبـيرة : ما بال هذا العبـد الحبشي أولى بطاعة الله عز وجل مني ؟ والله لأتوبنّ ! قال : فتابت . فقالت الصغرى : ما بال هذا العبد الحبشي وهذه الكبرى أولى بطاعة الله عز وجل مني ؟ والله لأتوبن ! فتابت . فقالت الوسطى : ما بال هاتين وهذا العبـد الحبشي

أولى بطاعة الله عز وجـل مني ؟ والله لأتوبن ! فتابت . قال : فقـال غُـواة القرية : ما بال هذا العبد الحبشي وبنات فلان أولى بطاعة الله منا ؟ فتابوا إلى الله عز وجل وكانوا عوابد القرية .

٤٠ - [توبة صاحب فاحشة]

أخبرنا أبو منصور جعفر بن الدامغاني : أنا محفوظ بن أحمـد الكلوذاني ، أنا أبو علي الجازري ، أنا المعافى بن زكريا الجريري ، ثنـا الحسين بن القاسم الكوكبي، ثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القاضي، ثنا يحيى بن صالح الوُحاظي ، ثنـا إسماعيل بن عياش ، عن صفوان ابن عمرو ، عن شرَيـح بن عُـبيد الحضرمي ، عن كعب الأحبار :

أنّ رجلاً من بني إسرائيل أتى فاحشةً ، فدخل نهراً يغتسل فيه. فناداه الماء : يا فلان ! أما تستحيي ؟ ألم تتب من هذا الذنب وقلت : إنك لا تعود فيه ؟ ! فخرج من الماء فزعاً وهو يقول : لا أعصي الله ! فأتى جبلاً فيه اثنا عشر رجلاً يعبدون الله عز وجل . فـلم يزل معهم حتى قحط موضعهم ، فنزلوا يطلبون الكلأ ، فمرّوا على ذلك النهر . فقال لهم الرجل : أما أنا فلست بذاهب معكم . قالوا : لِمَ ؟ قـال : لأن ثَمّ من قد اطلع مني على خطيئة ، فأنا أستحيي منه أن يراني . فتركوه ومضوا ، فناداهم النهر : يا أيها العُبَّـاد ! ما فعل صاحبكم ؟ قالوا : زعم أن له هاهنا من قد اطلع منه على خطيئة فهو يستحيي منه أن يراه .

قال : يا سبحان الله ! إن أحدكم يغضب على ولده أو على بعض قراباته ، فإذا تاب ورجع إلى ما يحبّ أحبه ، وإن صاحبكم قد تاب ورجع إلى ماأحبّ ،فأناأحبه. فأْتوه فأخبروه،واعبدوا الله على شاطئي،فأخبروه، فجاء معهم ، فأقاموا يعبدون الله زماناً . ثم إن صاحب الفاحشة توفي. فناداهم النهر : ياأيها العُبَّاد والعبيد الزهاد ! غسِّلوه من مائي وادفنوه على شاطئي حتى يبعث يوم القيامة من قربي . ففعلوا ذلك به ، وقالوا: نبيت ليلتنا هذه على قبره نبكي ، فإذا أصبحنا سرنا . فباتوا على قبره يبكون ، فلما جاء وجه السَّحَر غَشِيَهُم النُّعاس ، فأصبحوا وقد أنبت الله على قبره اثنتي عشرة سَرْوَةً ، وكان أول سَروٍ أنبته الله عز وجل على وجه الأرض . فقالوا : ما أنبت الله هذا الشجر في هذا المكان إلا وقد أحب الله عبادتنا فيه . فأقاموا يعبدون الله عزوجل على قبره[1] ، كلما مات رجل دفنوه إلى جانبه. فماتوا بأجمعهم .قال كعب : فكان بنو إسرائيل يحجون إلى قبورهم[2] .

(١) لقد نهينا عن العبادة على القبور والحج إليها ، وهذه القصة من الاسرائيليات .

(٢) كتب هنا في الأصل « أ » : آخر الجزء الثاني من الأصل .

أخبار التائبين من أصحاب رسول الله ﷺ

٤١ - [توبة أبي خيثمة رضي الله عنه] (١)

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن منصور بن هبة الله الموصليّ ، أنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفيّ ، أنا أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر ، أنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن ابن شاذان ، أنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن المغلس، أنا أبو عثمان سعيد ابن يحيى الأمويّ قال : حدّثني أبي قال : قال ابن إسحاق :

تخلف أبو خيثمة أحد بني سالم ، عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، حتى إذا سار رسول الله ﷺ رجع أبو خيثمة ذات يوم إلى أهله في يوم حارّ . فوجد امرأتين له في عريشين له في حائط لهما ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبرّدت له فيه ماءً ، وهيأت له طعاماً. فلما دخل، قام على باب العريش ينظر ثمّ قال : رسول الله ﷺ في الضح والريح والحرّ - يعني بالضحّ : الشمس - وأبو خيثمة في ظلّ وماءٍ

(١) هو أبو خيثمة الأنصاري السلمي ، وقع ذكره في حديث كعب بن مالك الطويل في قصة توبته ، شهد أحداً ، وبقي إلى خلافة يزيد . قال الواقدي : اسم أبي خيثمة عبد الله بن خيثمة .

بارد وطعام مهيأ، وامرأة حسناء . ما هذا بالنصف ! والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيئا لي زاداً. ففعلتا، ثمّ قدّم ناضحه فارتحله ، ثمّ خرج في طلب رسول الله ﷺ فادركه حين نزل تبوك .

قال : وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحيّ في الطريق يطلب رسول الله ﷺ ،فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إنّ لي ذنباً فلا عليك أن تخلّفَ عني حتى آتي رسول الله ﷺ . ففعل ، ثمّ سار حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو بتبوك. فلما طلع قال الناس : هذا راكب مقبل . فقال رسول الله ﷺ : كن أبا خيثمة ! فلما دنا قال الناس : يا رسول الله ! هذا والله أبو خيثمة ! فلما أناخ سلّمَ على رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : أولى لك(١) ، أبا خيثمة ! ثمّ أخبره الخبر ، فقال له خيراً ! ودعا له .

قال : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم مُخَشّن بن حُمَيّر ، رجل من أشْجَعَ ، حليف لبني سلمة ، مع رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك . قال : أتحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم ؟ والله لكأنا غداً مُقْرَنون في الحبال ! فأطلع الله تعالى نبيّه عليهم ، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون . وقال مخشن بن حمير : يا رسول الله ! قعد بي اسمي واسم أبي . فعفا الله عنه بقوله:﴿إن نَعفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ [التوبة:٦٨]قال:وهي الطائفة التي عفا عنها.فسُمي عبدالرحمن بن حمير،

(١) كلمة فيها معنى التهديد ، وهي اسم سمي به الفعل .

قال: وسأل الله تعالى أن يُقتل شهيداً لا يُعلَم مكانه. فأُصيب يوم اليمامة ولم يوجد له أثر.

٤٢ - [توبة كعب بن مالك رضي الله عنه] (١)

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، أنا أبو الفضل جعفر بن يحيى المكيّ، أنا محمد بن الحسين بن يوسف الأصفهاني، أنا محمد بن أحمد ابن البغوي، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، أنا عبد الرزّاق عن معمر عن الزهري قال: أخبرني ابن كعب بن مالك عن أبيه، قال:

لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك (٢) إلا بدراً. ولم يعاتب النبي ﷺ أحداً تخلف عن غزوة بدر، إنما خرج يريد العير، فخرجت قريش مغوثين لعيرهم، فالتقَوْا على غير موعد كما قال الله تعالى. ولعمري إنّ أشرف مشاهد رسول الله ﷺ في الناس لَبَدْر، وما أحبّ أني كنتُ شهدتُها مكان بيعتي ليلة العقبة حيث تواثقنا على الإسلام. ثمْ لم أتخلف بعدُ عن رسول الله ﷺ في غَزَاة غزاها، حتى إذا كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزاة غزاها، وآذن النبيُّ ﷺ الناسَ بالرحيل، وأراد أن يتأهبوا أهبة غزوهم،

(١) في المطبوعة مالك، وهو خطأ، وهو: كعب بن مالك بن كعب بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سَلِمة بن سعد بن علي بن أسد بن سارة، أبو عبدالله الأنصاري السلمي. ويقال: أبو بشير، ويقال: أبو عبد الرحمن. شهد العقبة وبايع تحتها وتخلف عن غزوة بدر، وشهد أحداً وما بعدها. وتخلف عن تبوك، واعتذر وتاب فقبل الله توبته، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم.

(٢) كانت غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة.

وذلك حين طابت الظلال وطابت الثمار ، وكان قلَّما أراد غزوة إلا ورّى بغيرها ، وكان يقول : « الحربُ خُدْعَة »[1] - إلا غزوة تبوك[2] ، فإنه جلَّى للناس أمرهم . فأراد النبي ﷺ في غزوة تبوك أن يتأهب الناس أهْبَتَهُ . وأنا أَيسر ما كنتُ ، قد جمعت راحلتين ، وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفَّة الحاذ[3] ، وأنا في ذلك أُصغي الى الظلال وطيب الثمار . فلم أزل كذلك حتى قام رسول الله ﷺ غادياً بالغداة ، وذلك يوم الخميس ، وكان يحبّ أن يخرج يوم الخميس فأصبح غادياً . فقلت : أنطلقُ غداً إلى السوق فأشتري جهازي ثمّ ألحق بهم ، فانطلقتُ الى السوق من الغد ، فعسر عليّ بعض شأني ، فرجعت . فقلت : أرجع غداً إن شاء الله فألحق بهم ، فعسر عليّ بعض شأني أيضاً . فقلت : أرجع غداً إن شاء الله ، فلم أزل كذلك حتى ألبس بي الذَّنْبُ ، وتخلفت عن رسول الله ﷺ ، فجعلتُ أمشي في الأسواق وأطوف بالمدينة ، فيحزنني أني لا أرى أحداً تخلف إلا رجلاً مغموصاً[4] عليه في النفاق . وكان ليس أحد تخلف إلا رأى أن ذلك سيخفى له ، وكان الناس كثيراً لا يجمعهم ديوان ، وكان جميع من تخلف

---

(١) حديث « الحرب خدعة » متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، وهذه القطعة من الحديث جزء من حديث كعب بن مالك الطويل في رواية أبي داود في « سننه » .

(٢) في المطبوعة : يعني الا غزوة تبوك ، ولا داعي لكلمة « يعني » .

(٣) الحاذ : الحال :

(٤) أي مطعوناً .

عن النبي ﷺ بضعةً وثمانين رجلاً . ولم يذكرني النبي ﷺ حتى بلغ تبوكاً قال : ما فعل كعب بن مالك ؟ قال رجل من قومي : خلَّفه يا رسول الله ، بُرْداه [١] والنظرُ في عِطْفَيْه [٢] ! فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلتَ ! والله يا نبيَّ الله ما علمنا [٣] عليه إلا خيراً . قال: فبينما هم كذلك إذا هم برجل يزول [٤] به السراب [٥] . فقال النبي ﷺ : كن أبا خيثمة ! فإذا هو أبو خيثمة [٦] . فلما قضى النبي ﷺ غزوة تبوك وقفل [٧] ودنا من المدينة جعلتُ أتذكر بماذا أخرج به من سخط النبي ﷺ ، وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، حتى إذا قيل : النبيُّ ﷺ هو مصبحكم غداً بالغداة - زاح عني الباطل وعرفت أني لا أنجو إلا بالصدق . فدخل النبي ﷺ ضحىً ، فصلى في المسجد . وكان إذا جاء من سفر فعل ذلك : دخل المسجد فصلى فيه ركعتين [٨] ثمَّ

---

(١) يعني الرداء والإزار ، أو الرداء والقميص ، وسماهما بردين . لأن الإزار والقميص قد يكونان من برد، والبرود :ثياب من اليمن فيها خطوط ، ويحتمل أن أحدهما كان برداً ، وتسميتها بردين على طريقة العمرين والقمرين .

(٢) أي جانبيه ، كناية عن العجب . قال القرطبي : وكأن هذا القائل كان في نفسه حقد على كعب، ولعله كان منافقاً فنسب كعباً إلى الزهو والكبر، وكانت نسبة باطلة، بدليل رد العدل الفاضل معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٣) في المطبوعة : ما نعلم .

(٤) أي يتحرك .

(٥) السراب : ما يظهر للانسان في الهواجر في البراري كأنه ماء .

(٦) الذي تقدمت قصة توبته قبل قصة توبة كعب بن مالك .

(٧) أي رجع .

(٨) أي تحية المسجد ، وكان يفعل ذلك ليبدأ بتعظيم بيت الله قبل بيته ، ويقوم بشكر نعمة الله عليه في سلامته ، وليسنّ ذلك في شرعه لأمته .

جلس ، فجعل يأتيه من تخلَّف،فيحلفون له ويعتذرون إليه،فيستغفر لهم ويقبل علانيتهم ، ويكل سرائرهم الى الله عز وجل . فدخلتُ المسجد،فإذاهو جالس.فلما رآني تبسَّم تبسُّمَ المغضَب،فجئتُ فجلست بين يديه . فقال : « ألم تكن ابتعتَ ظهرك ؟ »[1] فقلت : بلى ، يانبي اللّه ! قال : «فما خلفك ؟ »فقلت: واللّه لو بين يديَّ أحد من الناس غيرك جلستُ لخرجتُ من سخطه عليّ بعذر ، ولقد أوتيتُ جدلاً ولكن قد علمتُ يا نبيَّ اللّه أني إن أخبرتك اليوم بقول تجد عليَّ فيه وهو حقّ فإني أرجو فيه عقبى اللّه ، وإن حدَّثتك اليوم حديثاً ترضى عني فيه وهو كذب أوشك اللّه أن يُطْلِعَكَ عليَّ ، واللّه يا نبيَّ اللّه ما كنت قطُّ أيسر ولا أخفّ حاذاً[2] مني حين تخلفت عنك

قال : « أما هذا فقد صدقكم الحديث ، فقم حتى يقضيَ اللّه فيك » . فقمت ، فثار على إثري أناس من قومي يؤنّبونني[3] . فقالوا :واللّه ما نعلمك أذنبتَ ذنباً قطّ قبل هذا ، فهلّا اعتذرت الى نبيِّ اللّه ﷺ بعذر يرضى عنك فيه ! وكان استغفار رسول اللّه ﷺ سيأتي من وراء ذنبك ، ولم تَقِفْ نفسُك موقفاً لا تدري ماذا يُقضى لك فيه . فلم يزالوا يؤنّبونني حتى هممتُ أن أرجع فأُكذِّبَ نفسي . فقلت : هل قال هذا القول أحدغيري ؟ قالوا : نعم قاله هلال بن أمية،

(١) أي اشتريت ظهرك ، والظهر هي الابل التي تركب، جمعه ظهران بضم الظاء.
(٢) أي :حالاً .
(٣) أي :يلومونني أشد اللوم .

ومرارة بن ربيعة . فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدراً ، لي فيهما أسوة. فقلت : واللّه لا أرجع إليه في هذا أبداً ولا أكذِّبُ نفسي . قال: ونهى النبيُّ ﷺ الناس عن كلامنا أيها[1] الثلاثة، قال: فجعلت أخرج إلى السوق فلا يكلِّمني أحد . وتنكر لنا الناس حتى ماهم بالذين نعرف ، وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالحيطان التي نعرف . وتنكرت لنا الأرض حتى ما هي بالأرض التي نعرف . وكنتُ أقوى أصحابي ، فكنت أخرج وأطوف في السوق وآتي المسجد، فأدخل وآتي النبيَّ ﷺ ، فأسلم عليه ، فأقول : هل حرّكَ شفتَيه بالسلام ؟ إذا قمت أصلي الى السارية فأقبلت قِبَلَ صلاتي نَظَرَ إليَّ بمؤخر عينيه ، وإذا نظرتُ إليه أعرض عني . قال : واستكان صاحباي فجعلا يبكيان الليل والنهار ولا يُطْلعان رؤوسها . فبينما أنا أطوف في السوق إذا رجل نصرانيّ جاء بطعام له يبيعه ، يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له إليّ . فأتاني بصحيفة من ملك غسان[2] فإذا فيها : أما بعد ، فإنه بلغني أنّ صاحبك[3] قد جفاك وأقصاك[4] ، ولست بدار مضيعة ولا هوان ، فالحقْ بنا نواسِك . قال : فقلت : هذا أيضاً من البلاء والشرّ . فأسجرت[5] لها التنور وأحرقتُها . فلما مضت أربعون ليلة إذا رسول من النبيّ ﷺ قد

---

(١) هو بالرفع وموضعه نصب على الاختصاص .
(٢) واسمه جبلة بن الأيهم ، وقيل : الحارث بن أبي شمر
(٣) يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٤) أبعدك .
(٥) أوقدت .

أتاني . فقال : اعتزل امرأتك . فقلت : أطلقها ؟ قال : لا ولكن لاتقربها ،وأرسل الى صاحبيّ بمثل ذلك.فجاءت امرأة هلال بن أمية، فقالت : يا رسول اللّه ! إنّ هلال بن أُمية شيخ كبير ضعيف ، فهل تأذن لي أَن أخدمه ؟ قال : نعم ولكن لا يقربنّك ! قالت : يانبيّ اللّه ! واللّه ما به من حركة لشيء[1] ، ما زال مكتئباً[2] يبكي الليل والنهار منذ كان من أمره ما كان .

قال كعب: فلما طال عليّ البلاء اقتحمتُ على أَبي قتادة[3] حائطه[4] وهو ابن عمي ـ فسلمتُ عليه فلم يردّ عليّ . فقلت : أنشدك الله[5] ، يا أبا قتادة ! أتعلم أني أحب الله ورسوله ؟ فسكت . ثمّ قلت أيضاً : ياأبا قتادة ! أتعلم أني أحب الله ورسوله ؟ فسكت . ثم قلت : أنشدك الله ، ياأبا قتادة ! أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ قال : الله ورسوله أعلم .قال: فلم أملك نفسي أن بكَيْتُ . ثمّ اقتحمتُ الحائط خارجاً ، حتى إذا مضت خمسون ليلة من حين نهى النبي ﷺ الناس عن كلامنا صليتُ على ظهر بيت لنا صلاة الفجر. ثمّ جلستُ وأنا في المنزلة التي قال الله عز وجل: قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرضُ بما رحبت[6] إذْ سمعت نداءً

(١) أي: إلى شيء من الجماع ومقدماته لما هو فيه من الكرب .
(٢) حزيناً .
(٣) هو الحارث بن ربعي الأنصاري ، الصحابي رضي الله عنه .
(٤) الحائط : البستان إذا كان عليه دائر بناء .
(٥) بفتح الهمزة وضم الشين ، أي: أسألك بالله ، من النشيد وهو الصوت.
(٦) أي : مع رحبها وسعتها.

من ذروة سلع [1] : أبشر يا كعب بن مالك ! فخررت ساجداً وعرفتُ أنّ الله تعالى قد جاء بالفرج . ثمّ جاء رجل يركض على فرس يبشّرني، فكان الصوت أسرع من فرسه [2] فلما [3] جاءني الذي سمعت صوتـه أعطيته ثوبيَّ بشارة ولبست ثوبين آخرين . قال : وكانت توبتنا نزلت على النبي ﷺ ثلث الليل، فقالت أم سلمة : يا نبيَّ الله! ألا نبشر كعب ابن مالك ؟ قال : إذاً يحطمكم الناس ويمنعونكم النوم سائر الليلة .

قال : وكانت أمّ سلمة محسنة في شاني تحزن بأمري . فانطلقتُ إلى النبي ﷺ ، فإذا هو جالس في المسجد ، وحوله المسلمون ، وهـو يستنير كاستنارة القمر ، وكان إذا سُرّ استنار ، فجئتُ فجلستُ بين يديه ، فقال : « أبشر ، يا كعب بن مالك بخيرِ يومٍ مرّ عليك منـذ ولدتك أمك ! » قال : قلت ، يا نبي الله أمِنْ عند الله ، أمْ من عندك؟ قال : بل من عند الله . ثمّ تلا عليهم ﴿ لقدْ تاب اللهُ على النبي والمُهاجرينَ والأنصارِ ﴾ حتى بلغ ﴿ التوّابُ الرَّحيمُ ﴾ . [التوبة ، ١١٧، ١١٨] قال : وفينا نزلت: ﴿ اتقوا الله وكونوا معَ الصادقينَ ﴾ [التوبة:١١٩] قال : فقلتُ : يا نبي الله ! إن من توبتي أن لا أُحدّث إلا صدْقاً ، وأن أتخلعَ من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله . فقال : « أمسك بعض

(١) سلع : جبل بالمدينة معروف .

(٢) قيل : هو الزبير بن العوام ، قال الحافظ : ويحتمل أن نكون أبا قتادة، لأنه كانْ فارس النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) في المطبوعة : زيادة كلمة « يعني » .

مالك فهو خير لك ». فقلت : فإني أُمسك سهمي الذي بخيبر . قال : فما أنعم الله عليّ نعمةً بعد الإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ حين صدقته أنا وصاحباي أن لا نكون كذبناه فهلكنا كما هلكوا، وإني لأرجو أن لا يكون ابتلى الله أحداً في الصدق مثل الذي ابتلاني ، ما تعمدت لكذبة بعدُ وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي .(١)

---

(١) قصة توبة كعب بن مالك هذه ، رواها البخاري في « صحيحه » في الوصايا ، والجهاد ، وصفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي وفود الأنصار ، وفي موضعين من المغازي ، وفي موضعين من التفسير ، وفي الاستئذان ، وفي الأحكام ، ورواها مسلم في « صحيحه » في التوبة ، وأبو داود في الطلاق ، وفي النذور ، والجهاد ، والترمذي في التفسير ، والنسائي في الطلاق ، والنذور .

وقد استنبط العلماء من هذا الحديث فوائد كثيرة منها : إباحة الغنيمة لهذه الأمة ، إذ قال : إنما خرج يريد العير ، وفضيلة أهل بدر والعقبة ، والمبايعة مع الامام ، وجواز الحلف من غير استحلاف ، وتورية المقصد إذا دعت إليه ضرورة ، والتأسف على ما فات من الخير ، وتمني المتأسف عليه ، ورد الغيبة ، وهجران أهل البدعة ، وأن للإمام أن يؤدب بعض أصحابه بإمساك الكلام عنه ، واستحباب صلاة القادم من سفر ، ودخوله المسجد أولاً ، وتوجه الناس إليه عند قدومه ، والحكم بالظاهر وقبول المعاذير ، واستحباب البكاء على نفسه ، وأن مسارقة النظر في الصلاة لا تبطلها ، وفضيلة الصدق ، وأن السلام ورده كلام ، وجواز دخول بستان صديقه بغير اذنه ، وأن الكناية لا يقع بها الطلاق ما لم ينوه ، وإيثار طاعة الله ورسوله على مودة القريب ، وخدمة المرأة لزوجها ، والاحتياط بمجانبة ما يخاف الوقوع في منهي عنه ، إذ كعب لم يستأذن في خدمة امرأته لذلك ، وجواز إحراق ورقة فيها ذكر الله تعالى إذا كان لمصلحة ، واستحباب التبشير عند تجدد النعمة واندفاع الكربة ، واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة ، وسروره بما يسر به أصحابه ، والتصدق بشيء عند ارتفاع الحزن ، والنهي عن التصدق بكل المال عند خوف عدم الصبر ، وإجازة البشير بخلعة ، وتخصيص اليمين بالنية ، وجواز العارية ، ومصافحة القادم ، والقيام له ، واستحباب سجدة الشكر ، والتزام مداومة الخير الذي انتفع به ، وانظر « الفتح » ٨/٩٣-٩٥ .

٤٣ - [توبة أبي لبابة رضي الله عنه][1]

قال الزهريّ : وكان أبو لبابة ممن تخلّف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، فربط نفسه بسارية، ثمّ قال : والله لا أحُلُّ نفسي منها ولا أذوقُ طعاماً ولا شرابا حتى أموتَ أو يتوبَ الله عليَّ ، فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتى كاد يخرّ مغشياً عليه، ثمّ تاب الله عليه، فقيل له : قد تيب عليك ، فقال : والله لا أحُلُّ نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلُّني بيده . قال : فجاء النبي ﷺ فحله بيده . ثمّ قال أبو لبابة : يا رسول الله ! إن من توبتي أن أهجرَ دار قومي التي أصبتُ فيها الذَّنبَ ، وأن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله . قال : « يجزئك الثلث ، يا أبا لبابة » .

أخبرنا أبو صالح سعد الله بن نجا بن الوادي ، أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي ، أنا أبو محمد الجوهريّ ، أنا أبو عمر بن حيوَيه ، أنا عبد الوهاب بن أبي حية ، عن محمد بن شجاع البلخي ، أنا محمد بن عمر الواقدي قال : فحدثني ربيعة بن الحارث عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن السائب بن أبي لبابة عن أبيه ، قال :

(١) شهر بهذه الكنية ، وقد اختلف في اسمه على أقوال كثيرة ، انظرها في «الاصابة» وهو أبو لبابة بن عبد المنذر ، الأنصاري المدني رضي الله عنه .

لما أرسلت قريظة إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يرسلني إليهم - حين اشتدّ عليهم الحصر - دعاني رسول الله ﷺ ، فقال : اذهب إلى حلفائك فإنهم أرسلوا إليك من بين الأوس . قال : فدخلت عليهم وقد اشتدّ عليهم الحصار . فهشوا (١) إليّ وقالوا : يا أبا لبابة ! نحن مواليك دون الناس كلهم . فقام كعب بن أسد ، فقال : أبا بشير ! قد عرفت ماصنعنا في أمرك وأمر قومك يوم الحدائق ويوم بعاث وكلّ حرب كنتم فيها ، وقد اشتدّ علينا الحصار وهلكنا ، ومحمد يأبى أن يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه ، فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نكثر عليه جمعاً أبداً ، فما ترى فإنا قد اخترناك على غيرك ، إن محمداً قد أبى إلا أن ننزل على حكمه . قال : نعم ، فانزلوا . وأومأ إلى حلقه : فهو الذبح . قال : فندمتُ فاسترجعتُ . فقال كعب : مالك يا أبا لبابة ؟ فقلت : خنت الله ورسوله . فنزلتُ وإنّ لحيتي لمبتلة بالدموع والناس ينتظرون رجوعي إليهم ، حتى أخذتُ من وراء الحصن طريقاً آخر حتى أتيتُ المسجد فارتبطتُّ . وبلغ رسول الله ﷺ ذهابي وما صنعتُ . فقال : « دعوه حتى يحدث الله فيه مايشاء ، لو كان جاءني استغفرتُ له ، فأما إذ لم يأتني وذهب فدَعوه » .

قال : فحدثني معمر عن الزهريّ . قال : وارتبط أبو لبابة سبعاً

---

(١) أي: خفوا. وفي « ب » والمطبوعة: فبهشوا. وفي شرح الزرقاني « على المواهب اللدنية » : وجَهِشَ اليه النساء والصبيان ، أي : فزعوا إليه .

في حر شديد لا يأكل ولا يشرب . وقال : لا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا أو يتوبَ الله عليّ . قال : فلم يزل كذلك حتى يسمع الصوت من الجهد ، ورسول الله ﷺ ينظر إليه بكرة وعشية . ثمّ تاب الله عليه ، فنودي : إن الله قد تاب عليك . وأرسل رسول الله ﷺ إليه ليطلق عنه رباطه ، فأبى أن يطلقه عنه أحد غير رسول الله ﷺ ، فجاء رسول الله ﷺ .

قال الزهريّ : فحدّثتني هند بنت الحارث عن أمّ سلمة زوج النبي ﷺ ، قالت : رأيتُ رسول الله ﷺ يحلّ رباطه ، وإن رسول الله ﷺ ليرفع صوته يكلمه ويخبره بتوبته ، وما يدري كثيراً مما يقول له من الجهد والضعف . ولقد كان الرباط حزّ في ذراعه ، وكان من شعر ، وكان يداويه بعد ذلك دهراً .

٤٤ - [توبة أبي هريرة رضي الله عنه (١) عن فتواه في امرأة زانية]

وقرأت في « تنبيه الغافلين » (٢) عن أبي هريرة ، قال : خرجت ذات ليلة بعد ما صلّيت العشاء مع رسول الله ﷺ ، فإذا أنا بامرأة متنقّبة قائمة على الطريق .فقالت : يا أبا هريرة ! إني قد ارتكبتُ ذنباً

(١) أبو هريرة رضي الله عنه هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، المكثرين لرواية الحديث النبوي الشريف مشهور بكنيته ، واختلف في اسمه اختلافاً كثيراً ، وأشهر ذلك أنه عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه .

(٢) هو كتاب في المواعظ والرقائق لمؤلفه إمام الهدى نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي أبي الليث من أئمة الحنفية من الزهاد، له تصانيف عديدة. توفي رحمه الله سنة ٣٧٣هـ.

عظيماً ، فهل لي من توبـــة ؟ فقلت : وما ذنبكِ ؟ قالت : إني زنيت وقتلتُ ولدي من الزنا .فقلت لها: هلكتِ وأهلكتِ ، والله ِ مالكِ من توبة . فشهقت شهقةً خرّت مغشياً عليها ، ومضت.فقلتُ في نفسي: أُفتي ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ؟! فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله ﷺ ، وقلتُ : يا رسول الله ! إن امرأة استفتتني البارحة بكذا وكذا . فقال رسول الله ﷺ : « إنا لله وإنا إليه راجعون ! أنت والله هلكتَ وأهلكتَ ، أين كنت عن هذه الآية : ﴿ والذّينَ لَا يدْعونَ معَ اللهِ إلهاً آخرَ ولا يقتُلونَ النّفسَ التي حرّمَ اللهُ إلاّ بالحقّ ولا يزْنونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فأُولئكَ يبدّلُ اللهُ سيئاتهمْ حسناتٍ وكانَ اللهُ غفوراً رَحيماً ﴾ ؟ [الفرقان:٦٨ ـ ٧٠] » قال : فخرجت من عند رسول الله ﷺ وأنا أعدو في سكك المدينة وأقول : من يدلّني على امرأة استفتتني البارحـــة كذا وكذا ؟ والصبيان يقولون: جُنّ أبو هريرة ! حتى إذا كان الليل ، لقيتُها في ذلك الموطن فأعلمتُها بقول رسول الله ﷺ وأنّ لها التوبة . فشهقت شهقة من السرور وقالت : إنّ لي حديقة وهي صدقة للمساكين لذنبي .

٤٥ ـ [توبة ثعلبة بن عبد الرحمن رضي الله عنه]

أخبرنا الشيخ الصالح أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور ، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن العلاف ، أنا أبو القاسم بن بشران ، أنا

أحمد بن إبراهيم الكندي ، أنا أبو بكر محمد بن جعفر السامري قال : حدثني أحمد بن جعفر بن محمد ، ثنا إبراهيم بن علي الأطروش ، ثنا سليم بن منصور [1] بن عمار قال : حدثني أبي عن المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال :

أسلم فتى من الأنصار يقال له : ثعلبة بن عبد الرحمن . قال : وكان يخدم النبي ﷺ ويخفّ له . وإن رسول الله ﷺ بعثه في حاجة له ، فمرّ بباب رجل من الأنصار ، فرأى امرأة من الأنصار تغتسل . وخاف أن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ بما صنع، فخرج هارباً على وجهه. فأتى جبالاً بين مكة والمدينة فولَجها . [2] ففقدَهُ النبي ﷺ أربعين يوماً . وإن جبريل عليه السلام نزل على النبي ﷺ فقال : يا محمد ! إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إنّ رجلاً من أمتك بين هذه الجبال يتعوّذ بي. فقال النبي ﷺ : يا عمر ، ويا سلمان ! انطلقا فأْتياني بثعلبة بن عبد الرحمن . فخرجا من أنقاب المدينة فلقيا راعياً من رعاة المدينة يقال له : ذفافة . فقال له عمر : هل لك علم بشاب بين هذه الجبال يقال له: ثعلبة ؟ قال: لعلك تريد الهارب من جهنّم . فقال له : وما علمك بأنه هارب من جهنم ؟ قال : لأنه إذا كان جوف الليل خرج علينا من بين هذه الجبال واضعاً يده على أمّ رأسه وهو ينادي : ياليتكَ

(١) في المطبوعة : سليمان بن منصور ، والتصحيح من « ميزان الاعتدال » .
(٢) أي :دخلها.

قبضت روحي في الأرواح ، وجسدي في الأجساد ، ولم تجردني لفصل القضاء ! فقال عمر : إياه نريد . فانطلق بهما . فلما كان في جوف الليل خرج عليهم من بين تلك الجبال واضعاً يده على أمّ رأسه وهو ينادي : يا ليتَك قبضت روحي في الأرواح، وجسدي في الأجساد ، ولم تجرّدني لفصل القضاء ! قال : فغدا عليه عمر فاحتضنه . فقال : يا عمر ! هل علم رسول الله ﷺ بذنبي ؟ قال : لا علم لي ، إلّا أنه ذَكرَكَ بالأمس فأرسلني وسلمان في طلبك . قال : يا عمر ! لا تدخلني عليه إلّا وهو في الصلاة . فابتدر عمر وسلمان الصفّ . فلما سمع ثعلبة قراءة النبي ﷺ خرّ مغشياً عليه . فلما سلم النبي ﷺ قال : «يا عمر ! يا سلمان ! ما فعل ثعلبة ؟» قالا :هاهوذا ، يارسول الله !فقام النبي ﷺ فحركه فانتبه . فقال له رسول الله ﷺ :«ما غيبك عني؟» قال: ذنبي،يا رسول الله ! قال : «أفلا أدلك على آية تمحو الذنوب والخطايا ؟» قال : بلى ، يارسول الله ! قال : «قل : ﴿ رَبنا آتِنا في الدُّنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقِنا عذابَ النارِ ﴾» [البقرة : ٢٠١]. قال: ذنبي ،يارسول الله ، أعظم . قال :« بل كلام الله أعظم». ثمّ أمره بالانصراف إلى منزله، فمرض ثمانية أيام . ثم إن سلمان أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! هل لك في ثعلبة ، فإنه لما به قد هلك . فقال رسول الله ﷺ : «قوموا بنا إليه» . فدخل عليه فأخذ رأسه فوضعه في حجره . فأزال رأسه عن حجر رسول الله ﷺ . فقال له :« لِمَ أزلت رأسك عن

حجري ؟ »قال : لأنه ملآن من الذنوب. قال : ماتشتكي ؟ قال :مثل دبيب النمل بين عظمي ولحمي وجلدي . قال : ما تشتهي ؟ قال :مغفرة ربي . قال : فنزل جبريل عليه السلام، فقال : يا محمد ! إنّ ربك يقرئك السلام ويقول لك : لو أن عبدي هذا لقيني بقراب الأرض[1] خطيئة لقيته بقرابها مغفرة . قال : فأعلمه النبي ﷺ . قال : فصاح صيحةً فمات . قال : فأمر رسول الله ﷺ بغسله وكفنه . فلما صلى عليه جعل يمشي على أطراف أنامله . فلما دفنه ، قيل له : يا رسول الله ! رأيناك تمشي على أطراف أناملك . قال : « والذي بعثني بالحق نبياً ! ما قدرتُ أن أضعَ قدميّ على الأرض من كثرة من نزل من الملائكة[2] لتشييعه » .

٤٦ - [توبة مالك الرؤاسي رضي الله عنه][3]

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أنا محمد بن أحمد ، أنا أحمد بن عبد الله الحافظ، ثنا محمد بن محمد، ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا سفيان بن وكيع، حدّثني أبي ، عن جدي ، عن طارق عن عمرو بن مالك الرؤاسيّ عن أبيه .

(١) قراب الأرض بتثليث القاف : مايقارب ملأها .

(٢) في المطبوعة : ما الملائكة ، وهو خطأ .

(٣) هو مالك بن قيس بن بُجَيد بن رؤاس بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الكلابي الرؤاسي وفد هو وابنه عمرو بن مالك على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلما رضي الله عنهما .

أنه أغار هو وقوم من بني كلاب على قوم من بني أسد ، فقتلوا فيهم وعبثوا بالنساء . فبلغ ذلك النبي ﷺ فدعا عليهم ولعنهم . فبلغ ذلك مالكاً فغلّ يده ، ثمّ أتى النبي ﷺ ، فقال: يا رسول الله ! ارضَ عني رضي الله عنك . فأعرض عنه النبي ﷺ . ثمّ دار إليه ، فقال :ارضَ عني رضي الله عنك . فأعرض عنه . ثمّ أتاه الثالثة ، فقال : ارضَ عني رضي الله عنك ، فوالله إنّ الربّ تعالى ليُترضى فيرضى .فأقبل عليه النبي ﷺ فقال:تبت ممّا صنعتَ واستغفرتَ الله؟قال:نعم.قال: « اللّهمّ ! تب عليه وارضَ عنه » .

٤٧ - [توبة غني من أغنياء الصحابة]

أخبرنا الإمام أبو الحسن المقرىء ، أنا أبو طالب اليوسفيّ ، أنا أبو عليّ التميميّ ، أنا أبو بكر القطيعيّ ، ثنا عبد الله قال : حدّثني أبي ، ثنا يزيد ، أنا أبو الأشهب قال : حدّثني سعيد بن أيمن مولى كعب بن سور ، قال :

بينما رسول الله ﷺ يحدّث أصحابه ، إذ جاء رجل من الفقراء ، فجلس إلى جنب رجل من الأغنياء . فكأنه قبض من ثيابه عنه ، وتغيّر رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : يا فلان ! أخشيتَ أن يعدوَ غناك عليه أو أن يعدوَ فقرُهُ عليك ؟ قال : يارسول الله ! وشرٌّ الغنى ؟ قال : نعم ، إنّ غناك يدعوك إلى النار

وإنَّ فقره يدعوه إلى الجنَّة . قال : فما ينجيني منه ؟ قال : تُواسيه منه . قال : إذاً أفعل . فقال الآخر : لا أرب لي فيه . قال : فاستغفر لأخيك وادعُ له .

٤٨ - [توبة أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه](١)

أخبرنا سعد الله بن نجا ، أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي ، أنا الحسن بن عليّ الجوهريّ ، أنا أبو عمر بن حيَّوَيه ، أنا عبد الوهاب ابن أبي حية ، أنا محمد بن شجاع البلخيّ ، ثنا محمد بن عمر الواقدي حدَّثني سعيد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن سابط وغيره ، قال :

كان أبو سفيان بن الحارث أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة ، أرضعته حليمة (٢) . وكان يألف رسول الله ﷺ ، وكان له تِرْباً (٣) . فلمّا بُعث رسول الله ﷺ عاداه عداوة لم يعاد أحد قط مثلها ، وهجا رسول الله ﷺ وأصحابه . فمكث عشرين سنة عدواً لرسول الله ﷺ يهجو المسلمين ويهجونه ، ولا يتخلّف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول الله ﷺ . ثمَّ إنّ الله ألقى في قلبه الإسلام .

---

(١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخوه من الرضاعة ، أرضعتها حليمة السعدية ، وكان ممن يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قيل : اسمه المغيرة ، وقيل اسمه كنيته ، والمغيرة أخوه ، أسلم يوم الفتح رضي الله عنه .

(٢) هي حليمة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم ، رضي الله عنها وهي بنت أبي ذؤيب ، واسمه عبد الله بن الحارث بن شجنة بن رزام بن ناضرة بن سعد بن بكر بن هوازن.

(٣) التِّرب : اللِّدة والسنّ ومن ولد معك .

قال أبو سفيان : فقلت : من أصحب ومع من أكون ؟ قد ضرب الإسلام بجرانه[1] . فجئت زوجتي وولدي فقلت: تهيئوا للخروج فقد أظلّ قدومُ محمد . قالوا : قد آنَ لك أن تبصر أنّ العرب والعجم قد تبعت محمداً ، وأنت مُوضِعٌ في عداوته ، وكنتَ أولى الناس بنصره. فقلت لغلامي مذكور : عجّلْ بأبعرة وفرَس . قال : ثمّ سرنا حتى نزلنا « الأبواء »[2] وقد نزلت مقدمة رسول الله ﷺ « الأبواء » . فتنكّرت وخفت أن أقتَل . وكان رسول الله ﷺ قد نذر دمي . فخرجت على قدميّ نحواً من ميل ، وأقبل الناس رَسلاً رَسَلاً[3] فتنحيت فَرَقاً[4] من أصحابه ، فلمّا طلع في موكبه تصدّيتُ له تلقاء وجهه ، فلمّا ملأ عينيه مني أعرض عني بوجهه إلى الناحية الأُخرى، فتحوّلت إلى ناحية وجهه الأخرى ، فأعرض عني مراراً ، فأخذني ماقرُب وما بعُد ، وقلت: أنا مقتول قبل أن أصل إليه ! وأتذكّر برّه ورُحمه فيمسك ذلك مني ، وقد كنتُ لا أشك أنّ رسول الله ﷺ وأصحابه سيفرحون بإسلامي فرحاً شديداً لقرابتي برسول الله ﷺ ، فلما رأى المسلمون إعراض رسول الله ﷺ عني أعرضوا عني جميعاً،

(١) يريدان الاسلام استقام وقر في قراره .
(٢) بلد بين مكة والمدينة .
(٣) بفتح الراء والسين أي فرقاً فرقاً، وفي المطبوعة : رُسلاً رُسلاً بضم الراء والسين.
(٤) أي خوفاً .

فلقيني ابن أبي قحافة [١] معرضاً عني ، ونظرت إلى عمر [٢] يغري بي رجلاً من الأنصار ، فقال لي : ياعـــدوّ الله ! أنت الذي كنت تؤذي رسول الله ﷺ وتؤذي أصحابه ، قد بلغت مشارق الأرض ومغاربها في عداوته . فرددت بعض الردّ عن نفسي ، واستطال عليّ ورفع صوته حتى جعلني في مثل الحرجة من الناس يُسَـرّون بما يفعل بي . قال : فدخلت على عمي العبّاس ، فقلت : يا عمّ ! قـد كنت أرجو أن يفرح رسول الله ﷺ بإسلامي لقرابتي وشرفي ، وقـد كان منـــه ما رأيتَ ، فكلّـمه فيَّ ليرضى عني. قال : لا والله لا أكلّـمه كلمةً أبداً بعد الذي رأيتُ إلّا أن أرى وجهاً . إني أُجلّ رسول الله ﷺ وأهابه، فقلت : يا عمّ ! إلى من تكلني ؟ قال : هو ذاك ! قال : فلقيتُ علياً [٣] فكلّمتُـه ، فقال لي مثل ذلك . فرجعت إلى العبّاس ، فقلت : يا عمّ ! فكفّ عني الرجل الذي يشتمني . قال : صفه لي . فقلت : هو رجلٌ آدمُ شديد الأدمة قصير دحداح بين عينيه شجّـة . قال : ذاك نعيمان بن الحارث النّـجاريّ . فأرسل إليه ، فقال : يا نعيمان ! إنّ أبا سفيان ابن

---

(١) ابن أبي قحافة ، هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أبو بكر الصديق رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر.

(٢) هو عمر بن الخطـــاب بن نُفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي أبو حفص الفاروق أمير المؤمنين رضي الله عنه .

(٣) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه أمير المؤمنين رضي الله عنه

عم رسول الله ﷺ وابن أخي ، وإن يكن رسول الله ﷺ ساخطاً عليه فسيرضى عنه ، فكُفَّ عنه . فبعْدَ لأْيٍ ما[1] ، كفَّ وقال : لا أعرض له .

قال أبو سفيان : فخرجتُ فجلستُ على باب منزل رسول الله ﷺ حتى راح إلى الجحفة وهو لا يكلمني ولا أحدٌ من المسلمين. وجعلت لا ينزل منزلاً إلا أنا على بابه ومعي ابني جعفر قائم . فلا يراني إلا أعرض عني . فخرجت على هذه الحال حتى شهدت معه فتح مكة ، وأنا في خيله التي تلازمه حتى نزل الأبطح[2] . فدنوت من باب قبته ، فنظر إليّ نظراً هو ألين من ذلك النظر الأول ، ورجوت أن يتبسَّم . ودخل عليه نساء بني عبد المطلب ودخلت معهنّ زوجتي فرقَّقَتْه عليّ ، وخرج إلى المسجد وأنا بين يديه لا أفارقه على حال ، حتى خرج إلى هوازن فخرجت معه وقد جمعت العرب جمعاً لم تجمع مثله قطّ ، وخرجوا بالنساء والذرّية والماشية . فلما لقيتُهم ، قلتُ : اليوم يرى أثري إن شاء الله .

فلمّا القيناهم حملوا الحملة التي ذكر الله : (ثُمَّ وَلَّيتُمْ مُدْبِرِينَ) [التوبة: ٢٦]. وثبتَ رسول الله ﷺ على بغلته الشهباء[3] وجرّد سيفه فاقتحمت عن

---

(١) اللأي: الجهد والمشقة، و « ما » للابهام .
(٢) الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى وجمعه أباطح .
(٣) الشهب محركة : بياض يصدعه سواد في خلاله ، كالشهبة بالضم .

فرسي وبيدي السيف صلتاً قد كسرتُ جفنهُ[1] ، والله يعلم أني أريد الموت دونه ، وهو ينظر إليَّ .وأخذ العباس بلجام البغلة فأخذت بالجانب الآخر . فقال : من هذا ! فقال العباس : أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث، فارضَ عنه أي رسول الله ! قال : قد فعلت فغفر الله له كلَّ عداوة عادانيها . فأقبل رجله في الركاب ، ثمَّ التفت إليَّ ، فقال : أخي لعمْري !

ثمّ أمر العباس فقال : نادِ يا أصحاب سورة (البقرة) ! يا أصحاب السَّمُرة[2] ! يا للمهاجرين ! يا للأنصار ! يا للخزرج ! فأجابوا : لبيك داعيَ الله ! وكرّوا كرّة رجل واحد ، قد حطموا الجفون وشرعوا الرماح وخفضوا عوالي الأسنَّة وأرقلوا إرقال الفحول[3] . فرأيتُني وإني لأخاف على رسول الله ﷺ شروع رماحهم ، حتى أحدقوا برسول الله ﷺ وقال لي رسول الله ﷺ : « تقدّمْ فضارب القوم ! فحملت حملة أزلتُهم عن موضعهم ، وتبعني رسول الله ﷺ قدماً في نحور القوم ، ما يألو ما تقدّم . فما قامت لهم قائمة حتى طردتُهم قدر

---

(١) جفن السيف : غمده ، ويجمع على جفون .

(٢) السَّمُرة : الشجرة . وجمعها : السَّمُر .

(٣) الأسنة ، جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والمعنى : خفضوا عوالي نصول الرماح . ومعنى أرقلوا إرقال الفحول ، أي : أسرعوا إسراع الفحول ، وهي الذكور من الحيوانات ، كالجمال وغيرها .

فرسخ (١) وتفرّقوا في كلّ وجه .

وروي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، قال : لقد رأيت النبي ﷺ يومئذٍ وما معه إلا أبو سفيان بن الحارث ، فأتيته حتى أخذت بحَكمة (٢) بغلته ، وكنت رجلاً صيّتاً ، فقال رسول الله ﷺ : يا عباس ! اصرخ : يا معشر الأنصار ! يا أصحاب السَّمُرة ! فناديتُ : يا معشرَ الأنصار ! يا أصحابَ السَّمُرة . قال : فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنَّت إلى أولادها ، يقولون : يا لبيك ! يا لبيك !

ورُوي أنهم عطفوا عطفة البقر على أولادها ، قد شرعوا الرماح ، حتّى إني لأخاف على رسول الله ﷺ رماحهم أشدَّ من خوفي رماح المشركين ، يؤمّون (٣) الصوت ويقولون : يا لبيك ! يا لبيك !

---

(١) الفرسخ ، ثلاثة أميال ، والميل : ألف باع، وهو في اللغة : منتهى مد البصر ، والباع : أربعة أذرع ، والذراع : أربعة وعشرون أصبعاً ، والأصبع : أربع شعيرات بطن لبطن ، والشعيرة : ست شعرات من ذيل بغل . ولقد قال بعضهم في ذلك شعراً :

إن البريد من الفراسخ أربع ... ولفرسخ فثلاث أميال ضعوا
والميل ألف أي من الباعات قل ... والباع أربع أذرع فتتبع
ثم الذراع من الأصابع أربع ... من بعدها العشرون ثم الأصبع
ست شعيرات فظهر شعيرة ... منها إلى بطن لأخرى توضع
ثم الشعيرة ست شعرات فقط ... من ذيل بغل ليس عن ذا مرجع

(٢) الحكَمَة محركة : ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه ، وفيها العذاران ، ومن الانسان مقدم وجهه ورأسه وشأنه وأمره .

(٣) أي يقصدون .

قال : والتفت رسول الله ﷺ يومئذ إلى أبي سفيان بن الحارث ، وهو مقنَّع بالحديد ، وهو آخذ بثغر بغلة النبي ﷺ ، قال : مَن هذا ؟ قال : ابن أمك يا رسول الله ! ويقال ، إنه قال : أخوك ، فداك أبي وأمي ، أبو سفيان بن الحارث . فقال رسول الله ﷺ : نعم أخي ، ناولني حصًى من الأرض ، فناوله ، فرمى بها في وجوه القوم وقال : شاهت الوجوه [1] ! فمرّت كأنها عنانة [2] ، فدخلتْ في أعينهم كلهم فانهزموا .

وذكر ابن عبد البرّ بإسناده عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : مر علينا أبو سفيان بن الحارث ، فقال لي رسول الله ﷺ : هلمي يا عائشة ، حتى أريك ابن عمي الشاعر الذي كان يهجوني ، أوّل من يدخل المسجد وآخر من يخرج منه ، لا يجاوز طرفه شِراك نعله [3] .

ورُوي أنه كان لا يرفع رأسه إلى النبي ﷺ حياءً منه . وقال عند موته : لا تبكوا عليّ ، فما تَنَطَّفْتُ بخطيئة [4] منذ أسلمت . وبكى على النبي ﷺ كثيراً ورثاه ، فقال :

أرِقتُ وباتَ ليلي لا يزول ... وليلُ أخي المصيبةِ فيهِ طولُ
وأسعدني البكاءُ وذاك فيما ... أصيبَ المسلمونَ به قليلُ

(١) شاهت الوجوه : قبُحت .
(٢) أي سحابة ، أو التي تمسك الماء ، وجمع عَنَان كسحاب .
(٣) أي سيره . (٤) أي : ماتلطخت : بخطيئة .

لقدْ عظُمتْ مصيبتُناوجلَّتْ عشيَّةَقيلَ قدْ قبضَ الرَّسُول
فاضحتْ أرضُنا مِمّا عراها تكادُ بنا جوانبها تميلُ
فَقدْنا الوحيَ والتنزيلَ فينا يروحُ بهِ ويغدُو جبرئيلُ
وذاك أحقُّ ما سالت عليه نُفوسُ الناس أو كادتْ تسيلُ
نبيٌّ كانَ يجلو الشكَّ عنا بمَا يوحى إليهِ ومَا يقولُ
ويَهدينا فلا يخشى علينا ضلالاً والرّسولُ لَنا دليلُ
أفاطمُ إنْ جزعتِ فذاكُ عذْرٌ وإنْ لَمْ تجزعي فهو السبيلُ
فقبرُ أبيكِ سيِّدُ كلِّ قبرٍ وفيهِ سيِّدُ الناسِ الرسولُ

٤٩ - [توبة عبد الله بن الزبعرى الشاعر رضي الله عنه]

وهرب يوم الفتح هبيرة بن أبي وهب المخزومي زوج أم هانىء بنت أبي طالب ، وعبد الله بن الزِّبعرى ، إلى نجران . وكانا شاعرين يهجوان المسلمين . ويقال : إن ابن الزِّبعرى أشعر شعراء قريش . فأرسل حسان بن ثابت أبياتاً يريد بها ابن الزِّبعرى ، أنشدنيها ابن أبي الزناد :

لَا تعْدَمنْ رجلاً أحلَّكَ بُغضهُ نجرَانَ في عيْشٍ أحذَّ لئيمِ (١)
بُليَتْ قناتُكَ في الحروبِ فأُلفيتْ خمَّانةً جوفاءَ ذَاتَ وصومِ (٢)

(١) الأبيات في ديوانه : ٤١٦ ، ونجران : بلد من اليمن ، وقوله « أحذ » بالحاء المهملة : قليل خفيف ، ووقع في المطبوعة « أجد » بالجيم والدال وهو تصحيف .

(٢) خمانة : رخوة رديئة ، والوصوم: العيوب ، وفي المطبوعة: خمانةٌ جوفاءُ ذاتُ، كلها بالرفع، وهو خطأ .

غضبَ الإلـهُ على الزِّبعْـرَى وابنهِ   وعذاب سوءٍ في الحيـاةِ مقيمِ

فلما جاءه شعر حسان تهيأ للخروج . فقـال له هبيرة : أين تريـد يا ابن عمي ؟ قال : أردت والله محمداً . قال : أتريد أن تتبعه ؟ قال: إي والله ! قال هبيرة : يا ليت أني رافقت غيرك ! والله ما ظننت أنـك تتبـع محمداً أبداً ؟ قال ابن الزِّبعرى : فعلى أيّ شيء تقيم مع بني الحارث ابن كعب – وأترك ابن عمي وخير الناس وأبرّه – ومع قومي وداري؟ فانحدر ابن الزبعرى حتى جاء رسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه. فلما نظر رسول الله ﷺ إليه قال : هذا ابن الزِّبعرى ومعه وجه فيه نور الإسلام . فلما وقف على رسول الله ﷺ قال : السلام عليك يارسول الله ! شهدتُ أن لا إله إلاّ الله وأنك عبدُه ورسوله ، والحمـد لله الذي هداني للإسلام ، لقـــد عاديتـُك وأجلبت عليك [1] وركبت البعير والفرس ومشيت على قدميّ في عداوتك ، ثم هربت منك إلى نجران وأنا أريد أن لا أقرب الإسلام أبداً ، ثم أرادني الله منه بخير وألقاه في قلبي وحببه إليّ ، وذكرت ما كنت فيه من الضلالة ، واتّباع ما لاينفع ذا عقل ، من حجر يُعبد ويذبح له ، لا يـــدري من يعبده ومن لايعبده ، قال رسول الله ﷺ : « الحمد لله الذي هداك للإسلام » إن الإسلام يجبّ ما كان قبله » .

---

(١) أي : صحت وجمعت الناس عليك .

وقال ابن الزِّبعرى حين أسلم :

مَنعَ الرُّقادَ بلابلٌ وهمومُ ... والليلُ معتلجُ الرِّواقِ بهيمُ [1]

مِمَّا أتاني أنَّ أحمدَ لامني ... فيهِ فبتُّ كأنني محمومُ

يا خيرَ من حملتْ على أوصالها ... عيرانةٌ سُرُحُ اليدينِ غشومُ [2]

إني لَمعتذرٌ إليكَ من الَّذي ... أسديتُ إذْ أنا في الضلالِ أهيمُ [3]

أيامَ تأمُرُني بأغوى خُطَّةٍ ... سهمٌ وتأمرني بها مخزومُ [4]

فاليومَ آمنَ بالنبي محمدٍ ... قلبي ومخطىءُ هذه محرومُ

مضتِ العداوةُ وانقضت أسبابُها ... ودعت أواصرُ بيننا وحُلومُ [5]

فاغفرْ فدًى لكَ والديَّ كلاهما ... زللي فإنك راحمٌ مرحومُ

وعليكَ من علمِ المليك علامةٌ ... نورٌ أغر وخاتمٌ مختومُ

أعطاكَ بعدَ محبةٍ برْهانَهُ ... شرفاً وبرهانُ الالهِ عظيمُ

ولقدْ شهدتُ بأنَّ دينكَ صادقٌ ... حقٌّ وأنكَ في العبادِ جسيمُ

---

(١) الأبيات في ديوان حسان : ٤١٦ وسيرة ابن هشام ٢/٤١٩ ، وفي المطبوعة: الرقاد بضم الدال ، وهو خطأ . والبلابل : الوساوس المختلطة والأحزان . معتلج : مضطرب يركب بعضه بعضاً .

(٢) عيرانة : ناقة تشبه العير (حمار الوحش) في حدته ونشاطه ، وسرح اليدين : خفيفة اليدين ، وغشوم : لا ترد عن وجهها .

(٣) أسديت : صنعت وحكيت ، يعني ما قال من الشعر قبل إسلامه .

(٤) وبعد هذا البيت في سيرة ابن هشام بيت آخر هو :

وأمدُّ أسبابَ الردى ويقودني ... أمرُ الغواةِ وأمرهم مشؤومُ

(٥) الأواصر : جمع آصرة وهي ما عطفك على آخر من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف ، والمراد هنا قرابة الرحم . والحلوم : العقول .

والله يشهدُ أن أحمدَ مصطفىً   متقبَّلٌ في الصالحاتِ كريمُ
قَرْمٌ تفرَّعَ في الذُّرى من هاشمٍ   فرْعٌ تمكنَ في الذُّرى وأرومُ (١)

٥٠ - [توبة هبار بن الأسود رضي الله عنه] (٢)

قال الواقديّ : حدّثني واقد بن أبي ياسر عن يزيد بن رومان ، قال : قال الزبير بن العوّام : ما رأيت رسول الله ﷺ ذكر هباراً - يعني ابن الأسود - قطّ إلا تغيظ عليه ، ولا رأيتُ رسول الله ﷺ بعث سريّة قطّ إلا قال : إن ظفرتم بهبّار فاقطعوا يديه ورجليه ثمّ اضربوا عنقه ، والله لقد كنت أطلبه وأسأل عنه ، والله يعلم لو ظفرتُ به قبل أن يأتيَ إلى رسول الله ﷺ لقتلته . ثم طلع على رسول الله ﷺ وأنا جالس ، فجعل يعتذر إلى رسول الله ﷺ

وعن جبير بن مطعم ، قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ في أصحابه في مسجده منصرَفهُ من الجِعرانةِ (٣) . فطلع هبّار بن الأسود . فلما

(١) رواية الشطر الأول في السيرة: قرم علا بنيانه من هاشم . والأروم : الأصول.

(٢) هو هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى بن قصي القرشي الأسدي ، أمه فاختة بنت عامر بن قرطبة القشيرية ، وأخواه لأمه : حزن وهبيرة ابنا أبي وهب المخزوميان .

(٣) الجعرانة : بكسر أوله إجماعاً ، ثم إن أصحاب الحديث يكسرون عينه ويشددون راءه ، وأهل الإيقان والأدب يخطئونهم ويسكنون العين ويخففون الراء . وقد حكي عن الامام الشافعي رحمه الله أنه قال : المحدثون يخطئون في تشديد « الجعرانة » وتخفيف « الحديبية » . والجعرانة : ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب ، نزلها النبي صلى الله عليه وسلم لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين ، وأحرم منها صلى الله عليه وسلم ، وله فيها مسجد .

نظر القوم اليه ، قالوا : يا رسول الله ! هبار بن الأسود ! قال رسول ﷺ : «قد رأيته». فأراد بعض القوم القيام إليه ، فأشار إليه رسول الله ﷺ «أن اجلس» . فوقف عليه هبار ، فقال: السلام عليك يا رسول الله ! إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، ولقد هربتُ منك في البلاد فأردتُ اللحوق بالأعاجم، ثم ذكرتُ عائدتك وفضلك وبِرَّك وصفحك عمن جهل عليك ، وكنّا يارسول الله أهل شرك، فهدانا الله بك وأنقذنا بك من الهلكة ، فاصفح عن جهلي وعما كان يبلغك مني فإني مقرّ بِسَوْأتي، معترف بذنبي.

قال الزبير: وقال : فقد كنتُ مُوضِعاً في سبِّك وأذاك، وكنتُ مخذولاً ، وقد بصّرني الله وهداني للإسلام . قال الزبير : فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإنه ليطأطىء رأسه ممّا يعتذر هبّار . وجعل رسول الله ﷺ يقول: «قد عفوت عنك، والإسلام يجبّ ما كان قبله» .

وكان لَسِناً . وكان ـ يعني بعد ذلك ـ يُسَبّ حتى يُبلغ منه، فلا ينتصف . فبلغ رسول الله ﷺ حلمه وما يحمل عليه من الأذى ، فقال: «يا هبّار ! سبّ من سبّك»(١) .

---

(١) حديث « سب من سبك » . قال الحافظ ابن حجر في « الاصابة » : وأخرج علي بن حرب في « فوائده » وثابت بن قيس في « الدلائل » وأبو الدحداح الدمشقي في « فوائده » كلهم من طريق ابن أبي نجيح أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية فقال : « إن أصبتم هبار بن الأسود فاجعلوه بين حزمتين وحرقوه » فلم تصبه السرية ، وأصابه الاسلام ، فهاجر إلى المدينة ، وكان رجلاً سباباً ، فقيل النبي صلى الله عليه وسلم : إن هبارا=

٥١- [توبة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه][1]

وذكر سعيد بن يحيى الأمويّ قال: حدّثني أبي، ثنا الأعمش، عن أبي إسحاق السَّبيعي قال: لما دخل النبي ﷺ مكة، قال عكرمة: والله لا أسكن أرضاً أرى فيها قاتل أبي الحكم[2]! فانطلق يركب البحر. وعمد خَتَنَه ابو امرأته فأمر زوجته فتعصبت. ثمّ تلقته فقالت: أين تذهب يا سيد فتيان قريش؟ تذهب إلى أرض لا تعرف بها؟ فأبى أن يطيعها.

وعن عبد الله بن الزبير، قال: لما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة، وأسلمت أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة، في عشر نسوة من قريش. فأتينَ رسول الله ﷺ وهو بالأبطح فبايعنه.

= يَسب ولا يُسب، فأتاه فقام عليه فقال له: «سب من سبك» فكفوا عنه.

قال الحافظ: وهذا مرسل، وفيه وهم في قوله: وهاجر إلى المدينة، فإنه إنما أسلم بالجعرانة، وذلك بعد فتح مكة، ولا هجرة بعد الفتح. قال: والصواب ما قال الزبير ابن بكار: إن هباراً لما أسلم وقدم المدينة جعلوا يسبونه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «سب من سبك» وأخرج ابن شاهين من طريق عقيل عن ابن شهاب نحوه مرسلاً. فهو حديث ضعيف، ويعارض قوله صلى الله عليه وسلم لأبي جري جابر ابن سليم. «لا تسبنّ أحداً» رواه أبو داود رقم (٤٠٨٤) واسناده صحيح.

(١) هو عكرمة بن أبي جهل القرشي المخزومي، كان كأبيه من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أسلم يوم الفتح، وخرج إلى المدينة، ثم إلى قتال أهل الردة، ثم مات بأجنادين رضي الله عنه، ولم يعقب.

(٢) أبو الحكم، هو أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الاسلام، قتل في غزوة بدر الكبرى، وكفى الله تعالى المؤمنين شره وشر أمثاله من الأشرار الفجار.

فدخلن عليه وعنده زوجتاه وابنته فاطمة ونساء من نساء بني عبد المطلب . فتكلمت هند بنت عتبة ، فقالت : يا رسول الله ! الحمد لله الذي أظهر الدّين الذي اختار لنفسه لتمسّني رحمكَ ، يا محمد ! إني امرأة مؤمنة بالله مصدّقة . ثم كشفت عن نقابها ، فقالت : هند بنت عتبة . فقال رسول الله ﷺ : «مرحباً بك». فقالت : والله ، يا رسول الله ، ما كان على الأرض أهل خباءٍ أحبّ إليّ أن يذلّوا من خبائك ، ولقد أصبحتُ وما على الأرض من أهل خباءٍ أحبّ إليّ أن يعزّوا من خبائك. فقال رسول الله ﷺ : «وزيادة أيضاً» . ثم قرأ رسول الله ﷺ عليهنّ القرآن وبايعهنّ .

ثم قالت أمّ حكيم امرأة عكرمة : يا رسول الله ! قد هرب عكرمة منك إلى اليمن ، وخاف أن تقتله فأمّنْه. فقال رسول الله ﷺ : هو آمنٌ . فخرجت أمّ حكيم في طلبه ، فأدركته وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تِهامة [١] . فجعل نوتيّ السفينة [٢] يقول له : : أخلص ! قال : أيّ شيء أقول ؟ قال : قل: لا إله إلا الله. قال عكرمة: ماهربتُ إلا من هذا ! فجاءت أمّ حكيم على هذا من الأمر ، فجعلت تقول : يا ابن عمٍ ! جئتك من عند أفضل الناس وأبرّ الناس وخير الناس ، لا تهلك نفسك ! وقالت : إني قد استأمنت لك رسول الله ﷺ . قال : أنت فعلت ؟ قالت : نعم ، أنا كلمته فأمّنك . فرجع معها .

(١) تِهامة، وتهمة: الأرض المتصوبة إلى البحر، والغور، ومنها مكة المكرمة شرفها الله تعالى.
(٢) نوتيّ السفينة : ملاحها ، والجمع : النواتي ، وهم الملاحون .

قال : وجعل عكرمة يطلب امرأته ليجامعها، فتأبى عليه وتقول: إنك كافر وأنا مسلمة . فيقول : إنّ أمراً منعك مني لأمرٌ كبير !

فلمّا رأى النبيّ ﷺ عكرمة وثب إليه ، وما على النبي ﷺ رداء، فرحاً بعكرمة . ثمّ جلس رسول الله ﷺ فوقف عكرمة بين يديه ومعه امرأته مُتنقّبة . ثمّ قال عكرمة : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله . فسرّ بذلك رسول الله ﷺ ثمّ قال : يا رسول الله !علمني خير شيء أقوله . فقال : «تقول:أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله». فقال عكرمة : ثمّ ماذا ؟ قال رسول الله ﷺ : «تقول: أشهد الله وأشهد من حضر أني مسلم مهاجر». فقال عكرمة ذلك.فقال رسول الله ﷺ : «لا تسألني اليوم شيئاً أعطيه أحداً إلا أعطيتكه ». فقال عكرمة : فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتكها ، أو مسيرٍ أوضعتُ فيه ، أو مقامٍ لقيتك فيه ، أو كلام قلته في وجهك أو أنت غائب عنه . فقال رسول الله ﷺ :«اللهم اغفر له كلّ عداوة عادانيها ، وكل مسير سار فيه إليّ مُوضِعاً يريد بذلك المسير إطفاء نورك،واغفر له كلّ ما نال مني من عرض في وجهي أو وأنا غائب عنه . فقال عكرمة : رضيت يا رسول الله ! أما والله ، يا رسول الله ، لا أدع نفقة كنتُ أنفقُها في صدٍّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله ، ولا قتالٍ كنت أقاتل في صدّ عن سبيل

الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله . ثمّ أجتهد في القتال حتى أقتل ، قال : فما زال يقاتل في سبيل الله حتى قُتِل رحمه الله .

وروي أنه لمّا كان يوم اليرموك ترّجل عكرمة ، فقال له خالد[1] : لا تفعل ، فإنّ مصابك على المسلمين شديد . فقال : دعني يا خالد ! فإنه كانت لك سابقة مع رسول الله ﷺ . ثمّ قاتل قتالاً شديداً حتى قتل ، فوجد به بضعٌ وسبعون من بين طعنة وضربة ورمية .

وقال عبد الله بن مصعب : استشهد يوم اليرموك الحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو . فأُتوا بماءٍ وهم صرعى ، فتدافعوه . كلما دُفع إلى رجل منهم قال : اسقِ فلاناً ، حتى ماتوا ولم يشربوه . قال : طلب الماء عكرمة ، فنظر إلى سهيل ينظر إليه،فقال: ادفعه اليه ، فنظر إلى الحارث ينظر اليه ، فقال : ادفعه اليه .فلم يصل اليه ، حتى ماتوا ، رحمة الله عليهم .

٥٢ - [توبة سهيل بن عمرو[2] والحارث بن هشام رضي الله عنهما[3]]

ويروى عن الحسن،قال: حضر الناسُ باب عمر بن الخطاب رضي

---

(١) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي ، سيف الله ، الفاتح الكبير والقائد العظيم ، والصحابي الجليل رضي الله عنه .

(٢) هو سهيل بن عمرو بن عبدشمس بن عبد ود بن نصربن مالك بن حسل بن عامر ابن لؤي القرشي العامري ، خطيب قريش أبو يزيد،وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية رضي الله عنه .

(٣) هو الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي أبوعبد الرحمن صحابي- وهو=

الله عنه وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن الحارث وأولئك الشيوخ. فخرج آذنه فجعل يأذن لأهل بدرٍ لصهيب وبلال وأهل بدر ، وكان يحبهم وكان قد أوصى بهم. فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم ، إنه ليؤذَن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يُلتفت الينا . فقال سهيل - قال الحسن: ويا له من رجل ما كان أعقله! - : أيها القوم! قد أرى الذي في وجوهكم ، فإن كنتم غِضاباً فاغضبوا على أنفسكم ، دُعي القوم ودُعيتم ، فأسرعوا وأبطأتم ، أما والله لَمَا سبقوكم به من الفضل أشدُّ عليكم فوْتاً من بابكم هذ الذي تتنافسون عليه ، أيها القوم ! إن هؤلاء قد سبقوكم بما ترون ، ولا سبيل لكم إلى ما سبقوكم اليه ، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى أن يرزقكم الله الشهادة . ثمّ نفض ثوبه فقام ، فلحق بالشام وخرج بأهله إلا بنته هنداً . فماتوا كلهم إلا هنداً وفاختة بنت عتبة بن سهيل . وقتل سهيل شهيداً باليرموك ، فقدم بفاختة على عمر . وكان الحارث بن هشام خرج بأهله فلم يرجع منهم إلا ولده عبد الرحمن . فقال عمر : زوّجوا الشريدَ الشريدةَ . وأقطعهما عمر بالمدينة خطّة وأوسع لهما . فقيل له: أكثرت لهما . فقال : عسى الله أن ينشر منهما ولداً كثيراً رجالاً ونساءً فولد لهما أبو بكر وعمر وعثمان وعكرمة وخالد ومخلد . فأبو بكر أحد الفقهاء السبعة ، فقهاء المدينة ، وكان يدعى : راهب قريش .

= أخو أبي جهل - كان شريفاً في الجاهلية والاسلام وقد انتهت إليه سيادة بني مخزوم ، أسلم يوم فتح مكة ، وخرج في أيام عمر رضي الله عنه بأهله وماله من مكة إلى الشام ، فلم يزل مجاهداً بالشام إلى أن مات في طاعون عمواس رضي الله عنه .

وروى ابن المبارك عن الأسود بن شيبان عن نوفل بن أبي عقرب، قال: خرج الحارث بن هشام من مكة، فجزع أهل مكة جزعاً شديداً. فلم يبقَ أحد يطعم الطعام إلا خرج معه يشيّعه، حتى إذا كان بأعلى البطحاء أو حيث شاء الله من ذلك، وقف ووقف الناس. فقال: يا أيها الناس! إني والله ما خرجت رغبةً بنفسي عن أنفسكم ولا اختيار بلد على بلدكم، ولكن كان هذا الأمر فخرجت فيه رجال من قريش، والله ما كانوا من ذوي أنسابها ولا في بيوتها، فأصبحنا واللهِ ولو أنّ جبال مكة ذهباً أنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يوماً من أيامهم، والله لئن فاتونا في الدنيا لَنَلتمسٌ أن نشاركهم في الآخرة، فاتقى الله امرؤٌ. فتوجه إلى الشام واتّبعه ثَقَلُهُ، فيُقال: إنه قتل يوم اليرموك رحمه الله.

٥٣ - [توبة الأنصار رضي الله عنهم]

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور، قال: أنا أبو طالب عبد القادر بن محمد اليوسفي، أنا أبو علي بن المذهب، أنا أبو بكر القطيعي، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا أبي، ثنا عارم، ثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي يقول: ثنا السُّمَيْط السَّدوسيّ، عن أنس ابن مالك، قال:

فتحنا مكة ثمّ إنا غزونا حُنَيْناً، فجاء المشركون بأحسن صفوف رُئيتْ أو رأيتُ. قال: فلم نلبث أن انكشفتْ خيلُنا وفرّت الأعراب

ومن تعلم من الناس . قال : فنادى رسول الله ﷺ : «يا لَلمهاجرين ! يا لَلمهاجرين ! يا لَلأنصار ! يا لَلأنصار !» قال : قلنا : لبيك ، يا رسول الله ! قال : فتقدّم رسول الله ﷺ . قال : وايم[1] الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله . قال : فقبضنا ذلك المال . قال : فنزلنا ، فجعل رسول الله ﷺ يعطي الرجلَ المائةَ ويعطي الرجل ،

قال : فتحدّثت الأنصار بينها : أمّا من قاتله فيعطيه ، وأمّا من لم يقاتله فلا يعطيه . قال : فرُفِع الحديث إلى رسول الله ﷺ فأمر بسراة المهاجرين[2] والأنصار أن يدخلوا عليه ، ثمّ قال : «لا يدخلن عليّ إلا أنصاري» .قال : فدخلنا حتى ملأنا القبة. فقال نبيّ الله ﷺ : «يا معشر الأنصار ! ما حديثٌ أتاني ؟» قالوا : ما أتاك يا رسول الله ؟ قال: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم ؟ »قالوا : رضينا يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : «لو أخذ الناس شعباً وأخذت الأنصار شعباً لأخذت شعب الأنصار » . قالوا : رضينا يا رسول الله !

وروى هذا الحديث محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص قال : حدّثني أبو سلمة بن عبد الرحمن وغيره ، قال : بلغ النبيّ ﷺ أن الأنصار قد قالت . قال : فدخلوا عليه ، فقال لهم: ألم أجدكم ضُلاّلاً فهداكم الله بي ؟

---

(١) في المطبوعة : وأيم بهمزة قطع ، وهو خطأ .

(٢) سراة المهاجرين : أغنياؤهم .

قالوا : بلى ! قال : ألم أجدكم عالة فأغناكم الله بي ؟ قالوا : بلى . قال : ألم أجدكم أعداءً فألف الله بين قلوبكم بي ؟ قالوا : بلى ! قال : أما إنكم لو شئتم قلتم فصدقتم : جئتنا طريداً فآويناك ، قالوا : الله ورسوله أمَنّ . قال : ولو شئتم قلتم : قد جئتنا مخذولاً فنصرناك ، قالوا : الله ورسوله أمن . قال : ولو شئتم قلتم : جئتنا عائلاً فآسيناك ، قالوا : الله ورسوله أمن . قال : أفلا ترضون أن ينقلب الناس بالشاة والبعير وتنقلبون برسول الله إلى رحالكم ؟ قالوا : بلى ، رضينا . قال : ولو أنّ الناس سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم ، ولولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصار ، الناس دثار والأنصار شعار .

٥٤ - [توبة أبي محجن الثقفي رضي الله عنه] [١]

أخبرنا الرئيس العالم الأديب أبو العزّ محمد بن محمد بن مواهب ابن الخراساني قال : أنا أبو غالب محمد بن عبد الواحد القزّاز ، أنا أبو الحسن عليّ بن عمر البرمكيّ وأبو الحسين بن النقور قالا : أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص ، أنا أبو بكر أحمد بن عبد الله بن سيف ، أنا أبو عبيدة السريّ بن يحيى ، أنا شعيب بن إبراهيم ، قال : أنبأ سيف بن عمر التميمي ، عن محمد وطلحة وابن مخراق وزياد ، قالوا :

(١) هو أبو محجن الثقفي الشاعر المشهور ، مختلف في اسمه ، فقيل: عمرو بن حبيب ابن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عنزة بن عوف بن ثقيف، وقيل: اسمه كنيته. وقيل: اسمه مالك ، وقيل : عبد الله ، وأمه كنود بنت عبد شمس. قال الحاكم : له صحبته.

لمّا اشتدّ القتال بالسواد – يعني في القادسية – وكان أبو محجن قد حبس وقيد فهو في القصر ، فاتى سلمى بنت حفصة امرأة سعد، فقال: يا بنت آل حفصة ! هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : تخلين عني وتعيرينني البلقاء ، فلله عليّ إن سلمني الله أن أرجع حتى أضع رجلي في قيديّ ، وإن أصبت فما أكثرَ من أفلت . فقالت : ما أنا وذاك ؟ فرجع يرسف في قيوده ويقول :

كَفى حزَناً أن تَرْدِيَ الخيلُ بالقَنا ... وأُترَكَ مشدُوداً عليَّ وثاقيَا
إذَا قمْتُ عنّاني الحديدُ وغلّقتْ ... مصاريعُ دوني قدْ تصمُّ المنادِيَا
وقدْ كنتُ ذَا مالٍ كثيرٍ وإخوَة ... فقدْ تركوني واحداً لا أخا ليَا
ولله عهدٌ لا أخيسُ بعهدِهِ ... لئن فُرِّجت أن لا أزورَ الحوانيا

فقالت سلمى : إني استخرت الله ورضيت بعهدك . فاطلقته .

فاقتاد الفرس فأخرجها من باب القصر فركبها ، ثمّ دبّ عليها حتى إذا كان بحيال الميمنة كبر ، ثمّ حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين . ثمّ رجع من خلف المسلمين الى الميسرة ، فكبر على ميمنة القوم يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه ، ثم رجع خلف المسلمين إلى القلب فبدر أمام الناس فحمل على القوم يلعب بين الصفّين برمحه وسلاحه . وكان يقصف الناس ليلتئذ قصفاً منكراً ،وتعجب الناس منه وهم لايعرفونه ولم يروه من النهار .

فقال بعضهم : أوائل أصحاب هاشم،أو هاشم نفسه . وقال بعضهم:

إن كان الخَضِر يشهد الحروب فنظن صاحب البلقاء الخضر . وقال بعضهم : والله لولا أنّ الملائكة لا تباشر لقلت : مَلَك[1] بيننا . ولا يذكره الناس ولا يأبهون له لأنه بات في محبسه . وجعل سعد يقول: والله لولا محبس أبي محجن لقلت : إنّ هذا أبو محجن وهذه البلقاء. فلما انتصف الليل تحاجز الناس وتراجع المسلمون . وأقبل أبو محجن حتى دخل من حيث خرج ، فوضع عن نفسه ودابته وأعاد رجليه في قيديه.

وذكر عبد الرزاق قال : وأخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين، قال : كان أبو محجن الثقفي لا يزال يجلد في الخمر ، فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه . فلما كان يوم القادسية فكأنه رأى أنّ المشركين قد أصابوا في المسلمين . فأرسل إلى أمّ ولد سعد أو امرأة سعد : إن أبا محجن يقول لكِ : إن خليت سبيله وحملته على هذا الفرس ودفعت إليه سلاحاً ليكوننّ أوّل من يرجع إليك إلا أن يقتل . وأنشأ يقول :

كفى حزناً أنْ تلتقي الخيلُ بالقنا ... وأُتركَ مشدوداً عليَّ وَثاقيَا
إذا قمتُ عنَّاني الحديدُ وغلّقَتْ ... مصاريعُ منْ دوني تصمّ المناديا

فحلت عنه قيوده وحمل على فرس كان في الدار وأعطي سلاحاً . ثم خرج يركض حتى لحق بالقوم ، فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله ويدقّ صلبه. فنظر إليه سعد فجعل يتعجّب ويقول: من ذاك الفارس؟ قال : فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى هزمهم الله .ورجع أبو محجن وردّ

---

(١) في « أ » : ملكاً ، وفي « ب » و المطبوعة : ملكاً يثبتنا ، وهو خطأ .

السلاح وجعل رجليه في القيود كما كان . فجاء سعد ، فقالت له امرأته: كيف كان قتالكم ؟ فجعل يخبرها ويقول : لقينا ولقينا ، حتى بعث الله رجلاً على فرس أبلق ، لولا أني تركت أبا محجن في القيود لقلت : إنها بعض شمائل أبي محجن . فقالت : والله إنه لأبو محجن ، كان من أمره كذا وكذا . فقصّت عليه قصته .

فدعا به ، فحلّ قيوده وقال : لا نجلدك على الخمر أبداً . قال أبو محجن : وأنا والله لا أشربها أبداً ، كنت آنف أن أدعها من أجل جَلدكم. قال : فلم يشربها بعد ذلك .

وقيل : قال أبو محجن : قد كنت أشربها إذ يقام عليّ الحد وأطهر منها ، فاما إذ بهرجتني ، فوالله لا أشربها أبداً . وكان أبو محجن أسلم حين أسلمت ثقيف . وسمع من النبي ﷺ وروى عنه . واسمه مالك ، وقيل : عبد الله بن حبيب ، وقيل : اسمه كنيته .

٥٥ - [توبة طليحة بن خويلد رضي الله عنه][1]

أخبرنا أبو منصور جعفر بن عبد الله بن الدامغاني ، أنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفيّ ، أنا أبو منصور بن السوّاق[2] ، أنا أبو القاسم إبراهيم بن أحمد الخرقيّ ، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن سفيان[3] ،

(١) هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة به الأشتر بن حجوان بن فقعس الأسدي الفقعسي رضي الله عنه .
(٢) في « ب » : ابن السوار .
(٣) في « ب » والمطبوعة : سفير ، وفي « أ » نسخة : شقير .

أنا أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح ، أنا محمد بن الواقديّ ، وذكر أمر طليحة بن خويلد حين تنبأ وقتاله إلى أن كسر عسكره ، قال : فحدّثني موسى بن محمد إبراهيم التميمي عن أبيه ، قال :

لما رأى طليحة أن النـــاس يقتلون ويؤسرون أعدّ فرسه وهيأ امرأته عنده ، فوثب على فرسه وحمـل امرأته فنجا بها ، وقال : من استطاع منكم أن يفعل كما فعلت فليفعل . ثمّ هرب حتى قـدم الشام ، فأقام عند بني جفْـنة الغسانيين حتى فتح الله أجنادين وتوفي أبو بكر . فقدم في خلافـــة عمر مكّـة محرماً . فلما رآه عمر قال : يا طليحة ! لا أحبك بعد قتلك الرجلين الصالحين عكاشة وثابت بن أقرم . وكان قتلهما هو وأخوه . قال : يا أمير المؤمنين ! رجلان أكرمهما الله بيديّ ولم يهني بأيديهما ، وما كلّ البيوت بنيت على الحبّ ولكنْ صفحةٌ جميلة، فإنّ الناس يتصافحون على الشّـنآن .

وأسلم إسلاماً صحيحاً ولم يغمصْ عليه في إسلامه . وقال يعتـذر ويذكر ما كان منه :

ندمتُ على ما كانَ من قتلِ ثابتٍ وعكّـاشةَ الغنميّ ثمَّ ابنِ معبدِ
وأعظمُ منْ هاتينِ عنديمصيبةً رُجوعي عنِ الإسلا مفعلَ التعمدِ
وتركي بـلادي والحوادثُ جمـةٌ طريداً وقـِدْماكنتُ غيرَ مطردِ
فهلْ يقبلُ الصدّيقُ أني مراجعٌ ومعط بما أحدَثتُ منْ حدثيدي

وأنيَ من بعدِ الضلالةِ شاهدٌ شهادةَ حقٍّ لستُ فيها بملحدِ
بانَّ إلهَ النَّاسِ ربي وأنني ذليلٌ وأنَّ الدِّينَ دينُ محمَّدِ

قال الواقديّ : وحدّثني محمد بن يعقوب أنّ طليحة خرج غازياً هو وأصحابه يريدون الروم . فركبوا البحر ، فبينما هم ملججين فيه ، إذ ناداهم قادس من تلك القوادس، فيه ناس من الروم . فقالوا لهم: إن شئتم أن تقفوا لنا حتى نثب في سفينتكم ، وإن شئتم وقفنا لكم حتى تثبوا علينا في سفينتنا . قال طليحة لأصحابه : ما يقولون؟ فأخبروه. فقال طليحة : لأضربنكم بسيفي ما استمسك في يدي أو لتقربنّ سفينتنا إليهم . قال : فدنا القوم بعضهم من بعض . قال طليحة لأصحابه : اقذفوني في سفينتهم ، فرموا به فِي سفينتهم ، فغشيهم بسيفه حتى تطايروا منه . فغرق من غرق واستسلم من استسلم . فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأعجبه .

وذكر سيف بن عمر عن أبي عمرو عن أبي عثمان النهديّ [1] ، قال : أخرج سعدٌ طليحةَ في خمسة ، وعمرو بن معدي كرب في خمسة ـ يعني عيوناً له ـ صبيحة قدم رستم الجالينوس وذا الحاجب . فرجع عمرو وأصحابه وأصحاب طليحة لما رأوا كثرة عدوّهم . ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه . فلما أدبر الليل خرج وقد أتى أفضل من توسم في ناحية العسكر . فإذا فرس لم يرَ في خيل القوم مثله، وفسطاط [2] أبيض لم ير مثله. فانتضى سيفه فقطع مقود الفرس، فركبه وخرج يعدو به .

(١) في المطبوعة : الهندي ، بتقديم الهاء على النون ، وهو تحريف .
(٢) في « أ » و « ب » والمطبوعة : فسطاطاً .

وندر به الرجـــل والقوم ، فركبوا الصعبة والذَّلول في طلبه . فاصبــح وقـد لحقه فارس . فلما غشيه وبوّأ له الرمح ليطعنه عـدل طليحة فرسه ، فنـدر الفارسيّ بين يديه . فكرّ عليه طليحة فقصم ظهره بالرمح . ثمّ لحقه آخر ، ففعل بـه مثل ذلك . ثمّ لحق به آخر ، ففعل به مثل ذلك . فلما كرّ عليه طليحة ، عرف أنه قاتله فاستأسر . فامره طليحة أن يركض بين يديه ، ففعل حتى غشيا عسكر المسلمين وهم على تعبئة . فافزع الناس وجوّزوه إلى سعد فأخبره بمـا صنـع . وجيء بالترجمان فأُقيم بين يدي سعد والفارسي .

فقال الفارسيُّ : أخبركم عن صاحبي هذا قبل أن أخبركم عما قبلي . باشرت الحروب وغشيتها وسمعت بالأبطال ولقيتها منذ أنا غلام إلى أن بلغت ما ترى . فلم أسمع بمثل هذا ، أن رجلاً قطع عسكرين لا تجترىء عليهما الأبطال إلى عسكر فيـه سبعون ألفـاً يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة إلى ما دون ذلك . فلم يرضَ أن يخرج كما دخـل حتى سلب فارس الجند وهتك أطناب بيته ، فانْـذَرَه وأنذرنا به، فادركه فارس الناس يعدل بألف فارس فقتله . ثمّ أدركه الثاني وهو نظيره فقتله . ثمّ أدركته ، ولا أظنّـني خلفت بعدي من يعدلني ، وأناالثائربالقتيلين وهما ابنا عمّـي ، فرأيت الموت فاستأسرت .

ثمّ أخبره عن أهل فارس أنّ الجند عشرون ومائة الف. وأسلم الرجل، وعاد طليحة ، وقال : والله لا تغلبون ما دمتم على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح . فكان من أهل البلاء يومئذ [1] .

---

(١) كتب هنا في الأصل « ب » : آخر الجزء الثالث من الأصل .

ذكر التوابين من ملوك هذه الامة

٥٧ [توبة ذي الكلاع](١)

ذكر محمد بن أحمد بن البراء في كتاب «الروضة»: أنا محمد بن الرصافي، ثنا سليمان بن معبد، ثنا سعيد بن عُفير المصريّ، ثنا علوان بن داود عن رجل من قومه، قال:

بعثني أهلي في الجاهلية إلى ذي الكَلاع بهدية. فأقمت ببابه سنة لا أصِلُ إليه. ثم اطلع اطلاعةً من قصره فلم يبقَ حول قصره أحد إلا خرّ له ساجداً. ثم أمر بهديته فقبلت. ثم رأيته في الإسلام، قد

(١) ذو الكَلاع: لقب لُقِّب به، من التكلُّع، وهو التحالف والتجمُّع، وذو الكلاع، اثنان: ذو الكَلاع الأكبر، وذو الكلاع الأصغر، وهو حفيد ذي الكلاع الأكبر، والمقصود به هنا: الأصغر، واسمه: سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذي الكَلاع الأكبر، أبو شراحيل الحميري من ملوك اليمن المعروفين بالأذواء، كان في أواخر العصر الجاهلي، ولما ظهر الإسلام أسلم ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة في زمن عمر، فروى عنه، وشهد وقعة اليرموك وفتح دمشق، ثم سكن حمص وتولى قيادة أهلها في جيش معاوية أيام صفين وقتل بها، وكان جسيماً وسيماً، والمؤرخون مختلفون في ضبط اسمه واسم أبيه، ولكنهم متفقون على تعريفه بذي الكلاع.

اشترى لحماً بدرهم وهو على فرس ، قــد سمط اللحم[1] على فرسه ، وهو يقول :

أفٍّ للدُّنيــا إذَا كانتْ كذا ... أنا منهــا في أذى
كلَّ يومٍ ... ولقدْ كنتُ إذا ما قيلَ: من
أنعمُ الناسِ معاشاً ؟ قيلَ : ذا ... ثمَّ بُــدِّلتُ بعيشي شِقوَةً
حبذا هـذا شقاءٌ حبـذا

وروى ابن دريد عن الرياشي عن الأصمعي ، قال : كان رسول الله ﷺ كاتَب ذا الكَلاع من ملوك الطوائف على يد جرير بن عبد الله[2] يدعوه إلى الإسلام ، وكان قد استعلى أمره حتى ادعى الربوبية وأُطيع حتى مات النبي ﷺ قبل عودة جرير ، وأقام ذو الكلاع على ما هـو عليـه إلى أيام عمر ، ثم رغب في الإسلام ، فوفـد على عمر ومعه ثمانيـة آلاف عبد ، فأسلم على يده وأعتق من عبيده أربعة آلاف. فقال له عمر : يا ذا الكلاع ! بعني ما بقي من عبيدك حتى أُعطيك ثلث أثمانهم هاهنا، وثلثاً باليمن ، وثلثاً بالشام . قال : أجلني يومي هذا أفكر فـيما قلت ، ومضى إلى منزله فاعتقهم جميعاً . فلما غدا على عمر ، قال له : ما رأيك فيما قلت لك في عبيدك ؟ قال : قد اختار الله لي ولهم خيراً مما رأيت . قال : وما هو ؟ قال : هم أحرار لوجه الله . قال : قـد أصبت والله ، يا ذا الكلاع ! قال : يا أمير المؤمنين ! لي ذنب ما أظن أنَّ الله يغفره لي.

---

(١) أي علّقة .

(٢) هو جرير بن عبد البجلي الصحابي رضي الله عنه .

قال : وما هو ؟ قال : تواريت عمن يتعبد لي ثم أشرفت عليهم من مكان عالٍ ، فسجد لي زُهاءُ مائةِ ألف (١) إنسان . فقال عمر : التوبة بالإخلاص والإنابة بالإقلاع يرجى بهما مع رأفة الله الغفرانُ . قال الله تعالى : ﴿ لا تقنطُوا منْ رحمةِ اللهِ ﴾ [الزمر : ٥٣] (٢) .

٥٨ - [توبة أمير وتاجر]

أخبرنا الشيخ أبو الفرج (٣) أنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد قال : أنا أبو بكر محمد بن علي الخياط ، أنا أحمد بن محمد بن العلاف ، ثنا الحسين بن صفوان ، ثنا أبو بكر القرشي ، حدثني محمد بن الحسين ، أخبرني أبو عمر العمري ، حدثني عبيد الله بن صدقة بن مرداس البكرى عن أبيه ، قال :

نظرت إلى ثلاثة أقبر على شرف من الأرض مما يلي بلاد أنطاكية (٤) فإذا على أحدها مكتوب :

---

(١) زُهاء مائة ألف: قدر مائة ألف .

(٢) والآية بتمامها : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) .

(٣) هو الإمام عبد الرحمن بن علي بن الجوزى ، وقد تقدم مراراً .

(٤) أنطاكية : قصبة العواصم من الثغور الشامية ، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير ، فتحت في زمن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه . وكانت العرب إذا أعجبها شيء نسبته إلى أنطاكية .

وجاء في « ب » والمطبوعة : أنطابلس ، بدل أنطاكية . وهي مدينة بين الاسكندرية وبرقة .

وكيفَ يلذُّ العيشَ مَنْ هوَ عالِمٌ	بأنَّ إلهَ الخلق لا بد سائلُهْ
فيأخُذُ منهُ ظلمهُ لعبادهِ	ويجزيه بالخيرِ الذي هوَ فاعلُهْ

وإذا على القبر الثاني :

وكيفَ يلذُّ العيشَ مَنْ كان موقِناً	بأنَّ المنايا[1] بغتةً ستُعاجِلُهْ
فتسلبُهُ ملكاً عظيماً ونخوةً[2]	وتُسكِنُهُ البيتَ الذي هو آهلُهْ

وإذا على القبر الثالث إلى جنبهما :

وكيفَ يلذُّ العيشَ مَنْ كان صائراً	إلى جدثٍ[3] تبلي الشبابَ مَناهله[4]
ويذهب رُسمَ الوجه من بعد صونه	سريعاً ويبلى جسمهُ ومفاصلهْ

وإذا هي قبور مسنَّمة على قدر واحد مصطفَّة . فقلت لشيخ جلست إليه : لقد رأيت في قريتكم عجباً . قال : وما رأيت؟ فقصصت عليه قصة القبور . قال : فحديثهم أعجب مما رأيت على قبورهم .

قال : فقلت : حدّثني . قال : كانوا ثلاثةَ إخوة ، أمير يصحب السلطان ويؤمّر على المدائن والجيوش، وتاجر موسر مطاع في خاصته،

---

(١) جمع منية ، وهو الموت .

(٢) النخوة : الافتخار والتعظُّم .

(٣) الجدث : القبر ، والجمع : أجدُث ، وأجداث ، ومنه قوله تعالى في سورة [يس : ٥١] (ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) أي : ونفخ في الصور النفخة الثانية ، فإذا هم من القبور إلى ربهم يخرجون بسرعة .

(٤) أي : منازله .

وزاهد قد تخلى لنفسه وتفرّد لعبادته . قال : فحضرتْ أخاهم العابدَ الوفاةُ ، فاجتمع عنده أخواه . وكان الذي يصحب السلطان منهم قد ولي بلادنا هذه ، أمّره عليها عبد الملك بن مروان ، وكان ظالماً غشوماً[1] متعسفاً . فاجتمعا عند أخيهما لما احتُضر[2] ، فقالا له : أوص . قال : لا والله ما لي من مال فأوصي فيه ، ولا لي على أحد دين فأوصي به ، ولا أخلف من الدنيا شيئاً فأُسلبه . فقال له أخوه ذو السلطان : أي أخي ! قل لي ما بدا لك ، فهذا مالي بين يديك ، فأوص منه بما أحببت ، وأنفذ منه ما بدا لك ، واعهد إليّ بما شئت . قال : فسكت عنه . فقال أخوه التاجر : أي أخي ! قد عرفت مكسبي و كثرة مالي ، فلعلّ في قلبك غصة من الخير لم تكن تبلغها إلا بالإنفاق فيها ، فهذا مالي بين يديك ، فاحتكمْ فيه بما أحببت ينفذْ لك أخوك .

فاقبل عليهما ، فقال : لا حاجة لي في مالكما ، ولكني ساعهد إليكما عهداً فلا تخالفا عهدي . قالا : اعهد . قال : إذا مت فغسلاني و كفناني وادفناني على نشز من الأرض[3] واكتبا على قبري :

وكيفَ يلذ العيشَ من هُوَ عالمٌ
بأنّ إلهَ الخلق لا بدّ سائلُه

(١) من الغشم ، وهو الظلم أيضاً ، وكذلك المتعسف .
(٢) أي حضره الموت .
(٣) أي على مرتفع من الأرض .

فيأخـذُ منـهُ ظلمـه لعبـاده
ويجزيـه بالخـير الذي هـو فاعلُـه

فإذا أنتما فعلتما ذلك فأْتياني كل يوم مرة لعلكما أن تتعظا .

قال : ففعلا ذلك لمَّا مات . قال: وكان أخوه يركب في جنده حتى يقف على القبر . فينزل فيقرأ ما عليه ويبكي . فلما كان في اليوم الثالث جاء كما كان يجيء مع الجند، فنزل فبكى كما كان يبكي . فلما أراد أن ينصرف سمع هدَّةً[1] من داخل القبر كاد ينصدع لها قلبه ، فانصرف مذعوراً فزعاً[2] . فلما كان الليل رأى أخاه في منامه . فقال : أي أخي! ما الذي سمعتُ من قبرك؟ قال: تلك هدَّة المقْمعة. قيل لي: رأيت مظلوماً فلم تنصره. قال: فأصبح مهموماً. فدعا أخاه وخاصته وقال: ما أرى أخي أراد بما أوصانا أن نكتب على قبره غيري، وإني أشهدكم أني لا أقيم بين ظهرانيكم أبداً . قال : فترك الإمارة ولزم العبادة . وكتب إلى عبد الملك ابن مروان في ذلك ، فكتب أن خلوه وما أراد . فكان إنما يأوي الجبال والبراريّ حتى حضرته الوفاةُ في هذا الجبل وهو مع بعض الرعاة . فبلغ ذلك أخاه ، فأتاه فقال : أي أخي ! ألا توصي ؟ قال : بم أوصي ؟ ما لي من مال فأوصي به ؛ ولكن أعهد إليك عهداً ؛ إذا أنامت فبوأتني قبري[3] فادفني إلى جنب أخي واكتب على قبري :

---

(١) أي صوتاً غليظاً .
(٢) أي خائفاً .
(٣) أي : أنزلتني قبري .

وكيف يلذُّ العيش منْ كان مُوقناً
بأنَّ المنايا بغتةً ستُعاجلُه

فتسلُبُه مُلكاً عظيماً ونخوةً
وتُسكِنُهُ القبر الذي هُو آهلُه

ثم تعاهدني ثلاثاً ، فادعُ لي لعلّ الله أن يرحمني .

قال : فمات ، ففعل به أخوه ذلك . فلما كان اليوم الثالث من إتيانه إياه ، فدعا له وبكى عند قبره . فلما أراد أن ينصرف سمع وجبة من القبر [1] كادت تُذهلُ عقله ، فرجع متقلقلاً . فلما كان من الليل إذا بأخيه في منامه قد أتاه . قال ذلك الرجل: فلما رأيت أخي وثبتُ إليه، فقلت : أي أخي ! أتيتنا زائراً ؟ قال : هيهاتَ [2] أخي ! بعدَ المزارُ واطمأنت بنا الديار . قلت : أي أخي ! كيف أنت ؟ قال : بخير ، ما أجمع التوبةَ لكل خير ! قال : قلت : فكيف أخي ؟ قال : ذلك مع الأئمة الأبرار . قال : قلت : فما أمرنا قبلكم؟ قال:من قدّم شيئاً من الدنيا والآخرة وجده،فاغتنم وُجدك قبل فقرك . قال : فأصبح أخوه معتزلاً للدنيا قد انخلع منها ، ففرّق ماله وقسم رباعه [3] وأقبل على طاعة الله تعالى . قال:ونشأ له ابنٌ كأهيا الشباب وجهاً وجمالاً . فاقبل

---

(١) الوجبة : السقطة مع الهدّة ، أو صوت الساقط .
(٢) في المطبوعة : هيهات بكسر التاء .
(٣) الرباع ، واحدها : ربْع ، وهي الدار بعينها حيث كانت .

على التجارة حتى بلغ منها . وحضرت أباه الوفاة ، فقال له ابنه : يا أبت ألا توص ؟ قال : والله يا بنيّ ! ما لأبيك مال فيوصي فيه ولكني أعهد إليك عهداً ، إذا أنامت فادفني مع عمومتك واكتب على قبري هذين البيتين :

وكيفَ يلذُّ العيشَ منْ هوَ صائرٌ
إلى جدَثٍ تبلي الشبابَ منازِله
ويذهبُ رَسم الوجهِ من بَعْدِ صونهِ
سريعاً ويبلى جسمُهُ ومفاصِلُهْ

فإذا فعلت ذلك فتعاهدْني بنفسي ثلاثاً ، فادعُ لي .

ففعل الفتى ذلك . فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتاً اقشعرّ له جلده وتغير له لونه ، فرجع منه محموماً إلى أهله . فلما كان من الليل أتاه أبوه في منامه ، فقال له : أي بنيّ ! أنت عندنا عن قليل ، والأمر بآخره ، والموت أقرب من ذلك ، فاستعدّ لسفرك وتأهب لرحيلك وحوّل جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم ، ولا تغترّ بما اغترّ به المبطلون قبلك من طول آمالهم فقصروا عن أمر معادهم فندموا عند الموت أشدّ الندامة، وأسفوا على تضييع العمر أشدّ الأسف، فلا الندامة عند الموت تنفعهم، ولا الأسف على التقصير أنقذهم من شرّ ما وافى به المغبونون مليكهم يوم القيامة ، أي بنيّ ! فبادر ! ثمّ بادر ! ثمّ بادر ! .

قال عبيد الله بن صدقة : قال الشيخ الذي حدّثني بهذا الحديث :

فدخلت على هذا الفتى صبيحة ليلته من هذه الرؤيا ، فقصها علينا ، وقال : ما أرى الأمر إلا كما قال أبي ، ولا أرى الموت إلا قد أظلني . قال : فجعل يفرّق ماله ويقضي ما عليه من الدّين ويستحلّ خلطاءه ومعامليه ويحللهم ويسلم عليهم ويودّعهم ويودّعونه ، كهيئة رجل قد أُنذر بأمر فهو يتوقعه . وكان يقول : قال أبي : فبادر ! ثمّ بادر ! ثمّ بادر ! فهذه ثلاث ، فهي ثلاث ساعات قد مضت فليست بها ، أو ثلاثة أيام وأنّى لي بها ، أو ثلاثة أشهر وما أُراني أُدركها ، أو ثلاث سنين فهو أكثر من ذلك، وما أحبّ أن يكون ذلك كذلك .

قال : فلم يزل يعطي ويقسم ويتصدّق ثلاثة أيام ، حتى إذا كان في آخر اليوم الثالث من صبيحة هذه الرؤيا دعا أهله وولده فودّعهم وسلم عليهم . ثمّ استقبل القبلة ، فمدّد نفسه وأغمض عينيه وتشهد شهادة الحقّ ، ثمّ مات رحمه الله تعالى . قال : فمكث الناس حيناً ينتابون قبره [1] من الأمصار فيصلون عليه .

٥٩ - [توبة ملك من ملوك البصرة]

وأنبأنا المبارك بن عليّ ، أنا هبة الله بن أحمد الجريريّ ، أنا أبو طالب العشاري ، أنا محمد بن عبد الله الدقاق ، أنا الحسن بن صفوان ،

---

(١) يأتون قبره مرة بعد أخرى .

قال : أنا ابن أبي الدنيا قال : حدّثني محمد بن الحسين ، قال : حدثني سليان بن أيوب قال : سمعت عبَّاد بن عبّاد المهلبيّ يقول :

إن ملِكاً من ملوك أهـــل البصرة تنسَّك[1] . ثمّ مال إلى الدنيا والسلطان ، فبنى داراً وشيدّها ، وأمر بها ففرشت له ونجدت ، واتخذ مائدة وصنع طعاماً ودعا النـــاس . فجعلوا يدخلون عليه ويأكلون ويشربون وينظرون إلى بنيانه ويعجبون من ذلك ويـــدعُون له ويتفرَّقون. قال: فمكث بذلك أياماً حتى فرغ من أمر الناس. ثم جلس ونفر[2] من خاصة إخوانه ، فقال : قد ترون سروري بداري هذه ، وقد حدّثت نفسي أن أتخذ لكلّ واحـــد من ولدي مثلها ، فأقيموا عندي أياماً أستمتعْ بحديثكم وأُشاورْكم فيما أريد من هذا البناء لولدي . فأقاموا عنده أياماً يلهون ويلعبون ، ويشاورهم كيف يبني لولده ، وكيف يريد أن يصنع .

فبينا هم ذات ليلة في لهوهم ذلك إذ سمعوا قائلاً من أقاصي الدار :

يا أيها الباني [و] الناسي منيَّتَـهُ
لا تأمُلنَّ فإنَّ الموْتَ مكتُوبْ
على الخلائقِ إنْ سُرُّوا وإنْ فرحوا
فالموتُ حتْفٌ لذي الآمالِ منصوبْ

---

(١) من النسك ، وهو العبادة ، وكل حق لله تعالى . وقد نَسَك كنصر وكرم ، ونسك نَسْكاً .

(٢) في المطبوعة : ونفراً .

لا تبنين ديارا لست تسكنها
وراجع النسك كيما يغفر الحوب[1]

قال : ففزع لذلك وفزع أصحابه فزعاً شديداً وراعهم[2] ما سمعوا من ذلك . فقال لأصحابه : هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . قال : فهل تجدون ما أجد ؟ قالوا : وما تجد ؟ قال : أجد والله مسكة على فؤادي وما أراها إلا علة الموت . قالوا : كلا ، بل البقاء والعافية .

قال : فبكى ، ثمّ أقبل عليهم ، فقال : أنتم أخلاّئي وإخواني، فماذا لي عندكم ؟ قالوا : مرنا بما أحببت من أمرك . قال : فأمر بالشراب فأهريق ، ثم أمر بالملاهي فأخرجت ، ثمّ قال : اللّهم ! إني أشهدك ومن حضرني من عبادك أني تائب إليك من جميع ذنوبي ، نادم على ما فرّطت في أيام مهلتي ، وإياك أسأل إن أقلتني أن تتم نعمتك علي بالإنابة إلى طاعتك ، وإن أنت قبضتني إليك أن تغفر لي ذنوبي تفضلاً منك عليّ . واشتدّ به الألم ، فلم يزل يقول : الموت والله ! الموت والله ! حتى خرجت نفسه . فكان الفقهاء يرون أنه مات على توبة .

٦٠ - [توبة ملك من ملوك البصرة وجاريته]

وروي عن مالك بن دينار رحمه الله . أنه كان يوماً ماشياً في أزقة البصرة . فإذا هو بجارية من جواري الملوك راكبة ومعها الخدم ، فلما

(١) الحوب بفتح الحاء والحُوب بضمها والحاب . الإثم ، وهو الذنب .
(٢) أفزعهم وخوفهم .

رآها مالك ، نادى : . أيتهـا الجارية ! أيبيعكِ مولاكِ ؟ قالت : كيف قلتَ يا شيـخ ؟ قال : أيبيعكِ مولاكِ ؟ قالت : ولو باعني كان مثلك يشتريني ؟ قال : نعم ، وخيراً منكِ . فضحكت وأمرت أن يحمل إلى دارها ، فحمل ،فدخلت إلى مولاها فأخبرته . فضحكوأمر أن يدخل إليــه . فدخل ، فأُلقيت له الهيبة في قلب السيد ، فقال : ما حاجتك ؟ قال : بعني جاريتك ، قال : أوَ تطيق أداء ثمنها ؟ قال : فثمنها عندي نواتان مسوّستان . فضحكوا ، وقالوا : كيف كان ثمنهـا عندك هذا ؟ قال : لكثرة عيوبها . قالوا : وما عيوبها ؟ قال : إن لم تتعطر زفرت ، وإن لم تستك بخرت ، وإن لم تمتشط وتدّهن قملت وشعثت ، وإن تعمّـر عن قليل هرمت ، ذاتُ حيض وبول وأقـذار جمة ، ولعلها لا تودّك إلا لنفسها ، ولا تحبك إلا لشغفها بك ، لا تفي بعهدك ، ولا تصدق في ودّك ، ولا يخلف عليها أحد من بعدك إلارأته مثلك ، وأنا آخذ بدون ما سألت في جاريتك من الثمن جاريةً خلقت من سلالة الكافور (١) ، لو مزج بريقها أُجاج (٢) لطاب ، ولو دُعي بكلامها ميت لأجاب، ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت دونه ، ولوبدا في الليل لسطع نوره ، ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتزخرفت ، نشأت بـــين رياض المسك والزعفران ، وقصرت في أكنان النعيم ، وغذيت بماء التسنيم (٣) ، فلا تخلف عهدها ، ولا يتبدّل ودّها ؛ فأيهما

---

(١) الكافور . نبت طيب، نوْرُه كنور الأقحوان وهو طيب الرائحة .

(٢) أي مِلح ومُر .

(٣) التسنيم . أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه .

أحقّ برفعة الثمن ؟ قال : التي وصفتَ . قال : فإنها الموجودة الثمن القريبة المخطب . قال : فما ثمنها رحمك الله ؟ قال : اليسير المبذول، أن تفرّغ ساعة في ليلك فتصلي ركعتين تخلصهما لربك ، وأن يوضع طعامك فتذكر جائعك فتؤثر الله على شهوتك ، وأن ترفع عن الطريق حجراً أو قذراً ، وأن تقطع أيامك بالبلغة [1] وترفع همتك عن دار الغفلة ، فتعيش في الدنيا بعز القنوع ، وتأتي غداً إلى موقف الكرامة آمناً ، وتنزل غداً في الجنة مخلداً .

فقال الرجل : يا جارية ! أسمعتِ ما قال شيخنا هذا ؟ قالت : نعم. قال : أفصدقَ أم كذبَ ؟ قالت : بل صدق وبرّ ونصح . قال : فأنتِ إذاً حرّة لوجه الله، وضيعة كذا وكذا صدقة عليك، وأنتم أيها الخدّام، أحرار ، وضيعة كذا وكذا لكم، وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالي في سبيل الله . ثم مدّ يده إلى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتذبه، وخلع جميع ما كان عليه واستتر به .

قالت الجارية : لا عيش لي بعدك يا مولاي! فرمت بكسوتها ولبست ثوباً خشناً وخرجت معه . فودّعهما مالك ودعا لهما ، وأخذ طريقاً وأخذا غيره . فتعبدا جميعاً حتى جاء الموت فنقلهما على حال العبادة ـ رحمة الله عليهما .

(١) البلغة . ما يتبلغ به من العيش .

٦١ - [نوادر أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان] (١)

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال: أنا محمد بن أبي نصر الحميدي قال : أنا الخضر بن ميمون البابي ، أنا أبو بكر أحمد بن عمر البزاز ، أنا أبو منصور محمد بن عيسى بن عبد العزيز ، ثنا علي بن الحسن بن الربيع، ثنا أبو علي الحسن بن يزيد الدقاق عن يعقوب بن إسحاق قال : سمعت إبراهيم بن الجنيد ، قال: نا موس القطان، ثنا أحمد بن محمد، ثنا أبو عليّ ، ثنا محمد بن علي الزعفراني قال : سمعت أحمد بن رياح الكاتب يحكي عن الهيثم بن عَدي عن مروان بن محمد ، قال :

دخلتْ عزّةُ صاحبةُ كثَيِّرٍ على أمّ البنين بنت عبد العزيز ابن مروان أخت عمر (٢) ، فقالت لها: يا عزّة ! ما معنى قول كُثَيِّر :

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ عَلِمْتُ غَرِيمَه
وَعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُها

---

(١) أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وأخت عمر بن عبد العزيز ، وزوجة الوليد بن عبد الملك بن مروان . من ربات الفصاحة والبلاغة ، قرعت بجوابها حجة الحجاج ابن يوسف الثقفي، وأفحمته بكلام بين. ومن كلامها الدال على كرمها وطيب أرومتها: أف البخل ، لو كان قيصاً ما لبسته ، ولو كان طريقاً ماسلكته ، وكان لها دار بدمشق قرب طاحونة الثقفيين المعروفة بطاحونة القلعة ، وكانت لها دار أخرى خارج باب الفراديس على يسار المار إلى المقبرة .

(٢) أي عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد رحمه الله .

ما هذا الدين الذي يذكره ؟ قالت : اعفيني . قالت : لا بــد من إعلامك إياي . فقالت عزة : كنت وعدته قبلة ، فأتاني لينتجزها[1] فتحرجت عليه ولم أف له ، فقالت لها أم البنين : أنجزيها منه ، وعلي إثمها . ثم راجعت نفسها فاستغفرت الله ، وأعتقت لكلمتها هذه أربعين رقبة . وكانت إذا ذكرت ذلك بكت حتى تبل خمارها ، وتقــول : يا ليتني خرس لساني عندما تكلمت بها ! وتعبدت عبادة ذكرت بها في عصرها من شدة اجتهادها . فرفضت فراش المملكة تحيي ليلها . وكانت كل جمعة تحمل على فرس في سبيل الله. وكانت تبعث إلى نسوة عابدات يجتمعن عندها ويتحدثن ، فتقول : أحب حديثكن ، فإذا قمت إلى صلاتي لهوت عنكن . وكانت تقول : البخيل كل البخيل من بخل على نفسه بالجنة .وكانت تقول: جعل لكل إنسان نهمة في شيء، وجعلت نهمتي في البذل والإعطاء، والله للعطية والصلة والمواصلة في الله أحب إلي من الطعام الطيب على الجوع والشراب البارد على الظمأ ، وهل ينال الخير إلا بالاصطناع ؟ وكانت على مذهب جميل حتى توفيت رحمها الله تعالى .

٦٢ - [توبة هشام بن عبد الملك][2]

قال مموس: وحدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، ثنا القاسم بن جعفر ،

---

(١) يقال : نجز حاجته : قضاها ، كأنجزها .

(٢) هو هشام بن عبد الملك بن مروان ، من أمراء الدولة الأموية ، ولد في دمشق=

ثنا علي بن حجر الواسطي قال : حدثني عيسى بن الفضل بن موسى أنه سمع إسحاق بن إبراهيم الموصلي يقول : حدّثني محمد بن عبدالرحمن الهاشمي عن أبيه عن سليمان بن خالد :

أنّ هشام بن عبد الملك ذُكرت له ربيبةٌ لبعض عجائز الكوفة ، موصوفةٌ مشهورة ببارع الجمال ، فائقة الحسن والكمال ، قارئةٌ لكتاب الله عزّ وجلّ ، راويةٌ للأشعار مع عقل وأدب ،فأمر أن يُبرد إلى والي الكوفة[1] أن تُبتاع له[2] بحكم مولاتها ، ويعجل حملها إليه ، وبعث في ذلك خادماً . فلما ورد الكتاب على الوالي بعث إلى العجوز ، فابتاع[3] منها الربيبة بمائتي ألف درهم وحديقة نخل تستغل منها كلّ سنة خمسمائة مثقال . وجهز الجارية وحملها إلى هشام . وفرّغ لها مقصورة مفردة أنزلها فيها مع وصائف[4] ، وأمر لها بأنواع اللباس وفاخر الحليّ والفرش . فبينا هو ذات يوم قد خلا بها في مستشرف قد أُعدّت فيه الفرش والطيب ، فتذاكرا فيه طرائف الأخبار وبلاغة الآثار ، فازداد بها سروراً ، واجتمعت مسرته ، إذا صوارخ ، فاستشرف هشام ، فإذا

=سنة (٧١ هـ) وبويع له بالخلافة فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة (١٠٥ هـ) نشبت في أيامه حرب هائلة مع خاقان الترك فيما وراء النهر ، انتهت بمقتل الخاقان واستيلاء العرب على بلاده ، واجتمع في خزائنه مالم يجتمع في خزانة أحد من أمراء بني أمية ، وكان حسن السياسة يقظاً في أمره ، يباشر الأعمال بنفسه . توفي بالرصافة سنة (١٢٥ هـ) .

(١) أي يرسل إليه بالبريد .

(٢) أي أن تشترى له .

(٣) أي اشترى .

(٤) الوصائف جمع وصيفة ، وهي الخادمة .

بجنازة معها فئام[1] من الناس ووراء الجنازة نسوة صارخات ، ونادبة فيما بينهنّ تقول: بأبي[2] المحمول على الأعواد، المنطلَق به إلى الأموات ، المخلّى في قبره فريداً ، والمكوَّن في لحده[3] غريباً ، ليت شعري ، أيها المنقول! أنت ممّن يناشد حملته: أسرعوا بي ! أمّ أنت ممن يناشدهم: ارجعوا بي ! إلى مَ تقدّموني؟ قال : فأهملت عينا هشام دموعاً، فلها عن لذته وجعل يقول : كفى بالموت واعظاً . فقالت غضيض : قد قطعت نياط قلبي[4] هذه النادبة . قال هشام : الأمر جدّ . فنادى الخادم ، فنزل عن مستشرفه فمضى ، فأغفت غضيض في مجلسها ، فأتاها آتٍ في منامها، وقال لها : أنت المفتنَة بجمالك ، والملهية بدلالك ! كيف أنت إذا نقر في الناقور[5] ، وبعثرت القبور ، وخرجوا منها إلى النشور ، وقوبلوا بالأعمال التي قدّموها ؟ فاستيقظت مرتاعة[6] وراحت من شرابها ، فنادت بعض وصائفها ودعت بماءٍ فاغتسلت ، وألقت عنها لباسها وحليها وتدرّعت بمدْرعة صوف[7] وحزمت وسطها بخيط ، وتناولت عصاً وألقت في عنقها جراباً[8] . واقتحمت مجلس هشام ،

(١) جماعة .
(٢) في المطبوعة : يا أبي ، وهو تصحيف .
(٣) اللحد : الشق يكون في عرض القبر . وفي الحديث « اللحد لنا والشق لغيرنا » رواه أحمد وأصحاب «السنن» من حديث ابن عباس ، وهو حسن .
(٤) عروق قلبي .
(٥) أي نفخ في الصور
(٦) أي خائفة .
(٧) أي لبست مدرعة صوف ، كالدرع .
(٨) الجراب : المزود أو الوعاء .

فلما رآها أنكرها. فنادت : أنا غضيض أمتــك ، أتاني النذير فقرع مسامعي وعيده ، وقد قضيتَ مني وطراً وقد أتيتك لتعتقني من رقّ الدنيا . فقال هشام: شتّانَ مابين الطربين وأنت في طربك ! اذهبي، فأنت حرّة لوجه الله تعالى،قال:أيّ موضع تقصدين ؟ قالت: أؤُمّ[1] بيت الله الحرام . قال : انطَلقي ، فلا سبيلَ لأحد عليك . فخرجت من دار الخلافة زاهدة في الدنيا ، راغبة في الآخرة ، سائحة على وجهها حتى بلغت مكّة . وأقامت مجاورة صائمة قائمة تعود على نفسها بالغزل في قوتها . فإذا أمست طافت ، ثم تدخل الحِجْر[2] وتقول: ياذخري أنت عدّتي ، لا تقطع رجائي وأنِلْني[3] مُناي وأحْسِنْ مُنُقَلبي وأَجْزِلْ عطائي . فلم تزل في الاجتهاد حتى غير مَرُّ الجديدَين الليل والنهار بَشرَتها ، وطولُ القيام جسمها ، وكثرةُ البكاء عينَيْها ، وأقرح المغزلُ بنانها ، حتى توُفيت ــ رحمة الله عليها ــ على ذلك .

٦٣ ــ [توبة الامير حميد بن جابر]

أخبرنا أبو الفتح محمّد بن عبد الباقي ، أنا أحمد بن أحمد ، أنا أحمد ابن عبد الله الحافظ قال : حدّثني إبراهيم بن نصر ، أنا جعفر بن محمّد ابن نصير قال :حدّثني إبراهيم بن بشّار ، قال :

---

(١) أي أقصد .

(٢) أي حجر اسماعيل عليه السلام وهو الحطيم وهو من الكعبة .

(٣) في المطبوعة : وأُنلني بضم الهمزة ، وهو خطأ .

كنت يوماً ماراً مع ابراهيم ــ يعني ابن أدهم ــ في صحراء ، فأتدنا على قبر مسنَّم ، فترحم عليه وبكى . فقلت : قبرُ مَنْ هذا ؟ فقال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها . كان غرقاً في بحار الدنيا، فأخرجه الله تعالى منها واستنقذه . ولقد بلغني أنه سُرّ يوما بشيء من ملاهي ملكه ودنياه وغروره وفتنته . ثم نام في مجلسه ذلك مع من يخصّه من أهله، فرأى في منامه رجلاً واقفاً على رأسه، بيده كتاب. فناوله، ففتحه ، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب : لا تؤثرنّ فانياً على باقٍ ، ولا تغترّنّ بملكك وقدرتك وسلطانك وخدمك وعبيدك ولذّاتك وشهواتك ، فإنّ الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم ، وهو مُلك لولا أنّ بعده هُلك ، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور ، وهو يوم لو كان يُوثَق له بغدٍ ، فسارع إلى أمر الله تعالى، فإن الله تعالى قال: (وسَارِعُوا إلى مَغفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عرضُها السَّمٰواتُ والأرضُ أُعِدَّتْ لِلمُتَّقينَ) [آل عمران : ١٣٣] [(١)] .

قال: فانتبه فَزِعاً ، وقال: هذا تنبيه من الله عزّ وجلّ وموعظة . فخرج من ملكه لا يُعلم به ، وقصد هذا الجبل ، فتعبّد فيه ، فلما بلغني قصّته وحُدِّثت بأمره ، قصدته ، فسألته ، فحدثني ببدء أمره ،

---

(١) وبعد هذه ذكر صفات المتقين فقال : (الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) .

وحدثته ببدء أمري ، فما زلت أقصده حتى مات ، ودُفن هاهنا ، فهذا قبره رحمه الله .

٦٤ - [توبة ابراهيم بن أدهم]

أخبرنا محمّد ، أنا أحمد ، ثنا إبراهيم بن عبد الله بن إسحاق ، ثنا محمد بن إسحاق السرّاج قال : سمعت إبراهيم بن بشار خادم ابراهيم بن أدهم يقول :

قلتُ : يا أبا إسحاق ! كيف كان أوائل أمرك ؟ قال : كان أبي من أهل « بلخ »(١) ، وكان من ملوك خراسان ، وحبّب الينا الصيد ، فخرجت راكباً فرسي وكلبي معي ، فبينما أنا كذلك ، ثار أرنب أو ثعلب ، فحرّكتُ فرسي فسمعت نداءً من ورائي : ليس لذا خُلقتَ ولا بذا أمرتَ ! فوقفت أنظر يَمْنةً ويَسْرةً ، فلم أرَ أحداً ، فقلت: لعن الله إبليس! ثمّ حرّكت فرسي فاسمع نداءً أجهر من ذلك. ياإبراهيم ليس لذا خُلقتَ ولا بذا أمرتَ ! فوقفت أنظر يَمنَةً ويَسرَةً ، فلا أرى أحداً ، فقلت : لعن الله إبليس ! ثم حرّكت فرسي فاسمع نداءً من قَربوس سرجي : ياإبراهيم ! ما لذا خُلقتَ ولا بذا أُمرتَ ! فوقفت ، فقلت : أنبَهْتَ ! أنبهت ! جاءني نذير من ربّ العالمين ،

---

(١) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ، وهي من أجَلّ مدن خراسان وأكثرها خيراً ، وأوسعها غلةً تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم ، افتتحت في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وينسب اليها خلق كثير .

والله لاعصيت الله بعد يومي هذا ما عصمني ربي . فرجعت إلى أهلي ، ثم جئت إلى أحد رعاة أبي ، فاخذت منه جبة وكساء ، وألقيت ثيابي إليه ، ثم أقبلت إلى العراق ، أرضٌ ترفعني ، وأرضٌ تضعني ، حتى وصلت إلى العراق . فعملت بها أياماً ، فلم يصفُ لي منها – يعني الحلال – فسألت بعض المشايخ[1] ، فقال لي : إذا أردت الحلال فعليك ببلاد الشام ، فصِرتُ إلى بلاد الشام ، فسرت إلى مدينة يقال لها : المنصورة وهي المصّيصة[2] . فعملت بها أياماً فلم يصفُ لي شيء من الحلال ، فسألت بعض المشايخ . فقالوا لي : إن أردت الحلال الصافي ، فعليك بطرسوس[3] ، فإن فيها المباحات والعمل الكثير ، فتوجّهت إلى طرسوس فعملت بها أياماً أنظر البساتين وأحصد الحصاد . فبينا أنا قاعد على باب البحر ، جاءني رجل فاكتراني أنظر له بستانه . فكنت في البستان أياماً كثيرة ، فإذا أنا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه . فقعد في مجلسه ، ثمّ صاح : يا ناطور ! فقلت : هوذا أنا . فقال : اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه . فذهبتُ فأتيتُه بأكبر رمان ، فأخذ الخادم رمانةً فكسرها ، فوجدها حامضة ، فقال : يا ناطور !

---

(١) في المطبوعة : المشائخ بالهمز ، وهمز المشايخ خطأ .

(٢) المصيصة : مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلادالروم تقارب طرسوس كانت من مشهور ثغور الاسلام ، قد رابط بها الصالحون قديماً ، وبها ساتين كثيرة . والمصيصة أيضاً قرية من قرى دمشق قرب بيت لهيا .

(٣) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم .

أنت في بستاننامنذ كذا وكذا ،تأكل فاكهتنا وتأكل رماننا،ولاتعرف الحلو من الحامض ؟

قال إبراهيم : قلتُ : واللهِ ما أكلتُ من فاكهتك شيئاً ولا أعرف الحلو من الحامض ، فأشار الخادم إلى أصحابه ، فقال : أما تسمعون كلام هذا ؟ أتَـراكَ لو أنك إبراهيم بن أدهم مازاد علىهذا ؟ فانصرف ، فلمّا كان من الغد ذكر صفتي في المسجد ، فعرفني بعض الناس ، فجاء الخادمومعهعَـنَـق (١) من الناس .فلمّا رأيتهقد أقبل مع الناساختفيتُ خلف الشجر والناس داخلون ، فاختلطتُ معهم وهم داخلون وأنا خارج هارب . فهـذا كان أوائل أمري وخروجي من طرطوس إلى بلاد الرمال .

[ابراهيم بن ادهم (٢) والشيخ الحاج]

أخبرنا أبوبكر عبد الله بن محمّـد بن أحمد بن النقور، قال: أنا أبو

---

(١) العَنَق : الجماعة الكثيرة من الناس ، والجمع أعناق ، يقال : جاء القوم عنقاً عنقاً : أي طوائف .

(٢) هو ابراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي أبو اسحاق ، زاهد مشهور . كان أبوه من أهل الغنى في بلخ ، فتفقه ورحل إلى بغداد ، ورحل إلى العراق والشام والحجاز ، وأخذ عن كثير من علمائها ، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمـل والطحن ، واشترك مـع الغـزاة في قتال الروم . وجاء إلى المصيصة (من أرض كيليكيا) عبد لأبيه يحمل إليه عشرة آلاف درهم ويخبره أن أباه قد مات في بلخ وخلف له مالاً عظيماً ، فأعتق العبد ووهبه الدراهم ولم يعبأ بمال أبيه . أخباره كثيرة ، والأصح أنه مات ودفن في سوفنن (حصن من بلاد الروم) توفي رحمه الله سنة ١٦١ هـ.

القاسم عليّ بن أحمد بن بيان ، أنا أبو القاسم بن بشران ، أنا أبو بكر محمّد بن الحسين الآجرّي ، ثنا أبو الفضل العباس بن يوسف الشكليّ قال: ثنا ابراهيم بن زياد المقرىء ، ثنا عبد الله بن الفرج ، قال: حدّثني إبراهيم بن أدهم بابتدائه كيف كان ، قال :

كنتُ يوماً في مجلس لي ، له منظرة إلى الطريق ، فإذا أنا بشيخ عليه أطمار [١] . وكان يوماً حارّاً ، فجلس في فَيْء القصر ليستريح. فقلت للخادم : اخرج إلى هذا الشيخ فاقرِئه مني السلام وسَلْهُ أن يدخل إلينا ، فقد أخذ بمجامع قلبي . فخرج إليه ، فقام معه ، فدخل إليّ فسلّم ، فرددت عليه السلام ، واستبشرت بدخوله وأجلسته إلى جنبي ، وعرضت عليه الطعام ، فأبى أن يأكل . فقلت له : من أين أقبلت ؟ فقال : من وراء النهر . فقلت : أين تريد ؟ قال : الحجّ - إن شاء الله تعالى . قال : وكان ذلك في أوّل يوم من العَشر [٢] أو الثاني . فقلت: في هذا الوقت ؟ فقال : بل يفعل الله مايشاء . فقلت : الصُحبةَ . فقال : إن أحببت ذلك ، حتى إذا كان الليل ، قال لي : قُم ، فلبست ما يصلح للسفر ، وأخذ بيدي . وخرجنا من « بلخ » فمررنا بقرية لنا . فلقيني رجل من الفلاّحين ، فأوصيته ببعض ما أحتاج اليه. فقدم إلينا خبزاً وبيضاً ، وسألنا أن نأكل ، فأكلنا ، وجاء بماء فشربنا .

(١) الأطمار ، واحده طِمْر بكسر الطاء وسكون الميم : وهو الثوب الخَلَق ، أو الكساء البالي من غير الصوف .

(٢) العشر الأول من شهر ذي الحجة .

وقال لي: بسم الله قم، فاخذ بيدي، فجعلنا نسير وأنا أنظر إلى الأرض تُجذَب من تحتنا كأنها الموج. فمررنا بمدينة بعد مدينة، فجعل يقول: هذه مدينة كذا، هذه مدينة كذا، هـذه «الكوفة»[1]. ثمّ قال: الموعد هاهنا في مكانك هذا في الوقت من الليـل، حتى إذا كان الوقت إذا به قد أقبل، فاخذ بيدي وقال: بسم الله. قـال: فجعل يقول: هذا منزل كذا، هذا منزل كذا، وهذه «فَيْـدُ»[2]، وهذه المدينة[3]، وأنا أنظر إلى الأرض تُجذَب من تحتنا كأنهـا الموج. فصرنا إلى قبر رسول الله ﷺ، فزرناه. ثم فارقـني، وقال: الموعـد في الوقت من الليل في المصلّـى، حتى إذا كان الوقت خرجت فإذا به في المصلى. فاخذ بيدي، ففعل كفعـله في الأولى والثانيـة حتى أتينا مكـّة في الليل. ففارقني، فقبضت عليه وقلت: الصُّحبةَ. فقال: إني أريد الشام. فقلت: أنا معك. فقال لي: إذا انقضى الحجّ فالموعد هاهنا عند زَمزَم، حتى إذا انقضى الحجّ إذا به عند زمزم. فأخذ بيدي، فطفنا بالبيت، ثمّ خرجنا من مكـّة. ففعل كفعله الأوّل والثاني والثالث، فإذا نحن ببيت المَقْدِس. فلما دخل المسجد، قال لي: عليك السلام! أنا على المقام ــ إن شاء الله ــ هاهنا. ثم فارقني، فما رأيته بعد ذلك، ولا عرّفني

---

(١) الكوفة: مدينة العراق الكبرى المشهورة، مصّرها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) فيد: موضع يسمى: فيد القُرَيّات، وفيد: قلعة بطريق مكة.

(٣) أي المدينة المنورة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

اسمه . قال ابراهيم : فرجعت إلى بلدي ، فجعلت أسير سير الضعفاء منزلاً بعد منزل حتى رجعت إلى « بلخ » ، فكان ذلك أوّل أمري .

[ابراهيم بن ادهم والبحر الهائج]

قال الشكلي : حدّثنا علي بن سعيد ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ركبنا البحر مع إبراهيم بن أدهم ، فبينا نحن نسير بريح طيّبة ، وكانت مراكب كثيرة ، فعصفت ريح شديدة على المراكب فتقطّعت ، وإبراهيم ملتف في عباءة مستلقٍ . فجاء أهل المركب إليه ، فقالوا : يا هذا ! ما ترى ما نحن فيه وأنت مستلقٍ غير مكترث ؟ فجلس وهو يقول : لا أفلَحَ من لم يكن استعدَّ لمثل هذا اليوم ! ثمّ حرّك شفتيه ، وإذا هاتف ينادي من اللجّة : تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم ؟ أيّها الريح والبحر الهائج ، اسكنا بإذن الله ! فسكن البحر وذهبت الريح حتّى صار البحر كأنه دفّ — يعني لوح خشب .

٦٥ - [نوبة شقيق البلخي] (١)

أخبرنا أبو الفتح بن عبدالباقي ، قال : ثنا أبو الفضل الحدّاد ، أنا أبو نعيم الحافظ ، ثنا أبو بكر محمّد بن أحمد البغداديّ ، ثنا عبّاس بن أحمد

---

(١) هو شقيق بن ابراهيم بن علي الأزدي البلخي ، أبو علي . زاهد فاضل من مشاهير المشايخ في خراسان وكان من كبار المجاهدين ، استشهد في غزوة كولان في « ماوراء النهر » . توفي رحمه الله سنة (١٩٤ هـ) .

الشاشيّ ، ثنا أبو عقيل الرصافي، ثنا أحمد بن عبد الله الزاهد ، قال: قال عليّ بن محمّد بن شقيق :

كان لجدي ثلثمائة قرية ، ولم يكن له يومَ ماتَ كفنٌ يُكفَّن فيه ، قَدَّمَهُ كلَّه بين يديه، قال : وكان خرج إلى بلاد الترك لتجارة - وهو حَدَثٌ - إلى قوم يقال لهم : الخلوخيّة يعبدون الأصنام . فدخل إلى بيت أصنامهم ، وعالِمُهم قد حلق رأسه ولحيته ولبس ثياباً حمراً أرجوانيّة [1] ، فقال له شقيق : إن هذا الذي أنت فيه باطل ، ولهؤلاء ولك ولهذا الخلق خالقٌ صانع ليس كمثله شيء ، له الدنيا والآخرة ، قادر على كل شيء ، رازق كل شيء . فقال له الخادم : ليس يوافق قولَك فعلُك . فقال له شقيق : كيف ذلك ؟ قال : زعمت أن لك خالقاً قادراً على كل شيء ، وقد تعنّيت [2] إلى هاهنا لطلب الرزق ، ولو كان كما تقول كان الذي يرزقك هاهنا يرزقكَ ثَمَّ فتربح العناء .

قال شقيق : فكان سبب زهدي كلام التركيّ . فرجع فتصدّق بجميع ما ملك وطلب العِلْمْ .

---

(١) أرجوانية ، أي : شديدة الحمرة .

(٢) أي : تحملت العناء، وهو التعب والنصب. يقال : عنّى عناءً وتعنّى: نَصب. وتعنى العناء : تجشّمه .

٦٦ - [عبد الله بن مرزوق]

وروى أبو سعيد[١] بإسناد له أنّ عبد الله بن مرزوق كان مع المهديّ في دنيا واسعة . فشرب ذات يوم على لهوٍ وسماع ، فلم يصلّ الظهر والعصر والمغرب ، وفي كلّ ذلك تنبّهه جارية حظية عنده، فلما جاز وقت العشاء جاءت الجارية بجمرة فوضعتها على رجله ، فانزعج وقال : ما هذا ؟ قالت: جمرة من نار الدنيا ، فكيف تصنع بنار الآخرة ؟فبكى بكاءً شديداً ، ثمّ قام إلى الصلاة .

ووقع في نفسه مما قالت الجارية ، فلم يرَ شيئاً ينجيه إلاَّ مفارقة ما هو فيه من ماله . فأعتق جواريه وتحلّل من معامليه وتصدّق بما بقي ، حتى صار يبيع البقل ، وتبعته على ذلك الجارية . فدخل عليه سفيان بن عيينة[٢] وفضيل بن عياض فوجدا تحت رأسه لَبِنَةً وليس تحته شيء . فقال له سفيان :إنه لم يَدَعْ أحد لله شيئاً إلاعوّضه الله منه بدلاً ، فما عوّضك مما تركت له ؟ قال : الرضى بما أنا فيه .

---

(١) في المطبوعة : أبو سعد .

(٢) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي أبو محمد (١٠٧ - ١٩٨ هـ) محدث الحرم المكي من الموالي ، ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي بها ، كان حافظاً ثقة ، واسع العلم ، كبير القدر ، له « الجامع » في الحديث ، وكتاب في « التفسير » .

٦٧ - [جعفر بن حرب][(١)]

وذكر أبو القاسم التنوخي عن أبيه أنّ جعفر بن حرب كان يتقلد كبار الأعمال للسلطان . وكانت نعمته تقارب نعمة الوزارة في غاية الوفور، ومنزلته بحالها في الجلالة . فسمع رجلاً يقرأ : ﴿ ألَمْ يَأنِ لِلَّذينَ آمَنُوا أنْ تَخْشَعَ قُلوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وما نَزَلَ مِنَ الحقِّ ﴾ [الحديد : ١٦][(٢)] . فصاح : اللّهمّ بلى ! فكرّرها دَفَعات، وبكى.

---

(١) هو جعفر بن حرب الهمداني ، من أئمة المعتزلة من أهل بغداد . أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاف بالبصرة ، وصنف كتباً ، قال الخطيب البغدادي : إنها معروفة عند المتكلمين ، وكان له اختصاص بالواثق العباسي . قال المسعودي : وإلى أبيه يضاف : شارع باب حرب في الجانب الغربي من مدينة السلام . توفي سنة (٢٣٦ هـ) .

(٢) وتتمة الآية : (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون). وروى مسلم في « صحيحه » رقم (٣٠٢٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) إلا أربع سنين ، قال ابن كثير : يقول تعالى : أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه ؟! وقال الآلوسي : المعنى : ألم يأن لهم أن ترقّ قلوبهم لأجل ذكر الله تعالى وكتابه الحق النازل فيسارعوا إلى الطاعة على أكمل وجوهها ؟!. قال ابن كثير : وقوله تعالى : ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم) نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم اليهود والنصارى ، لما تطاول عليهم الأمد ، بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً ونبذوه وراء ظهورهم وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة ، وقلدوا الرجال في دين الله ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، فعند ذلك قست قلوبهم ، فلا يقبلون موعظة ، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد .

ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه، ودخل إلى دِجلة[1] واستتر بالماء. ولم يخرج منه حتى فرّق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه وردّها وتصدّق بالباقي. فاجتاز رجل فرآه في الماء قائماً ـ وسمع بخبره ـ فوهب له قميصاً ومئزراً، فاستتر بهما وخرج. وانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات.

٦٨ - [توبة هارون الرشيد][2]

أخبرنا محمّد، ثنا حمد، قال: أنبأ أحمد بن سليمان بن أحمد، قال: أنبأ سليمان بن أحمد، قال: أنبأ محمّد بن زكريا الغلابيّ، ثنا أبو عمر الجرميّ النحويّ، ثنا الفضل بن الربيع، قال:

حجّ أمير المؤمنين هارون الرشيد. فبينا أنا نائم بمكة إذ سمعت قَرْعَ الباب، فقلت: من هذا؟ قال: أجب أمير المؤمنين. فخرجت

(١) دِجلة: بالكسر هو المشهور، وحكاه اللحياني بالفتح: نهر بغداد، سمي به لأنه غطى الأرض بمائه حين فاض. وفي «التهذيب»: دجلة، معرفة لنهر بالعراق، وقال ثعلب: تقول: عبرت دِجلة، بلا لام، ومن أمثال الحريري: أحمق من رِجلة (البقلة الحمقاء) وأوسع من دِجلة.

(٢) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم، ولد بالري، ونشأ في دار الخلافة ببغداد، وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٠٧هـ فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه، وكان عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه، فصيحاً، شجاعاً، كثير الغزوات، له وقائع كثيرة مع ملوك الروم، وأخباره كثيرة جداً، توفي سنة (١٩٣هـ).

مسرعاً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! لو أرسلت إليّ لأتيتُك . فقال : ويحك ، قد خطر في نفسي شيء ، فانظر لي رجلاً أساله . فقلت : هاهنا سفيان بن عيينة. فقال : امض بنا إليه . فأتيناه ، فقرعت الباب، فقال : من ذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ! فخرج مسرعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ! لو أرسلت إليّ لأتيتُك . فقال له : خذ لما جئناك له ـ رحمك الله ـ فحدثه ساعة ، ثمّ قال له : عليك دَينٌ ؟ قال : نعم . قال : اقض دَيْنَهُ . فلما خرجنا ، قال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً ، انظر لي رجلاً أساله . فقلت : هاهنا عبد الرزاق بن همام[1] . فقال : امض بنا إليه . فأتيناه ، فقرعت عليه الباب، فقال : من هذا ؟فقلت: أجب أمير المؤمنين ! فخرج مسرعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ! لو أرسلت إليّ لأتيتُك . قال : خذ لما جئناك له ـ رحمك الله ـ فحادثه ساعة ، ثم قال : أعليك دَينٌ ؟ قال : نعم . قال : يا عباسيُّ ! اقض دَيْنَهُ . ثم انصرفنا ، فقال لي : ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أساله. قلت : هاهنا الفضيل بن عياض. فقال : امض بنا إليه . فأتيناه وإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يردّدها . قال : اقرع الباب ! فقرعته. فقال : من هذا؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ! فقال: مالي ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله ! أما عليك طاعتُه ؟ فنزل

(١) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميدي مولاهم أبو بكر الصنعاني (١٢٦-٢١١هـ) من حفاظ الحديث الثقات من أهل صنعاء ، له « الجامع الكبير » في الحديث المعروف بالمصنف ، وكتاب في « تفسير القرآن » .

ففتح الباب ، ثم ارتقى إلى الغرفة فاطفأ السراج ، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت . فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينـا ، فسبقت كفّ هارون قبلي إليه. فقال: يا لهَا من كفّ ما أنعمها وألـينَها إن نجت غداً من عـــذاب الله ، فقلت في نفسي : ليكلمنّـه الليلة بكلام نقي من قلب نقيّ . فقال له: خذ لما جئناك له ـ رحمك الله ـ فقال: إن عمر بن عبد العزيز [1] لمّا ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله [2] ومحمد بن كعب القرظيّ [3] ورجاء بن حَيْـوة [4] فقال لهم : قد ابتُـليت بهذا البلاء ، فأشيروا عليّ . فعدّ الخلافة بلاءً ، وعَـدَدتها أنت وأصحابك نِـعمة ؟! فقال له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة من عذاب الله فصُم عن الدنيا وليكن إفطارك منها الموت . وقال له محمد بن كعب : إن أردت النجاة

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو حفص (٦١-١٠١ هـ) الخليفة الصالح ، والإمام العادل من خلفاء الدولة الأموية، وربما قيل له : خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم ، ولد ونشأ بالمدينة ، ولي الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك ، سنة (٩٩ هـ) فبويع له في مسجد دمشق وسكن الناس في أيامه ، ومنع سب علي رضي الله عنه ، ولم تطل مدته ، أخباره كثيرة في عـــدله وحسن سياسته ، توفي في دير سمعان من أرض المعرة بالشام رحمه الله .

(٢) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، القرشي العدوي ، أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم ، توفي رحمه الله في المدينة سنة (١٠٦ هـ) .

(٣) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد أبو حمزة القرظي المدني : ثقة عالم ولد سنة أربعين على الصحيح ، ووهم من قال : ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . توفي رحمه الله سنة (١٠٢ هـ) .

(٤) هو رجاء بن حيوة بن جرول الكندي أبو المقدام من الوعاظ النصحاء العلماء كان ملازما لعمر بن عبد العزيز في عهدي الامارة والخلافة ، توفي رحمـــه الله سنة (١١٢ هـ) .

من عذاب الله فليكنْ كبير المسلمين عندك أباً ، وأوسطهم عندك أخاً ، وأصغرهم عندك ولداً ، فوقّر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحنَّن على ولدك.
وقال له رجاء بن حَيْوة : إن أردت النجاة من عذاب الله فاحبّ للمسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مُتْ إذا شئت . وإني لأقولُ لك هذا ، وإني لأخاف عليك أشد الخوف في يوم تزِلُّ فيه الأقدام ! فهل معك ــ رحمك الله ــ مثل هؤلاء من يشير عليك أو يأمرك بمثل هذا ؟ فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غُشي عليه .
فقلت له : ارفق بأمير المؤمنين . قال : يا ابن أمّ الربيع ! تقتلُه أنت وأصحابك وأرْفقُ به أنا ؟ ثم أفاق ، فقال : زدني رحمك الله ! فقال : بلغني يا أمير المؤمنين ، أنّ عاملاً لعمر بن عبد العزيز شُكي إليه . قال : فكتب إليه عمر : يا أخي : اذكُرْ طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، فإن ذلك يطرد بك إلى باب الرب نائماً ويقظان ، وإياك أن يُنصرَف بك من عند الله إلى النار فيكون آخر العهد ومُنقطَع الرجاء . قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر . فقال له: ما أقدمك ؟ قال : خلعتَ قلبي بكتابك ، لا وَليتُ لك ولاية حتى ألقى الله . فبكى هارون بكاءً شديداً ، ثم قال له : زدني ــ رحمك الله ــ فقال : يا أمير المؤمنين ! إن العباس ، عم المصطفى ﷺ ، جاء إلى النبي ﷺ ، فقال له : أمِّرْني . فقال له النبي ﷺ « يا عباس : يا عم النبيّ ! نفس تنجيها خيرٌ من إمارة لا تحصيها »[1] إن الإمارة حسرة

(١) هذه الفقرة من الحديث رواها أبو نعيم في « الحلية » ٦/١٣٨ وفيها انقطاع .

وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تتأمرنّ على أحد فافعل». قال:

وقال الحافظ العراقي في « تخريج الإحياء » : عن هذا الحديث بهذه الفقرة : رواه ابن أبي الدنيا هكذا معضلاً بغير اسناد ، ورواه البيهقي من حديث جابر متصلا، ومن رواية ابن المنكدر مرسلاً ، وقال : هو المحفوظ مرسلاً . وقد روى أحمد في « المسند » من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : جاء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : اجعلني على شيء أعيش به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياحمزة نفس تحييها أحب اليك ، أم نفس تميتها ؟ » قال : نفس أحييها ، قال : « عليك نفسك » . رواه أحمد ورواته ثقات إلا ابن لهيعة .

وأما تتمة الحديث : « إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة » فقد روى البخاري في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة » قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : أي لمن لم يعمل فيها بما ينبغي . قال : وزاد في رواية شبابة : «وحسرة»؛ ويوضح ذلك ما أخرجه البزار والطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك بلفظ : « أولها ملامة ، وثانيها ندامة ، وثالثها عذاب يوم القيامة ، إلا من عدل » وفي الطبراني « الأوسط » من رواية شريك عن عبد الله بن عيسى عن أبي صالح عن أبي هريرة - قال شريك: لا أدري رفعه أم لا ؟ - قال : « الامارة أولها ندامة، وأوسطها غرامة ، وآخرها عذاب يوم القيامة» وله شاهد من حديث شداد بن أوس رفعه بلفظ « أولها ملامة ، وثانيها ندامة» أخرجه الطبراني ، وعند الطبراني من حديث زيد بن ثابت رفعه : « نعم الشيء الامارة لمن أخذها بحقها وحلها ، وبئس الشيء الامارة لمن أخذها بغير حقها . تكون حسرة يوم القيامة » ، وهذا يقيد ما أطلق في الذي قبله ، ويقيده أيضاً : ما أخرج مسلم عن أبي ذر قال : قلت: يا رسول الله ألا تستعملني ، قال : « إنك ضعيف ، وانها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها».

قال الحافظ : قال النووي : هذا أصل عظيم في اجتناب الولاية ، ولا سيا لمن كان في ضعف ، وهو في حق من دخل فيها بغير أهلية ولم يعدل ، فانه يندم على مافرط منه إذا جوزي بالخزي يوم القيامة ، وأما من كان أهلاً وعدل فيها ، فأجره عظيم كما تظاهرت به الأخبار ، ولكن في الدخول فيها خطر عظيم ،ولذلك امتنع الأكابر منها ، والله أعلم، انتهى كلامه .

وأما الفقرة الأخيرة من الحديث« فإن استطعت أن لا تتأمرن على أحد فافعل» فقد جاء

فبكى هارون بكاءً شديداً ، ثم قال له : زدني ـ رحمك الله ـ

قال : يا حسن الوجه ! أنت الذي يسالك الله عن هذا الخلق ، فإن استطعت أن تقيَ هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غشٌ لرعيتك ، فإن النبي ﷺ قال : « من أصبح لهم غاشاً لم يَرحْ رائحة الجنة »[١] .

فبكى هارون بكاءً شديداً ، ثم قال : عليك دَينٌ ؟ قال : نعم ، دينٌ لربّي لم يحاسبني عليه ، فالويل لي إن ساءلني ، والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن لم أُلهم حجتي ! قال : فقال : إنما أعني من دَين العباد . قال : إن ربي لم يامرني بهذا ، إنّ ربي أمرني أن أصدّق وعده وأطيع أمره ، فقال : ﴿ وَمَا خَلَقتُ الجنَّ والإنسَ إلاَّ ليَعبدُونِ . ما أُريدُ منهم منْ رزق وما أُريدُ أنْ يُطعمون . إنَّ الله هو

= في « صحيح مسلم » عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا أبا ذر ، إني أراك ضعيفاً ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي ، لاتأمرنّ على اثنين ، ولا تَوَلّيَنّ مال يتيم » ورواه أيضاً بنحوه أبو داود والحاكم .

(١) روى البخارى في « صحيحه » من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه ، لم يجد رائحة الجنة » قال الحافظ في « الفتح » : في نسخة الصغاني « إلا لم يجد » بزيادة « إلا » ثم قال : ووقع في رواية مسلم « إلا حرم الله عليه الجنة » . انتهى كلامه .

وفي البخاري عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة » وفي مسلم بلفظ « ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » .

الرَّزاقُ ذو القوَّة المتينُ﴾[الذاريات:٥٦ـ٥٨] فقال له: هذه ألف دينار، خذها فأنفقها وتقوَّ بها على عبادة ربك. فقال: ياسبحان الله: أنا أدلّك على النجاة وأنت تكافيني بمثل هذا؟ ـ سلمك الله ووفقك ـ ثم صمت، فلم يكلّمنا. فخرجنا من عنده، فلما أن صرنا على الباب، قال لي هارون: يا عباسيّ! إذا دللتني على رجل فدلّني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين اليوم. قال غير أبي عمر[1]: فبينا نحن كذلك إذ دخلت عليه امرأة من نسائه، فقالت: يا هذا! قد ترى سوء مانحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال تفرّجنا به؟! قال: مَثَلي ومثَلكُم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه وأكلوا لحمه. فلمّا سمع هارون الكلام، قال: نرجع فعسى أن يقبل المال، قال: فدخل. فلما علم فضيل، خرج فجلس على تراب في السطح على باب الغرفة. وجاء هارون فجلس إلى جنبه، فجعل يكلمه فلم يجبه. فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: ياهذا! قد آذيتَ الشيخ منذ الليلة، فانصرف ـ رحمك الله ـ قال: فانصرفنا.

٦٩ - [توبة ابن هارون الرشيد]

قرأت على الشيخ الصالح أبي المكارم المبارك بن محمد بن المعمّر البادرائي، أخبركم أبو غالب بن أحمد الباقلاني، وقرىء على أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن هلال الدقاق وأنا أسمع، أخبركم أبو طاهر عبد الملك بن أحمد السيوريّ، قالا: أنبا أبو القاسم بن بشران، أنبا أبو بكر

(١) أي من الرواة، وأبو عمر هو الجوني المذكور في سند القصة.

الآجريّ ، قال : سمعت أبا بكر بن أبي الطيّب يقول : بلغنا عن عبد الله بن الفرج العابد ، قال :

احتجت الى صانع يصنع لي شيئاً من أمر الروزَجاريين[1] ، فاتيت السوق فإذا بأواخرهم شاب مصفرّ ، بين يديه زنبيل كبير ومرّ ، وعليه جبة صوف ومئزر صوف ، فقلت له : تعمل ؟ قال : نعم . قلت : بِكَمْ ؟ قال : بدرهم ودانِق[2] . فقلت له : قُمْ حتى تعمل . قال : على شريطة . قلت : ما هي ؟ قال : إذا كان وقت الظهر فاذنّ المؤذن خرجتُ فتطهّرت وصليت في المسجد جماعةً ثم رجعت ، فإذا كان وقت العصر فكذلك . فقلت : نعم . فقام معي ، فجئنا المنزل ، فوافقته على ما ينقله من موضع إلى موضع . فشدّ وسطه وجعل يعمل ولا يكلمني بشيء حتى أذّن المؤذن الظهر . فقال : يا عبد الله ! قد أذن المؤذنّ . قلت : شأنك، فخرج فصلى ، فلما رجع عمل أيضاً عملاً جيداً إلى العصر . فلما أذن المؤذن ، قال لي : يا عبد الله ! قد أذن المؤذن . قلت : شأنك . فخرج فصلى العصر ، ثم رجع . فلم يزل يعمل إلى آخر النهار ، فوزنت له أجرته وانصرف .

فلما كان بعد أيام احتجنا إلى عمل . فقالت لي زوجتي : اطلب لنا ذاك الصانع الشاب ، فإنه قد نصحنا في عملنا . فجئت السوق ، فلم أره . فسألت عنه ، فقالوا : تسأل عن ذاك المصفرّ المشؤوم الذي لانراه

---

(١) العمال الذين يقومون بأعمال مختلفة بأجر يومي ، وروز بالفارسية بمعنى يوم .

(٢) الدانق : سدس الدرهم .

إلاّ من سبت إلى سبت ، لايجلس إلاّ وحده في آخر الناس ؟ قال : فانصرفت ، فلمّا كان يوم السبت أتيت السوق فصادفته . فقلت : تعمل ؟ فقال :قد عرفت الأجرة والشرط . قلت : أستخير الله تعالى. فقام فعمل على النحو الذي كان يعمل . قال : فلمّا وزنت له الأجرة زدته،فابى أن ياخذ الزيادة .فألححت عليه، فضجر وتركني ومضى . فغمّني ذلك ، فاتّبعته وداريته حتى أخذ أجرته فقط . فلما كان بعد مدّة احتجنا أيضاً إليه . فمضيت في يوم السبت فلم أصادفه . فسألت فقيل لي : هو عليل . وقال لي من يخبُر أمره : إنما كان يجيء إلى السوق من سبت إلى سبت يعمل بدرهم ودانق ، ويتقوّت كل يوم بدانق ،وقد مرض ، فسألتُ عن منزله فاتيتُه وهو في بيت عجوز . فقلت لها : هنا[1] الشاب الروزجاريّ؟ فقالت : هو عليل منذ أيام . فدخلت عليه، فوجدته لما به ، وتحت رأسه لَبِنةٌ . فسلمت عليه ، وقلت : لك حاجة ؟ قال ! نعم إن قبلتَ ، قلت : أقبل إن شاء الله . قال : إذا مت فبع هذا المرّ ، واغسل جبتي هذه الصوف وهذا المئزر وكفّني بهما ، وافتق جيب الجبة فإن فيها خاتماً ، وانظر يوم يركب هارون الرشيد فقف له في موضع يراك ، فكلّمه وأَرِهِ الخاتم ؛ فإنه سيدعو بك، فسلم إليه الخاتم ولا يكون هذا إلاّ بعد دفني . قلت : نعم . فلمّا مات فعلت به ما أمرني . ثم نظرت اليوم الذي يركب فيه الرشيد ،

(١) في الأصل : هذا .

فجلست له على الطريق . فلمّا مرّ ، ناديتُه : يا أمير المؤمنين ! لك عندي وديعة. ولوّحت بالخاتم ؛ فأمر بي، فأُخذت وحُملت حتى أُدخلتُ إلى داره . ثم دعاني، ونحّى جميع من عنده ، وقال : من أنت ؟ قلت: عبد الله بن الفرج . فقال : هذا الخاتم من أين لك ؟ فحدثته قصّة الشابّ . فجعل يبكي ، حتى رَحِمتُه ؛ فلمَّا أنس إليّ قلت : يا أمير المؤمنين ! من هو منك ؟ قال :ابني . قلت : كيف صار إلى هذه الحال؟ قال : وُلد لي قبل أن أبتلى بالخلافة ، فنشأ نشوءاً حسناً وتعلم القرآن والعلم . فلما وليتُ الخلافة تركني ، ولم ينلْ من دنياي شيئاً . فدفعته إلى أمه هذا الخاتم – وهو ياقوت يسوى مالاً كثيراً – فدفعته إليها ، وقلت : تدفعين هذا إليه – وكان برّاً بامه – وتسالينه أن يكون معه، فلعله أن يحتاج إليه يوماً من الأيام فينتفع به . وتُوفيت أمه ؛ فما عرفت له خبراً إلا ما أخبرتني به أنت . ثم قال : إذا كان الليل اخرج معي إلى قبره. فلما كان الليل خرج وحده معي يمشي حتى أتينا قبره، فجلس إليه ،فبكى بكاءً شديداً .فلما طلع الفجر قمنا فرجع . ثم قال : تعاهدني في الأيام حتى أزور قبره ، فكنت أتعاهده في الليل ، فنخرج حتى نزوره ، ثم نرجع . قال عبد الله بن الفرج : ولم أعلم أنه ابن الرشيد حتى أخبرني الرشيد أنه ابنه – أو كما قال ابن أبي الطيّب [1] .

---

(١) هو أبو بكر بن أبي الطيب الذي روى القصة .

٧٠ - [نوبة المأمون](١)

وذكر إبراهيم بن الجنيد في كتاب « زهد الملوك » بإسناده عن صالح بن عبد العزيز قال: أخبرني عمي عبد الحميد بن محمد :

أنّ المأمون كان يجد بابنه عليّ وجداً شديداً ، ويقدّمه على جميع أولاده . وكان من أحسن الناس وأجملهم مع أدب وفصاحة . قال عبد الحميد : وكنت إذا دخلت الدار أميل إليه فأسلم عليه ؛ فأرى معه حياءً وبشاشة ولا أرى فيه كِبْراً ولا عِزّاً ،يضاحك خدمه ويلاطف جلساءه ؛ ثمّ أسخى من رأت عيناي وأحسنه خُلقاً وأطيبه نفساً . وكنت إذا رأيته لا أكاد أصرف وجهي عنه من حسنه وجماله .

وكان سبب تزّهده فيما أخبرني به شاكر مولاه ، قال : كان في يوم صائف شديد الحرّ له سموم في قبّة الجيش ، فأتاه يُمنُ الخادمُ ، فقال : يا سيدي ! أمير المؤمنين يدعوك، قد دعا بطعامه وهو ينتظرك .قال: ويحك ! الحرّ شديد ويؤذيني ، وأكره الخروج ، فارجِع فأعلمه أنك

---

(١) المأمون : هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور أبو العباس (١٧٠ - ٢١٨ هـ) سابع الخلفاء من بني العباس في العراق ، وأحد أعاظم الأمراء في سيرته وعلمه وسعة ملكه ، ولي الخلافه بعد خلع أخيه الأمين سنة (١٩٨ هـ) فتمم ما بدأ به جده المنصور ، وقرب العلماء والمحدثين والفقهاء والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار ، وأطلق حرية الكلام للباحثين لولا المحنة بخلق القرآن في السنة الأخيرة من حياته ، أخباره كثيرة توفي في بذندون ودفن في طرسوس .

وجدتني نائماً . فمضي ، فلم يكن بأسرع من أن رجع ، فقال : قد قال : ادخل عليه ونبهه . وكان لا يصبر عنه ساعة . فقام وهو كاره ، فحضر الطعام . ثم قعد أمير المؤمنين للشراب مع ندمائه . فقام عليّ وخرج من المجلس ؛ وكان لا يشرب شيئاً من الأنبذة . فانصرف إلى قصره ، وأمر أن يُفرَش له في بعض مستشرفه على دِجْلة ، وألقى فيه الماء والثلج والخِلاف ، وقعد على سرير عليه غِلالة ينظر إلى الناس وإلى دجلة . ودعا بقيانه وندمائه . فبينا هو كذلك ، إذ نظر إلى حمّال قد أقبل عند الزوال ، عليه درّاعة صوف بيضاء بالية بلا قميص تحتها ولا سراويل عليه ؛ وقد شدّ على رجليه خِرقاً من الحرّ ولبس نعلين متخرقين ، وعلى رأسه خرقة ، وعلى عنقه كرزنُه(١) وطبقُه ، فأتى دجلة وقعد في بعض السفن ، والأمير ينظر إليه مستشرف عليه لا يصرف بصره عنه . فوضع طبقه وكرزنه ، وخلع نعليه ، وألقى الخِرَق عن رجليه ، ودنا من دِجْلة وغسل يديه ورجليه ؛ وانصرف إلى موضعه فأخرج جراباً له ففتحه وأخرج منه كسراً يابسة مختلفة الألوان وأخرج منه قَصْعَةَ خشب فغسل قَصعته وجعل فيها ماءً وألقى تلك الكسر في الماء الذي في القصعة ، ثم أخرج صُرّة ففتحها وأخرج منها مِلْحاً فنثره على الخبز وقليلَ سعترٍ وتركها مقدار ما بل الكسر . ثم تربّع على الرمل وسمى الله تبارك وتعالى وأكل أكل رجل يشتهي الطعام ، وهو مع ذلك يشكر الله تعالى ؛ والأمير عيناه اليه . حتى فرغ وغسل القصعة فردّها إلى جرابه مع كُسيرات بقيت، وشدّ

(١) لعلها : كرزه ، والكرز : ضرب من الجُوالِق ، وقيل : الخرج الذي يحمل فيه الراعي زاده ومتاعه .

خرقة الملح . ودنا من الشط فاغترف بكفّيه من الماء ، وقال : يا سيدي ومولاي ! لك الحمد على هذه النعمة التي تفضّلت بها علي ، فلك الحمد على أياديك عندي ، فلك الحمد ولك الشكر . ثم وضع رأسه على كرزنه وتمدّد على الرمل ساعة . ثم قام فتهيأ للصلاة وقام يصلي للزوال. فقال الأمير للغلمان الوقوف عنده : ليذهبْ بعضكم إلى الرجل القائم المصلي فيأتيني به مع طبقه و كرزنه ، ولا يرعبه، وعليه باللطف حتى ياتيني به . فمضى بعض الغلمان فاتاه فاقام عنده حتى سلّمَ ، ثمّ قال له : قم معي حتى تحمل لي متاعاً من قصر الأمير . فقال :اطلب غيري فإني متعوب البدن . قال : الموضع قريب والحمل خفيف . قال: يا حبيبي ! قد عرفت ذلك وأنت تصيب غيري ، فاعفني فإني أكره دخول الدار . قال : لا بدّ منه ، فإن قمت وإلاّ أُقِمْتَ . وغلظ له في الكلام . فقام الرجل وألقى كرزنه في عنقه وحمل الطبق ، وقرأ : ﴿ وعَسى أنْ تَكرَهوا شيْئاً وَهوَ خيرٌ لكُم ﴾ [البقرة: ٢١٦] ﴿ فَعَسى أن تكرَهوا شَيئاً ويَجعَلَ اللهُ فيه ِخَيراً كثيراً ﴾ [النساء : ١٩] فادخله الغلام القصر، ثم أصعده حتى أوقفه بين يدَي الأمير على هيئته ، فأمره بالقعود . فقال له الندماء : أيها الأمير ! من هذا حتى تأمره بالقعود مع وسخه ونجاسته ؟ قال : اسكتوا ! ثم قال : من أهلها أنت ؟ قال : نعم . قال : ماصناعتك ؟ قال : ما ترى ،الحملُ . قال : وكم عيالُك ؟ قال : نحن عيال الله ، لي والدة عجوز مُقعَدة ، وأخت عمياء زَمِنة . قال : فأهل وولد ؟ قال : مالي أهل ولا ولد .

قال : فكم يكون الكسب ؟ قال : على قدر ما أُرزَق ، إلاّ أنه لاينصرم يوم إلا ونحن في كفاية من فضل الله تعالى . قال : فتطيق الحمل كلّ يوم؟ قال : اذا صلّيتُ الفجر خرجت فتعرّضت للرزق الى وقت الزوال ، ثمّ أتفرّغ لنفسي إلى فراغي من صلاة العصر ، وأجمّ نفسي من العصر إلى الليل . قال : أفليس تكون بالليل جماماً ؟ قال : إن أجممت نفسي بالليل تركني فقيراً يوم القيامة . ففطن لها عليّ ، فقال : إني رأيتك تأكل وحدك ، كيف لا تأكل مع والدتك وأختك ؟ قال: إنهما يصومان فأجعل عشائي مع فطرهما . قال : أخرج الكسر . ففتح جِرابه فأخرج منه كسراً يابسة ، أسود وأحمر وأبيض. فنظر اليها الأمير ساعة يتأمّلها متفكّراً ، ثمّ قال : يا شاكر ! إيتني بخمسة آلاف درهم صحاح فأدفعها إليه ليصلح بها حاله : قال : أيّها الأمير ! أنا غنيّ عنها ، لا حاجة لي فيها . فجهد به على أن يأخذها ، فأبى .

قال الأمير : فلي إليك حاجة . قال : ماحاجة مثلك إلى مثلي ؟ قال: هي حاجة مُهمّة . فأخذ بيده فأدخله بعض غرفه وخلا معه ، وقال : يا هذا ! قد عرفتَ حالي وقصّتي وموضعي وما أنا فيه من هذا الملك ونعيم الدنيا ولذّاتها ، فادعُ الله تبارك وتعالى أن يزهّدني في الدنيا ويرغّبني في الآخرة . فقال له الحمّال : يا حبيبي ! مالي عند الله من المنزلة ما أدعوه ، إلاّ أن بعض الحكماء يقول : من خاف شيئاً أدلج ؛ افرض على نفسك كلّ يوم وساعة شيئاً معلوماً من خصال الخير ؛ فإنك إذا فعلت ذلك جاءتك العزيمة بالعون من الله تعالى على ذلك ؛ ولا تؤخر عمل

يومك لغد ؛ ولا تكلف نفسك ما لا طاقة لها به ؛ وأكثر ذكر الموت ، فإن ذكره يكثّر القليل ويقلّل الكثير ؛ وعليك بتقوى الله تعالى وطاعته واجتناب معاصيه . ثمّ رفع يديه وطاطأ رأسه ودمعت عيناه، وقال : يا من رفع السماء بقوّته ، ودحا الأرض بمشيئته ، وخلق الخلائق بإرادته ، واستوى على العرش بقدرته . يا مالك الملك ، وجبّار الجبابرة ، وإله العالمين ، ومالك يوم الدين ! أسالك برحمتك وجودك وقدرتك أن تخرجَ حبّ الدنيا من قلب عبدك عبد الله عليّ ، وتوفّقه لطاعتك من الأعمال التي تقرّبه إلى مرضاتك وتجنّبه معاصيك وتختِمَ لنا وله برضوانك وعفوك، يا أرحم الراحمين! قال: فدمعت عينا عليّ وبكى فاكثر . ثم قال للحمال : لو قبلتَ منا شيئاً ! قال : لا أريده ، وحاجتي أن تعجّل سراحي . فامره بالخروج ، فخرج الحمّال ؛ وانصرف الأمير إلى موضعه وهو متفكّر قدذهب نشاطه . ثم التفت إلى ندمائه، فقال : يا قوم ! لو شهدتم طعام أمير المؤمنين ورأيتم ما يُرفَع ويُوضَع من صنوف الأطعمة . ثم جعل يصف ذلك الطعام ، ثمّ قال : لو رأيتم الطعام الذي يُخبز قد تُنُوِّقَ في بياضه وجودته وطحنه ، ثمّ يُنخَل بالشعر ثمّ يُنخَل بالكرابيس ثمّ يُنخَل بالحرير حتى يبقى مخّه فقط تُوقَد ناره بالقصب ، فإذا سكن وهَجه يُخَّر التنّور بالعود القماري وخُبز بصنوف الطعام. — ثمّ وصف ما يُتَّخَذ له من صنوف الألوان من الحارّ والبارد والرطب واليابس والحلو وغير ذلك — وهذا الحمّال طعامه ما قد رأيتم ومائدته طبق من سعف النخل . ثمّ طاطا

رأسه وجعل ينكت بأصبعه على الحصير ساعة . ثمّ قال : يا غـلام ! إئت منيباً خازن الكتب فمُـرْهُ يخرجْ لي سيرة عمر بن الخطّـاب رضي الله عنه . فأتاه به ، فجعل ينظر فيه ، فقال : اسمعوا ما كان طعام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: عراق لحم الإبل مطبوخ بماءٍ وملح، وأقراص من شعير غير منخول. فقيل له: يا أمير المؤمنين! لو أكلتَ غير هذا الطعام فقد وسّـع الله على المسلمين ! فقال : هاه ! إنّ الله تبارك وتعالى عيَّـر قوماً بأكلهم بقوله: ﴿ أذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ في حَياتِكُمُ الدُّنْيا ﴾ [الأحقاف : ٢٠][(١)] . فجعل يصف لهم سيرةَ عمر بن الخطّـاب رضي الله عنه وتدمع عيناه . فلمّـا فرغ قال : يا غلام ! قُـلْ لمنيب يخرج لي سيرَة عمر بن عبد العزيز . فأخرج إليه ، فجعل ينظر فيـه ويصف لندمائه . ثم قال : أبعد الله بطناً يعقب صاحبه نـدماً يوم الحسرة في عرصة القيامة ؛ هذا عبـد الله بن عمر ، زين أبنـاء الصحابة ، اشتهى عنباً فلم يذقه ؛ هذا سعيد بن المسيّـب زين التابعين يقول : ليت أن الله جعل رزقي في مصّ حصاة ، فقد استحييت من كثرة الاختـلاف إلى الحشّ ؛ هذا الربيع بن خيثم اشتهى خبيصاً فلم يذقه ؛ هذا مالك بن دينار ، هذا فلان ، هذا فلان . فجعل يذكر وتدمع عيناه ، ثمّ قال : ترى القوم لم يشتهوا طيب الطعام ؟! ولكنّـهم زهدوا عن الفاني للباقي ، وباعوا القليل بالكثير ، وصبروا في دنياهم فنالوا الذي طلبوا ؛ خرجوا من الدنيا

(١) وتتمة الآية: (واستمتعتم بها فاليوم تُجزَون عذاب الهُون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسُقون) .

خماصاً جياعاً حفاةً عراةً ، فلم تأكل الأرض منهم شحماً ولا لحماً ، بليت الجلود على العظام والعروق. ثم أخرج ساعداً كأنه تضيب فضة مستديرة شحماً ولحماً ، فقال : إنّ هذا الساعد مع هذا البدن رُبّي بالأطعمة والأشربة التي وصفتُ لكم من الطعام والشراب ليبلى في التراب كما يبلى ساعد الحمّال . ثمّ أرسل عينيه فبكى فأكثر البكاء ونحن قيام على رأسه . ثمّ قال : يا غلام ! ارفع هذه الآلة قبّحها الله فما أموتها للقلوب وأضرّها وأذلّها . فرُفعت وصرف الندماء والخدم والغلمان وبقي وحده متفكّراً لا يأذن لأحد عليه ، حتى إذا مضى بعض الليل ، ناداني : يا شاكر ! قلت : لبّيك أيها الأمير ! قال : دونك الخزائن فاحفظها مع جميع ما في الدار ، فإنّي منطلق إلى سيّدي ، وأنا أظنّ أنه يعني بسيّده أباه . فخرج عليّ وعليه إزار قد أخذه على رأسه ونعل طاق قد وضعها في رجله ، وقال : لا يتبعْني منكم أحد بشمع . فخرج ومعهُ غلام صغير ، وتخلّف عنه الخدم والغلمان . فلما أصبحنا افتقدنا الغلام إلى ارتفاع النهار. فجاء الغلام فسألته عنه ، فقال : لم يدخل دار أمير المؤمنين ولكنّه أخذ نحو الدّجلة ، وقال لي : قف موضعك هذا ، لا تبرح . فلا أدري أين ذهب ، إلاّ أنه دنا من ملاّح فناوله دنانير ، وقال: لي حاجة مهمّة بـ « واسط » فتعجّلْ بي ، وهو لا يعرفه، فأدخله الزورق ومضى به إلى « واسط » . ثمّ لم يقم بـ « واسط » حتى خرج إلى « البصرة » وتنكّر ولبس الخشن على ذلك الجلد النقي ، واشترى طبقاً كهيئة ما رأى من زيّ الحمال ، وجعل الطبق على عاتقه ، يعمل على مقدار قوته ؛

يحمل على رأسه بالقطع والكسر ، لا يردّ ما أُعطي ؛ بالنهار صائم يحمل على رأسه ، وبالليل قائم يصلي ، يمشي حافياً حتّى تقطّعت رجلاه ، يبيت في المساجد يتخلّلها كي لا يُفطَن به. فلم يزَلْ كذلك يعمل ويعبد ربّه سنين . وأمير المؤمنين لمّا وقف على أمره كتب في جميع الآفاق إلى العمّال في كلّ بلدة أن يُطلَب وتُوضَع عليه العيون ؛ فلم يوقَف على أمره . قال : فمرض في بعض المساجد وتغيّرت حاله . فلمّا اشتدت به العلّة دخل بعض الخانات بالبصرة فاكترى غرفة وألقى نفسه على بارية . فلما أيس من نفسه دعا صاحب الخان فناوله خاتمه ورقعة مختومة فقال : يا هذا ! إذا أنا قضيتُ نَحبي فاخرج إلى صاحبكم – يعني الوالي – فارِهِ خاتمي وعرّفه موضعي وناوله هذه الرقعة. فمات رحمه الله ، فلما قضى سجّاه وخرج نحو باب الأمير ، فنادى : النصيحة ، فأُدخل ، فاراه الخاتم فلما نظر إليه الوالي عرفه ، وقال : ويحك ، أين صاحب الخاتم ؟ قال : في الغرفة في الخان ميّت . وناوله الرقعة مختومة مكتوباً عليها : لا يفكّها إلاّ المامون أمير المؤمنين . فركب الأمير حتى أتى الخان ، وحوّله إلى قصره وطلى عليه الكافور والمسك والعنبر ، ولفّه في قباطيِ مصرَ وحمله في الماء إلى المامون . وكتب إليه يعرّفه قصّته وأنّه وجده في غرفة على بارية في بعض الخانات ، ما تحته مهاد ، ولا عنده باكية ، مسجّى مغمض العينين مستنير الوجه طيّب الرائحة. قال : وبعث إليه خاتمه ورقعته . فلمّا وصل كتابه الى أمير المؤمنين ، وأُدخل [عليٌّ] عليه قام فكشف عن وجهه وانكبّ عليه يقبّله ويبكي.

ووقعت الصيحة والضجيج في الدار . ثم فكّ الرقعة فإذا فيها مكتوب بخطّه : يا أمير المؤمنين ! اقرأ سورة الفجر إلى رابع عشرة آية فاعتبر بها، واعلم أنَّ اللهَ مَعَ الذِينَ اتَّقَوْا وَالّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ، ثمّ أمر المأمون فغُسّل و كُفّن وأُخرج ليُدفن ؛ والمأمون يمشي حتى صلى عليه . فلمّا وُضِع في حفرته أمر الخدم ، فقال : اخرجوا من القبر . ثم اطّلع في القبر ، فقال : يا بُنيَّ ! رحمك الله وأعطاك أمنيّتك ورجاءك ؛ إني لأرجو أن يكون الله تعالى قد أسعدك ونفعني بك ؛ فنِعْمَ الولدُ كنتَ ؛ جمع الله بينك وبين ابن عمّي المصطفى ﷺ ، ورزقني الصبر عليك . ثم قال : سَوّوا عليه . فدخل الخدم فأطبقوا عليه ألواحَه . ثمّ قال : أهيلوا عليه التراب . وهو واقف يصيبه الغبار ، والخدم قيام معهم المناديل يردّون عنه الغبار . فقال : إليكم عنّي! يبلى عليّ في التراب وتردّون عني الغبار؟! ثمّ قال : اللّهم! ثبّته بالقول الثابت ، وأُشْهِدُك أني راضٍ عنه يا أرحم الراحمين ! والرقعة في يده لا يضعها . فدعا محمد بن سعد الترمذيّ فأمره أن يقرأ سورة (الفجر) . فجعل يقرأ والمأمون يبكي حتى بلغ (إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَادِ) [الفجر : ١٤] ، فأمسك .

فتصدّق عنه بألف ألف درهم، وأمر بعرض السجون وأطلق عنهم، وكتب إلى العمّال بإنصاف الرعيّة وردّ المظالم ، ونزع عن أمور كثيرة . وبقي بعده لا يذكره إلاّ بكى ، وهو مكروب لا يرتاح للذّة ولا لشهوة. وينتاب مجلسه الفقهاء يصبّرونه ويعظونه . فما زالت هذه حاله حتّى مات رحمه الله .

٧١ -[توبة موسى بن محمد بن سليمان الهاشمي]

قال عبد الحميد بن محمد: وسمعت محمد بن السمّاك يقول : إن موسى ابن سليمان الهاشمي كان من أنعم بني أبيه عيشاً وأرخاه بالاً ، يعطي نفسه شهوتها من صنوف اللذّات في المآكل والمشرب والملبس والطّيب والجواري والغلمان . ليست له فكرة ولا همّة إلاّ فيما هو من عيشه ولذّته . وكان شاباً جميلاً ، وجهه كاستدارة القمر في صفاءٍ مع بياض وملاحة مشرّباً حمرة ، شديد سواد الشعر ، جعداً ، أقنى الأنف ، [١] أكحل العينين ، أدعج [٢] مثل عين الظبية ، يسحر بعينيه الناظر إليه ، طويل الأشفار [٣] ، مقرون الحاجبين كأنمّا خُطّا بالقلم ، صغير الفم [٤] ، رقيق الشفتين ، أبلج الثنايا [٥] ، مفلّج الأسنان [٦] ، فصيح اللسان ، حلو الكلام ، خافض الصوت . وكانت نعمة الله عليه سابغة ، يستغلّ من ضياعه وعقاره ومما أقطعه من الضياع ويجري

---

(١) أقنى الأنف : السائل الأنف المرتفع وسطه مع احديدابه وارتفاع أعلاه .

(٢) أي شديد سواد حدقة العين مع سعتها .

(٣) أي طويل شعر الأجفان .

(٤) والعرب تمدح سعة الفم ، وتذم صغر الفم لدلالة السعة على الفصاحة ، والصغر على ضدها ، والمولّدون من الشعراء يمدحون صغره ، وهو خطأ منهم ، أو لمعنى لايلتفت اليه لقبحه . وقد ذُكر في أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه كان واسع الفم ، أو ضليع الفم ، بمعنى واسعه .

(٥) أي مشرقها ومضيئها وبرّاقها .

(٦) أي مفرقها ، وهو أنقى للفم وأطيب وأبلغ في الفصاحة ، لأن اللسان يتسع فيها.

عليه من الرزق كلّ حـول نحواً من ثـلاثة آلاف ألف وثلثمائة ألف ، يصرف هذا كلّـه فيما هو فيه من النعيم . وقد أعجبته نفسه وشبابه ودنياه المواتية [1] له في جميـع ما يشتهي .

وكان له مستشرف عالٍ يقعد فيه العشيّـات يشرف على الناس ، له أبواب مشرعة إلى الجادّة ، وأبواب مشرعة إلى بساتينه ، قد ضرب فيه قبة عاج مخروطة من أنياب الفيل مضبّـبة بالفضّـة قد طُلي بالذهب ، وغشّـى القبة بالديباج الأخضر ، وحشاه بالخزّ المنـدوف ، وعلّـق من القبة سلسلة ذهب منظومة بالجواهر واللؤلؤ ، تضيء القبـــةُ من الياقوت الأحمر ، والزبرجد الأخضر ، والعقيق الأصفر ، كل حبـّة كالجوزة ، وعلّـق على الأبواب المشرعة الستور المُـضرَّبة الموّشاة المنسوجة بالذهب ، ووضع حول القبة ثلاثين شمعة ، في ثلاثين طَسـْتاً من فضّـة ، وزن كل طَسـْت ألف درهم ، على كلّ خمس طُسوت غلام قائم بيده مقطعة من ذهب من مائة مثقال ، عليهم من أنواع الثياب والمناطق المرّصعـة بالجواهر ، وعلّـق على كلّ باب خارج من الشُّبّـاكات قناديل بسلاسل الفضة ، وجعل دهنها الزئبق الخالص . وهو على سرير عليه غلالة قصب معلم منسوج ، وعلى رأسه عمامة مكلّـلة باللآلىء ، ومعه في القبـّة ندماؤه وإخوانه . والمجامر منصوبة لا ترَفع على البخور ، وقد وقف على رأسه

(١) في المطبوعة : المؤاتية بالهمز .

الخدم بأيديهم المراوح والمذابّ ، والقَيْنات بحذائه في مجلس خارج من القبة يراهنّ . فإذا نظر عن يمينه رأى نديماً قد اصطفاه وأنس بمادثته ، وإن نظر عن يساره رأى أخاً وصفيّاً قد وادّه واجتباه ، وإن رفع طرفه نظر إلى خدم قيام قد اختارهم ، وإن رمى بطرفه الى حواشيه رأى مطربيه وقيانه كلّهم يفدّونه ، أسماعهم مصغية إليه ، وأعينهم قِبلَه لا يشتغلون بغيره . فإن تكلّم سكتوا ، وإن قام قاموا . إذا اشتهى سماع القيان نظر نحو الستارة ، وإن أراد سكوتهم أومأ بيده إلى الستارة فأمسكوا ، قد عرفوا ذلك منه .

هذا دأبه الى أن يذهب الليل ويذهب عقله ، فيخرج الندماء ويخلو مع الوصفاء . فإذا أصبح اشتغل بالنظر إلى اللّعابين بين يديه بالشطرنج والنرد . لا يُذكَر بين يديه موت ولا سقم ولا مرض ، ولا شيء فيه ذكر الغمّ إلا ذكر الفرح والسرور والنوادر التي يضحك منها . ويطرف كلّ يوم بأنواع الطيب والشّمامات ما يكون في أوانه ، حتّى مضت له سبع وعشرون سنة .

فبينا هو ذات يوم في قبّته ، وقد مضى بعض الليل ، إذ سمع نغمة من حلق نديّ شجيّ خلاف ما يسمع من مطربيه ، فأخذت بمجامع بقلبه ولَهَا عمّا كان فيه . فأومأ إليهم أن أمسكوا ، وأخرج رأسه من بعض تلك الشبّاكات المشرعة إلى الجادّة يتسمّع الذي وقع بقلبه ، فإذا النغمة ربّما سمعها ، وربما خفيت. فصاح بغلمانه: اطلبوا صاحب هذا الصوت!

وكان قد عمل فيه الشراب . فخرج الغلمان يطوفون ، فإذا هم بشابٍّ نحيل الجسم ، دقيق العنق ، مصفرّ اللون ، ذابل الشفتين ، شعث الرأس ، قد لصق بطنه بظهره ، عليه طِمْرانِ[1] ما يتوارى بغيرهما ، حافي القدمين ، قائم في بعض المساجد يناجي ربّه تعالى . فأخرجوه من المسجد وانطلقوا به لا يكلّمونه ، حتّى أوقفوه بين يديه . فنظر إليه فقال : من هذا ؟ قالوا : صاحب النغمة التي سمعت . قال : أين أصبتموه؟ قالوا : في المسجد قائماً يصلّي ويقرأ . فقال : أيّها الشابّ ! ما كنتَ تقرأ ؟ قال : كلام الله . قال : فاسمعني بتلك النغمة . فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إنَّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ الى قوله : ﴿ يَشْرَبُ بِها المُقرَّبونَ ﴾ [المطفيفين :٢٢ـ٢٨] ، أيّها المغرور ! إنّها خلاف مجلسك ومستشرفك وفرشك ، إنها أرائك مفروشة بفرش مرفوعة ﴿ بطائنُها مِنْ إسْتَبرَقٍ ﴾ [الرحمن : ٥٤] ، ﴿ عَلى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ ﴾ [الرحمن : ٧٦] يشرف وليّ الله منها على عينَين تجريان في جنّتَين ﴿ فيهِما مِنْ كلٍّ فاكِهةٍ زَوْجانِ ﴾ [الرحمن:٥٢] ﴿لا مَقْطُوعةٍ ولاممنوعة﴾ [الواقعة:٣٣] ﴿ في عيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة:٢١] ﴿ في جَنَّةٍ عاليَةٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وزَرَابيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية : ١٠ ـ ١٦] ﴿ في ظِلالٍ وعُيُونٍ ﴾ [المرسلات: ٤١] ﴿ أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها تِلْكَ عُقْبى

---

(١) طِمران ، تثنية طِمْر ، وهو الثوب الخَلَق ، أو الكساء البالي من غير الصوف ، جمعه أطمار .

الذينَ اتَّقَوا وَعقبَى الكافِرينَ النارُ ﴾ [الرعد: ٣٥]. ﴿لا يفتَر عنهُم وَهُمْ فيه مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٤] ، ﴿ في ضَلالٍ وسعُرٍ . يَومَ يُسْحَبُونَ في النَّار على وُجوهِهم ذُوقُوا مَسّ سَقَرَ ﴾[القمر :٤٧، ٤٨]﴿يَوَدُّ المُجرمُ لَو يَفتَدي من عَذَاب يومِئذٍ ببَنِيه ﴾ الى قوله : ﴿ وجَمَع فاوعى ﴾ [المعارج : ١١ ـ ١٨] في جهد جهيد وعذاب شديد ومقت من ربّ العالمين ﴿ ومَا هُم منها بمُخرَجينَ ﴾ [الحجر : ٤٨] .

فقام الهاشميّ من مجلسه وعانق الشاب وبكى ؛ وصاح بندمائه : انصرفوا عني . وخرج الى صحن داره ، وقعد على حصير مع الشاب ينوح ويبكي على شبابه ويندب نفسه ،والشاب يعظه، الى أن أصبح وقد عاهد الله أن لا يعود إلى معصية أبداً . فلما أصبح أظهر توبته ولزم المسجد والعبادة . وأمر بالذهب والفضة والجواهر والملابس فبيعت كلّها وتصدق بها ، وقطع الإجراء عن نفسه ورد الضياع المُقطَعة ، وباع ضياعه وعبيده وجواريه ، وأعتق من اختار العتق وتصدق به كلّه . ولبس الصوف الخشن وأكل الشعير . وكان يحيي الليل ، ويصوم النهار ، حتى كان ينتابه الصالحون والأخيار [1] ويقولون له : ارفق بنفسك فإنّ المولى كريم ، يشكر اليسير ، ويثيب على الكثير . فيقول : يا قوم ! أنا أعرَفُ بنفسي ، إنّ جرمي عظيم ، عصيت مولاي بالليل والنهار . ويبكي ويكثر البكاء . ثمّ خرج حاجاً

(١) أي يأتون اليه مرة بعد أخرى .

على قدميه حافيا ما عليه إلا خيشة ، وما معه إلا ركوة وجراب[1] ، حتى قدم مكة وقضى حجه وأقام بها . وكان يدخل الحِجْر[2] بالليل ينوح على نفسه ويقول : سيدي ! لم أراقبك في خلواتي ؛ سيدي! ذهبت شهواتي وبقيت تبعاتي ؛ فالويل لي يوم ألقاك ، والويل كل الويل من صحيفتي إذا نشرت مملوءة من فضائحي وخطاياي ؛ بل حل بي الويل من مقتك إياي وتوبيخك لي في إحسانك إليّ ومقابلة نعمتك بالمعاصي ؛ وأنت مُطّلع على أفعالي ؛ سيدي ! إلى من أهرب إلاّ إليك ، وإلى من التجىء إلاّ إليك ؟ سيدى ! إني لا أستأهل أن أسألك الجنة ، بل أسألك بجودك وكرمك وتفضُلك أن تغفر لي وترحمني ، فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة .

قال محمد بن السمّاك : فبينا أنا ذات ليلة في الطواف إذ سمعت نغمته ونوحه وبكاءه ، فحرّكني وأقلقني . فقطعت الطواف ودخلت الحِجْر ، وأنا لا أثبته ، فقلت له : حبيبي ! من أنت ؟ فإنّي أراك صغير السن ، قريح القلب ، مكروبا مغموماً ، حزين النَّوح ، كثير الدموع ؛ فما القصّة ؟ فانّي حامل الخطيئة مع شيبتي ، صاحبُ ذنوب . فنظر إليّ فعرفني ؛ فقال : ألست الواعظ لي وأنا منهمك في ضلالتي ، سكران في حيرتي ، لا أقبل عليك بوجهي ؟ أنا موسى بن محمّد بن سليمان بن عليّ الذي رأيتني بالبصرة . قال : فأصابتني من قوله دهشة ؛ فدنوت منه

(١) الجراب : المزود أو الوعاء ، جمعه : جُرُب ، وجرْب ، وأجربة .
(٢) أي حجر اسماعيل عليه السلام وهو الحطيم ، وهو من الكعبة .

فعانقته وقبّلت بين عينيه، وقلت : بابي أنت أبو القاسم ! ما القصّة ؟ فأخبرني قال : استرأمري فلا أحب ـ رحمك الله ـ أن أعرف وأعلمَ ؛ إنّ المولى المنعم المتفضل المحسن أنبهني من غفلتي وبصّرني بعيب نفسي ، فتركت جميع ما كنت فيه ممّا رأيتَ ، وأقبلتُ إلى ربي ؛ فهل تراه يقبلني ؟ فإني خائف أن يكون قد صرف وجهه عني ، قال : فأبكاني كلامه ، وقلت : حبيبي ! أبشر فقد بلغني أنه ما من شيء أحب الى الله تبارك وتعالى من شابّ تائب . فلما أن سمعها أراد أن يضبط نفسه من البكاء ، وخاف أن يجتمعوا عليه إذا سمعوا بكاءه . فقام وهو يقول : أيها الطبيب ! اتبعني . فتبعته حتّى خرج من باب الحنّاطين وهو يمشي ويلتفت إليّ ، وقد أمسك على بطنه ، حتى انتهى إلى باب . ثمّ دخل وأدخلني معه وأصعدني إلى غرفة وقعد ، وقال : ما زِلت متشوقاً إلى لقائك لتداوي قرحي بمرهم كلامك . فقلت له : أبا القاسم ! قد أسعدك بلطفه إله العالمين فانبهك من رقدة الغافلين ، فاشكره على توفيقه إياك وكن من الشاكرين ، وبما أنعم عليك فكن من الحامدين ، فإنّ الله تعالى معوضك برحمته أفضل مما تركت له من مخافته . أبا القاسم ! اجعل الموت نصب عينيك ، واعلم أنّ بين يديك عقبة عليها المسلك غداً لا يقطعها إلا الورِعُون عن محارم الله تعالى ، وقناطر لا يجوزها إلا المخفّون من المظالم ، يتردّى منها في نار ﴿ أحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها وإنْ يَسْتَغيثُوا يُغَاثُوا بِماءٍ كالمُهْلِ يَشْوي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَساءَتْ

مرتفقاً ﴾ [الكهف : ٢٩] . فكن على عدّة ،وأعدّ الجواب فإنّك قادم لامحالة . وعلى من القُدُوم ؟ على أحكم الحاكمين ، والعدل الذي لا يجور ، وديّان يوم الدين ، يومَ لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم . وهو منصت يسمع ؛ ثمّ أطرق شبه المفكر ، فتوهّمت أنّه لا يعلم ما أقول ، فقمت من عنده وخرجت . فلمّا أصبحت تصرّفت في حوائجي . فلما دخل وقتُ الظهر وأنا في الطواف وإذا الناس يتعادَوْن نحو باب الصفا . قلت : ما الخبر ؟ قالوا : جنازة غَريب . فخرجت وصليت عليه . وضرب على قلبي ، فصرت من فوري إلى تلك الدار ، فسألت عنه : فقالوا : آجرك الله ! ألم تشهد جنازته ؟ قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! سبحان الفعّال لما يريد ! قالوا : ألستَ صاحبه البارحة ؟ قلت : نعم . قالوا : إنك لما خرجت لم يزل يقول : فؤادي ! فؤادي ! ذنبي ! ذنبي ! ، إلى أن مضى عامّة الليل وهو يبكي ، ثم سكن ؛ فلما أصبح أنبهناه للصلاة فإذا هو قد فارق الدنيا ،لم يشهد خروج روحه أحد ولم يُغمض . قلت لهم : عرفتموه ؟ قالوا : لا ، كان غريباً من الحاجّ نزل عندنا ، ما رأينا ولا سمعنا بمثله ؛ ليله قائم يصلّي وينوح على نفسه كأن ذنوب العباد هو المُطالب بها ، لا يُوقف على كسبه ومطعمه ،ولا يقبل برّ أحد . قلت : كم له منذ نزل عندكم ؟ قالوا : حَجّتين . قلت : معرفة الله خير من معرفتكم إياه .

٧٢ - [نوبة جعفر البرمكي][1]

قال عبد الحميد : كنت في مجلس جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك أعرض عليه متاع مصر ، وهو في قبَّة من عاج مُركّب قد غشّاها بملحم ، إذ دخل عليه محمد بن السمّاك . فقال : أسمعني بعض كلامك - يرحمك الله - فقال : يا أبا الفضل ! لا أحدّثك عن الماضين ولا عن الملوك السابقة ولا الأكاسرة ، ولكن أخبرك بما شهدتُ وعاينت منذ أعوام من ابن عمٍ لأمير المؤمنين موسى بن محمد بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العبَّاس ، وحدّثه في هذا الحديث . فرأيت جعفراً جعل يبكي ويكثر البكاء ، ويقول: هذا كلّه من توفيق الله تعالى إيّاه وسعادته له . اللّهمّ فكما أسعدته بطاعتك ووفّقته لرضاك وعصمته حتّى نال ذلك كلّه بإرادتك ، وفّقنا للعمل الصالح برحمتك ، واختم لنا بعفوك ومغفرتك يا أرحم الراحمين ! ثم إنّه في مجلسه ذلك تصدّق بمائة ألف على أهل الحاجة والمسكنة . فما لبث بعد ذلك إلاّ القليل حتى غضب عليه هارون أمير المؤمنين وأمر بقتله[2] وأن يُجعَل أرباعاً

---

(١) هو جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي أبو الفضل (١٥٠ - ١٨٧ هـ) وزير الرشيد العباسي ، وأحد مشهوري البرامكة ومقدميهم ، ولد ونشأ في بغـداد واستوزره هارون الرشيد ملقياً اليه أزمة الملك ، وكان يدعوه : أخي ، فانقادت له الدولة ، يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه ، إلى أن نقم الرشيد على البرامكة نقمته المشهورة ، فقتله في مقدمتهم، وكان كاتباً بليغاً ، والبرامكة يرجعون في أنسابهم إلى الفرس .

(٢) في المطبوعة : بقبله ، وهو تصحيف .

ويُصلَب . ففُعل به ذلك . فكان يُرجى لجعفر ذلك الدعاء لعل الله تعالى استجاب له ؛ لأنه مُثِّل به. وكان كثير الصنائع المحمودة ، معطياً للمال ، قاضياً للحوائج ، حسن العشرة ، عارفاً بحقّ الإخوان رحمه الله .

٧٣- [توبة جارية من بنات الكبار على يد أبي شعيب البراثي]

أخبرنا أبو الفتح محمّد ، أنبأ أبو الفضل المقرىء ، أنبأ أبو نعيم ، أخبرني جعفر بن محمّد بن نصير في كتابه قال : سمعت الجنيد بن محمّد (١) يقول :

كان أبو شعيب البراثيّ أول من سكن براثى (٢) في كوخ يتعبّد فيه . فمرّت بكوخه جارية من بنات الكبار كانت رُبّيت في قصور الملوك .

---

(١) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز أبو القاسم ، صوفي متسنن، مولده ومنشأه ووفاته ببغداد ، أصل أبيه من نهاوند ، وكان يعرف بالقواريري ، نسبة لعمل القوارير ، عرف الجنيد بالخزاز ، لأنه كان يعمل الخز ، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ، ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة . من كلامه : طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة . ومن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به ، توفي رحمه الله سنة (٢٩٧ هـ) .

(٢) براثى، بالثاء المثلثة والقصر : محلة كانت في طرق بغداد في قبلة الكوخ وجنوب باب مُحوّل ، وكان لها جامع مفرد ، وقد خرب عن آخره ، وكذلك المحلة لم يبق لها أثر . وينسب إلى براثى هذه : أبو شعيب البراثي العابد هذا الذي تابت الجارية بسببه ، كان أول من سكن براثى في كوخ يتعبد فيه ، وأبو عبد الله بن أبي شعيب البراثي الزاهد وله خبر مع زوجته يشبه خبر أبيه ، ومحمد بن خالد بن يزيد بن غزوان أبو عبد الله البراثي من أهل الدين والفضل ، وكان صديقاً لبشر الحافي ، وغيرهم .

فنظرتْ الى أبي شعيب فاستحسنتْ حـــاله وما كان عليه ، فصارت كالأسير له ، فعزمت على التجرّد من الدنيـا والاتّصـال بأبي شعيب ، فجاءت إليه ، وقالت : أريد أن أكون لك خادمة . فقال لها : إن أردتِ ذلك فغيّري من هيئتك وتجرّدي عما أنتِ فيـه حتى تصلحي لما أردتِ . فتجرّدتْ عن كل ما تملكه ولبست ثياب النساك وحضرته ، فتزوّجها . فلمّا دخلت الكوخ رأت قطعـة خصاف [1] في مجلس أبي شعيب تقيه النّـدى [2] . فقالت: ما أنا بمقيمة فيها حتّـى تُخرج ماتحتك ، لأني سمعتك تقول : إن الأرض تقول : يا ابن آدم ! تجعـل اليوم بيني وبينك حجاباً وأنت غداً في بطني؟ فما كنتُ لأجعل بيني وبينها حجاباً . فأخذ أبو شعيب الخصاف فرمى بها [3] . فمكثت معه سنينَ كثيرة تتعبّـد أحسن عبادة ، وتوُفّيا على ذلك متعاونَيْـن .

(١) الخِصاف ، واحده : خصَفَة ، وهي الجُلّة تعمل من الخوص للتمر ، والثوب الغليظ جداً .

(٢) أي البلل والرطوبة .

(٣) هذا من الغلو في الزهد الذي لامكان له في الإسلام .

٧٤- [توبة الواثق بالله[1] وابنه المهتدي بالله[2]]

أخبرنا الشيخ الإمام العالم أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي قال: أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمّد القزاز، وأبو السعود أحمد ابن علي بن المجلي قالا: أنا أحمد بن علي بن ثابت، أنا محمد بن أحمد بن رزق، أنا أحمد بن سندي الحداد قال: قرىء على أحمد بن المنيع وأنا أسمع قيل له: أخبركم صالح بن علي بن يعقوب الهاشمي قال:

حضرتُ المهتدي بالله أمـــير المؤمنين وجلس للنظر في أمـور المظلومين في دار العامّة. فنظرتُ إلى قصص الناس تُقرَأ عليـه من أوّلها إلى آخرها، فيأمر بالتوقيع عليها، وينشأ الكتابُ عليها وتحرَّر، وتُختم وتُرفع إلى صاحبها بـــين يديه. فسرّني ذلك، واستحسنتُ ما رأيتُ. فجعلتُ أنظر اليه، ففطن ونظر إليّ، فغضضت عنه، حتى كان ذلك مني ومنه مراراً ثلاثاً: إذا نظر غضضت، وإذا شُغِـل

---

(١) هو هارون (الواثق بالله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد العباسي، أبو جعفر (٢٠٠ - ٢٣٢) من خلفاء الدولة العباسية بالعراق، ولد ببغـداد، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة (٢٢٧ هـ) فامتحن الناس في خلق القرآن، وسجن جماعة، والظاهر أنه تاب عن ذلك في آخر عمره، ومات في سامراء، وكان كثير الاحسان لأهل الحرمين، حتى قيل: إنه لم يوجد بالحرمين في أيامه سائل.

(٢) هو محمد بن هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، أبو عبـــد الله المهتدي بالله العباسي من خلفاء الدولة العباسية (٢٢٢ - ٢٥٦ هـ) ولد في القاطول بسامراء، وبويع له بعد خلع المعتز سنة (٢٥٥ هـ). وكان حميد السيرة، فيه شجاعة، يأخذ إخذ عمر بن عبدالعزيز في الصلاح، مدة خلافته أحد عشر شهراً وأيام.

نظرت . فقـال لي : يا صالح ! قلت : لبَّيك يا أمـير المؤمنين ! وقمت قائماً . فقال : في نفسك منّـا شيء تريـد ـ أو قال ـ تحبّ أن تقوله ؟ قلت : نعم يا سيدي ! فقال لي : عد إلى موضعك . فَـعُـدْتُ ، حتّـى إذا قام ، قال للحاجب : لا يبرحْ صالح . فانصرف الناس ؛ ثم أذِنَ لي فدخلتُ فدعوتُ له ، فقال لي : اجلس . فجلستُ ، فقال : يا صالح تقول لي ما دار في نفسك أو أقول أنا ما دار في نفسي أنَّـه دار في نفسك؟ قلت : يا أمير المؤمنين ! ما تعزم عليه وتأمر به ، قال : أقول أنا : إنه[1] دار في نفسي أنّـك استحسنت ما رأيت منّـا ، فقلتَ : أي خليفـةٍ خليفتُـنا إن لم يكن يقول : القرآنُ مخلوقٌ ؟ فورد على قلبي أمر عظيم ؛ ثمّ قلتُ : يا نفس ! هل تموتين قبل أجلك ؟ وهل تموتين إلاّ مرّة ؟ وهل يجوز الكذب في جدّ أو هزل ؟ فقلتُ : يا أمير المؤمنين ! مـا دار في نفسي إلاّ ما قلتَ . ثمّ أطرق مليّاً وقال : ويحك ! اسمع مني ما أقول، فوالله لِتسمعنّ الحق، فسُـرّي عنّـي فقلت: يا سيدي ! ومَن أولى بقول الحق منـك وأنت خليفة رب العالمين وابن عم سيـّد المُـرسَـلين ؟ فقال: ما زلت أقول : إن القـرآن مخلوق صدراً من أيام الواثق ، حتى أقدم

(١) في المطبوعة : أنه بفتح الهمزة .

أحمد بن أبي داود [1] علينا شيخاً من أهل الشام من أهل « اذَنَـةَ [2] ».
فادخل الشيـخ على الواثق مقيَّـداً ، وهو جميل الوجه تام القامة حسن الشيبة . فرأيت الواثق قد استحيى منه ورق له . فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه . فسلم الشيـخ فأحسن ، ودعا فأبلغ . فقال له الواثق : اجلس ، فجلس ، فقال له : ياشيـخ ! ناظر ابن أبي دواد على ما يناظرك عليه . فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ! ابن أبي دواد يصبى ويضعُف عن المناظرة . فغضب الواثق وعاد مكان الرقة غضباً عليه. قال الواثق: أبو عبد الله بن أبي دُواد يصبى ويضعف عن مناظرتك أنت ؟ فقال الشيخ : هوِّن عليك يا أمير المؤْمنين مـــا بك ، فائذَنْ في مناظرته . فقال الواثق : ما دعوتك إلا للمناظرة . فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ! إن رأيتَ أن تحفظ علي وعليه ما نقول . قال : أُفعلُ .

قال الشيـخ : يا أحمد ! أَخْـبِرْني عن مقالتك هذه، هي مقالة واجبة داخلة في عقد الدِّين فلا يكون الدِّين كاملاً حتى يُقال فيه بما قلتَ ؟ قال : نعم . قال الشيخ : يا أحمد ! أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله إلى عباده ، هل ستر شيئاً مما أمره الله به في أمر دينهم ؟ قال : لا . فقال الشيـخ : فدعا رسول الله ﷺ الأمة إلى مقالتك هذه ؟ فسكت

---

(١) هو أحمد بن أبي دُوَاد بن جرير بن مالك الإيادي أبو عبد الله (١٦٠ - ٢٤٠ هـ) أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ، وحامل لواء محنة القرآن، كان عارفاً بالأخبار والأنساب، شديد الدهاء ، محباً للخير . توفي مفلوجاً في بغداد .

(٢) أذنة بوزن حسنة أو خشنة : بلد من الثغور الشامية قرب المصيصة، مشهور ، خرج منه جماعة من أهل العلم .

ابن أبي دواد . فقال الشيخ: تكلم ! فسكت . فالتفت إلى الواثق ، فقال: يا أمير المؤمنين ! واحدة . فقال الواثق : واحدة .

فقال الشيخ : يا أحمد ! أخبرني عن الله عز وجل حين أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فقال : ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً ﴾ ، [المائدة : ٣] هل كان الله تعالى الصادق في إكمال دينه أو أنت الصادق في نقصانه حتى يُقال فيه بمقالتك هذه ؟ فسكت ابن أبي دُواد . فقال الشيخ : أجبْ يا أحمد ! فلم يُجبْ ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ! اثنتان . فقال الواثق. اثنتان، فقال الشيخ: يا أحمد ! أخبرني عن مقالتك هذه ، هل علمها رسول الله ﷺ أم جهلها ؟ فقال ابن أبي دُواد : علمها. قال : فدعا الناس إليها ؟ فسكت ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ! ثلاث . فقال الواثق : ثلاث . فقال الشيخ : يا أحمد ! فاتَّسعَ لرسول الله ﷺ أن علمها وأمسك عنها كما زعمت ولم يطالب أمته بها ؟ قال : نعم . قال الشيخ : واتَّسع لأبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطاب وعثمان ابن عفّان وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ؟ قال ابن أبي دُواد : نعم . فأعرض الشيخ عنه وأقبل على الواثق ، فقال : يا أمير المؤمنين ! قد قدّمتُ القول : إنّ أحمدَ يصبى ويضعف عن المناظرة ؛ يا أمير المؤمنين ! إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة بما زعم هذا أنه اتّسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، فلا وسّع الله

على من لم يتَّسع له ما اتّسع لهم.فقال الواثق : نعم ، إن لم يتَّسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتَّسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ فلا وسّع الله علينا ، اقطعوا قيد الشيخ ! فلما قُطع القيد ضرب الشيخ بيده إلى القيد حتى يأخذه ، فجاذبه الحدّاد عليه . فقال الواثق : دع الشيخ يأخذه ! فأخذه فوضعه في كمّه . فقال له الواثق : يا شيخ ! لِمَ جاذبت الحدّاد عليه ؟ قال : لأني نويت أن أتقدمّ إلى من أوصي اليه إذا أنا متّ أن يجعله بيني وبين كفني حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة ، وأقول : يا ربّ ! سلْ عبدك هذا لِمَ قيَّدني وروّع أهلي وولدي وإخواني بلا حقٍّ أوجبَ ذلك عليّ . وبكى الشيخ وبكى الواثق وبكينا . ثم سأله الواثق أن يجعله في حِلٍّ وَسعةٍ بما ناله . فقال الشيخ: واللهِ يا أمير المؤمنين ، لقد جعلتك في حلٍ وسَعة من أوّل يوم إكراماً لرسول الله ﷺ ، إذ كنت رجلاً من أهله . فقال الواثق : لي إليك حاجة . فقال الشيخ : إن كانت ممكنة فعلتُ . فقال له الواثق : تُقيمُ قِبَلنا فننتفع بك وتنتفع بنا. فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ! إن ردَّك إياي الى الموضع الذي أخرجني عنه هذا الظالم أنفع لك من مقامي عليك ، وأُخبرك بما في ذلك : أصير إلى أهلي وولدي فأكف دعاءهم عليك، فقد خلَّفتهم على ذلك . فقال له الواثق : فتقبل منا صلةً تستعين بها على دهرك ؟ فقال :

يا أمير المؤمنين ! لا تَحلُّ لي، أنا عنها غنيٌّ وذو مِرةٍ سويٌّ (١) . فقال : سلْ حاجة . فقال : أو تقضيها يا أمير المؤمنين ؟ قال: نعم . قال: تأذن أن يُخلى لي السبيل الساعة إلى الثغر . قال : قـــد أذنت لك . فسلّمَ وخرج .

قال المهتدي بالله : فرجعتُ عن هذه المقالة، وأظنّ أن الواثق رجع عنها (٢) منذ ذلك الوقت (٣) .

★ ★ ★

(١) المِرّة : القوة والشدة ، والسويّ : الصحيح الأعضاء .

(٢) ساق هذه القصة بهذا المعنى ابن الجوزي وابن كثير في سبب ترك الواثق للمحنة بسبب الشيخ المذكور . ثم قال ابن كثير : قال المهتدي : فدخل أبي المنزل فاستلقى على ظهره وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه ويقـــول : أما وسعك ما وسعهم ؟! ثم أطلق الشيخ وأعطاه أربعمائة دينار ، وسقط من عينيه ابن أبي دواد ، ولم يمتحن بعده أحداً .

(٣) كتب هنا في الأصل «ب»: آخر الجزء الرابع من غير أصل مؤلفه وحده لا غير.

ذكر سبب توبة جماعة من الأمة رحمة الله عليهم

٧٥ - [توبة حبيب أبي محمد]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي ، أنبا أبو الفضل أحمد بن أحمد الحداد ، أنبا أبو نعيم الحافظ [١] ، قال :

كان سبب إقبال حبيب أبي محمد على الآجلة [٢] وانتقاله عن العاجلة [٣] حضوره مجلس الحسن [٤] . فوقعت موعظته في قلبه ، فخرج عما كان يتصرف فيه ثقة بالله ومكتفياً بضمانه ، فاشترى نفسه من الله ، فتصدق بأربعين ألف درهم في أربع دفعات : تصدق بعشرة آلاف

---

(١) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني أبو نعيم (٣٣٦ - ٤٣٠ هـ) حافظ مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية ، ولد ومات بأصبهان ، من تصانيفه «حلية الأولياء» المشهورة ، و « دلائل النبوة » ، و « طبقات المحدثين والرواة » وغيرها .

(٢) أي الآخرة .

(٣) أي الدنيا .

(٤) هو الحسن بن يسار البصري أبو سعيد (٢١ - ١١٠ هـ) تابعي كبير ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه . وهو أحد العلماء والفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ، وكان عظيم الهيبة ، كان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم ، لا يخاف في الحق لومة لائم ، وله مع الحجاج بن يوسف الثقفي الظالم مواقف ، وله أخبار كثيرة وكلمات سائرة رحمه الله .

درهم في أول النهار ، فقال : يا رب ! قد اشتريت نفسي منك بهذا ؛ ثم أتبعها بعشرة آلاف أخرى ، فقال : هذه شكراً لما وفّقتني له ؛ ثم أخرج عشرة آلاف أخرى فقال : يا رب ! إن لم تقبل مني الأولى والثانية فاقبل مني هذه ؛ ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى ، فقال : يارب ! إن قبلت مني الثالثة فهذه شكراً لها .

٧٦ - [توبة زاذان الكندي(١)]

وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٢) أنه مرّ ذات يوم في موضع من نواحي الكوفة (٣) فاذا فتيان فُسّاق قد اجتمعوا يشربون، وفيهم مغنٍّ يُقال له : زاذان يضرب ويغنّي، وكان له صوت حسن .

---

(١) هو زاذان أبو عبد الله . ويقال : أبو عمر الكندي مولاهم الكوفي الضرير البزار ، تابعي ، رأى بعض الصحابة وروى عنهم ، قال ابن عدي : روى عن ابن مسعود وتاب على يديه ، وكناه الأكثرون أبا عمر ، وكذا وقع في كثير من الأسانيد ، قال الخطيب : كان ثقة ، وقال العجلي : كوفي تابعيّ ثقة ، قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» صدوق يرسل ، توفي رحمه الله سنة (٨٢ هـ) .

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن الصحابي الجليل المشهور ، من أكابرهم فضلاً وعقلاً وقربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أكثرهم رواية عنه صلى الله عليه وسلم ، ومن السابقين إلى الاسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن في مكة ، وكان وعاءً ملىء علماً ، ولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان رضي الله عنه ، توفي رضي الله عنه سنة (٣٢ هـ) عن نحو ستين عاماً .

(٣) الكوفة : المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ، سميت الكوفة لاستدارتها أو لاجتماع الناس بها ، تخرج منها علماء وحفاظ كثيرون .

فلما سمع ذلك عبد الله [1] قال : ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله ! وجعل الرداء على رأسه ومضى ، فسمع زاذان قوله فقال : من كان هذا ؟ قالوا : عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ قال : وأيّ شيء قال ؟ قالوا : إنه قال : ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى . فقام وضرب بالعود على الأرض فكسره ثم أسرع فأدركه وجعل المنديل في عنق نفسه وجعل يبكي بين يدي عبد الله بن مسعود . فاعتنقه عبد الله بن مسعود ، وجعل يبكي كل واحد منهما . ثم قال عبد الله : كيف لا أحبّ من قد أحبه الله ـ عز وجل ـ ! فتاب إلى الله ـ عز وجل ـ من ذنوبه ؛ ولازم عبد الله بن مسعود حتى تعلم القرآن ، وأخذ حظّاً من العلم حتى صار إماماً في العلم ، وروى عن عبد الله بن مسعود وسلمان [2] وغيرهما .

٧٧ - [توبة مالك بن دينار [3]]

وروي عن مالك بن دينار أنه سُئل عن سبب توبته ، فقال : كنت شرطياً وكنت منهمكاً على شرب الخمر . ثم إنني اشتريت جارية نفيسة ؛

(١) أي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) هو سلمان الفارسي الصحابي المشهور ، من مقدميهم ، عاش عمراً طويلاً قرأ كتب الغرب والروم واليهود وقصد بلاد العرب وأسلم ، وكان عالماً بالشرائع وغيرها ، وهو الذي دل المسلمين على حفر الخندق في غزوة الأحزاب ، توفي رضي الله عنه سنة (٣٦ هـ) .

(٣) هو مالك بن دينار البصري أبو يحيى ، من رواة الحديث كان ورعاً ، يأكل من كسب يده ، ويكتب المصاحف بالأجرة ، توفي رحمه الله بالبصرة سنة (١٣١ هـ) .

ووقعت مني أحسن موقع ، فولدت لي بنتاً . فشغفتُ بها ؛ فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حباً ، وأَلِفتني وأَلِفتها . قال : فكنت إذا وضعتُ المسكر بين يديَّ جاءت إليَّ وجاذبتني عليه وهرَقته من ثوبي، فلما تم لها سنتان ماتت ، فأكمدني حزنها . فلما كانت ليلةُ النصف من شعبان ، وكانت ليلةَ الجمعة، بتّ ثملاً [1] من الخمر ، ولم أصلّ فيها عشاء الآخرة . فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قدقامت ، ونفخ في الصور ، وبُعثرت القبور ، وحُشر الخلائق ، وأنا معهم . فسمعت حساً من ورائي، فالتفت ،فإذا أنا بتنّين [2] أعظم ما يكون أسودَ أزرقَ قد فتح فاه مسرعاً نحوي . فمررت بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً . فمررت في طريقي بشيخ نقيٍّ الثوب طيب الرائحة ؛ فسلمت عليه فردّ السلام فقلت : أيها الشيخ ! أَجِرني من هذا التنّين أجارك الله ، فبكى الشيخ وقال لي : أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه؛ ولكن مر وأسرع فلعل الله أن يتيح لك ما ينجيك منه . فوليت هارباً على وجهي ، فصعِدتُ على شرف من شُرَف القيامة، فأشرفت على طبقات النيران، فنظرت إلى هولها ، وكدت أهوي فيها من فزع التنين ؛ فصاح بي صائح : ارجع فلست من أهلها ! فاطمأننت [3] إلى قوله ورجعت، ورجع التنين في طلبي . فأتيت الشيخ فقلت : يا شيخ ! سألتك أن

---

(١) الثَّمِل : الذي قد أخذ منه الشراب والسُّكر .

(٢) التنّين : ضرب من الحيات من أعظمها كأكبر ما يكون منها .

(٣) في المطبوعة : فاطمأنيت ، وهو تصحيف .

تجيرني من هذا التنين فلم تفعل . فبكى الشيخ ، وقال : أنا ضعيف ولكن سِر إلى هذا الجبل ، فإنّ فيه ودائع المسلمين ، فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك . قال : فنظرت إلى جبل مستدير من فضة ، وفيه كوى مخرّمة وستور معلقة ، على كلّ خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر ، مفصّلة باليواقيت مكوكبة بالدر ، على كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هارباً والتنّين من ورائي ؛ حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة : ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا ! فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه . فإذا الستور قد رُفعت والمصاريع قد فتحت ، فاشرف علي من تلك المخرّمات أطفال بوجوه كالأقمار . وقرب التنّين مني ، فتحيرت في أمري . فصاح بعض الأطفال : ويحكم ! أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه . فاشرفوا فوجاً بعد فوج ، وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت عليّ معهم . فلما رأتني بكت وقالت : أبي والله ! ثم وثبت في كفة من نور كرَمية السهم حتى مثلت بين يديّ . فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى فتعلّقت بها ، ومدت يدها اليمنى إلى التنّين فولى هارباً .

ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي ، وقالت : يا أبتِ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ . [الحديد : ١٦] فبكيت وقلت : يا بنية ! وأنتم تعرفون القرآن ؟ فقالت : يا أبتِ ! نحن أعرف به منكم . قلت : فأخبريني عن

التنين الذي أراد أن يهلكني . قالت : ذلك عملك السوء قوّيته فأراد أن يغرقك في نار جهنم . قلت : فاخبريني عن الشيخ الذي مررتُ به في طريقي . قالت : يا أبتِ ! ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء . قلت: يا بنية ! وما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت: نحن أطفال المسلمين قد أُسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفعَ لكم (١) .

قال مالك : فانتبهت فزعاً وأصبحت فأرقت المسكر وكسرت الآنية وتبت إلى الله عزّ وجلّ . وهذا كان سبب توبتي .

---

(١) روى مسلم في « صحيحه » رقم (٢٦٣٥) أن رجلاً قال لأبي هريرة رضي الله عنه : إنه قد مات لي ابنان ، فما أنت محدثي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : قال نعم « صغارهم دعاميص الجنة (أي صغار أهلها ، وأصل الدعموص : دويبة تكون في الماء لا تفارقه، أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها) يتلقى أحدهم أباه – أو قال: أبويه – فيأخذ بثوبه – أو قال : بيده – كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا (أي بطرفه) فلا يتناهى – أو قال : فلا ينتهي – (أي لا يتركه) حتى يُدخله الله وأباه الجنة » .

وروى مسلم أيضاً رقم (٢٦٣٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بابن لها فقالت : يا رسول الله إنه يشتكي ، وإني أخاف عليه قد دفنت ثلاثة ، قال : « لقد احتظرت بحظار (أي امتنعت بمانع) شديد من النار ».

وروى البخاري ومسلم في « صحيحيهما » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لامرأة : « ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجاباً من النار » فقالت امرأة : واثنين واثنين واثنين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « واثنين واثنين واثنين » .

وفي رواية لمسلم : « ثلاثة لم يبلغوا الحنث » أي لم يبلغوا سن التكليف الذي يكتب فيه الحنث ، وهو الاثم . =

٧٨-[توبة داود الطائي](١)

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن السلمي ، أنبأ أبو القاسم الحسيني ، أنبأ رشأ بن نظيف المقرىء ، أنبأ الحسن بن إسماعيل ، أنبأ أحمد بن مروان ، ثنا محمد بن حاتم البغدادي ، قال: سمعت الحماني يقول :

كان بدء توبة داود الطائي أنه دخل المقبرة فسمع امرأة عند قبر وهي تقول :

مُقيمٌ إلى أن يبعثَ اللهُ خَلقَهُ
لقاؤكَ لا يُرْجى وأَنت قريبُ

تزيدُ بِلىً في كلّ يومٍ وليلةٍ
وتُسلى كما تَبلى وأَنت حبيبُ

وقال أبو نعيم: قدم داود من السواد ولا يفقه ، فلم يزل يتعلّم ويتعبّد

= وروي البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريره رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم » قال الخطابي: معناه : لايدخل النار ليعاقب بها ولكنه يدخلها مجتازاً ، ولا يكون ذلك الجواز إلا قدر ما يحلل به الرجل يمينه .

(١) هو داود بن نصير الطائي أبو سليمان من العباد والزهاد كان في أيام المهدي العباسي ، أصله من خراسان ومولده بالكوفة ، رحل إلى بغداد فأخذ عن أبي حنيفة وغيره ، وعاد الى الكوفة فاعتزل الناس ، ولزم العبادة إلى أن مات فيها ، وله أخبار مع أمراء عصره وعلمائه ، توفي رحمه الله سنة (١٦٥ هـ)

حتى ساد أهـــل الكوفة . وقال يوسف بن أسباط [1] : ورث داود عشرين ديناراً فأكلها في عشرين سنة . قال أبو نعيم : كان داود يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز . وقال : بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية . ودخل إليه يوماً رجل ، فقال : إن في سقف بيتك جذعاً قد انكسر . فقال : يا ابن أخي ! إني في هذا البيت منذ عشرين سنة ، ما نظرت إلى السقف . وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام .

٧٩ - [توبة الفضيل بن عياض] [2]

أنبأنا الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي [3] أنا عبد الرحمن بن أبي غالب ، أنا أحمد بن علي قال : أخبرني الحسن بن علي بن محمد الواعظ ، ثنا محمد بن العباس ، قال : أنبأ علي بن الحسين بن حرب ، ثنا إبراهيم بن الليث النخشبي ، ثنا علي بن خشرم قال : أخبرني رجل من جيران الفضيل بن عياض ، قال :

كان الفضيل يقطع الطريق وحده . فخرج ذات ليلة ليقطع

---

(١) في المطبوعة : إسباط بكسر الهمزة.

(٢) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي أبو علي (١٠٥ - ١٨٧ هـ) شيخ الحرم المكي من أكابر العباد الصلحاء ، توفي في مكة المكرمة .

(٣) ابن الجوزي رحمه الله .

الطريق، فاذا هو بقافلة قد انتهت اليه ليلاً، فقال بعضهم لبعض: اعدلوا بنا الى هذه القرية فان أمامنا رجلاً[1] يقطع الطريق يُقال له: الفضيل. قال: فسمع الفضيل، فأُرعد، فقال: يا قوم! أنا الفضيل، جوزوا، والله لأجتهدَنَّ أن لا أعصي الله أبداً! فرجع عما كان عليه.

ورُوي من طريق أخرى أنه أضافهم تلك الليلة؛ وقال: أنتم آمنون من الفضيل. وخرج يرتاد لهم علفاً؛ ثمّ رجع فسمع قارئاً يقرأ: ﴿ ألمْ يأنِ لِلذِينَ آمنُوا أنْ تَخْشَعَ قلوبُهمْ لِذكرِ الله ﴾.[الحديد:١٦] قال: بلى والله قد آن. فكان هذا مبتدأ توبته.

وقال إبراهيم بن الأشعث: سمعت فضيلاً ليلة وهو يقرأ سورة محمد ﷺ ويبكي ويردد هذه الآية ﴿ وَلنبْلونَّكم حتى نعلَمَ المجاهدينَ مِنْكمْ وَالصَّابرِينَ ونبْلوَا أخْبارَكمْ ﴾ [محمد: ٣١] وجعل يقول: ونبلوَ أخباركم! ويردد ويقول: وتبلوَ أخبارنا! إن بلوتَ أخبارنا فضحتنا وهتكتَ أستارنا! إن بلوتَ أخبارنا أهلكتنا وعذّبتنا!

وسمعته يقول: تزّينتَ للناس وتصنّعتَ لهم وتهيَّأتَ لهم، ولم تزل ترائي حتى عرفوك فقالوا: رجل صالح! فقضوْا لك الحوائج، ووسَّعوا لك في المجلس، وعظَّموك، خيبة لك؛ ما أسوأ حالك إن كان هذا شانك!

وسمعته يقول: إن قدرتَ أن لا تُعرف فافعلْ؛ وما عليك أن لا تعرف، وما عليك إن لم يُثنَ عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً.

(١) في «أ» رجل

٧٨ - [توبة علي بن الفضيل بن عياض]

أخبرنا الحافظ أبو موسى محمّد بن أبي بكر الأصبهانيّ في كتابه، أنا عبد الرزّاق بن محمد بن الشرابيّ، أنا سعيد بن محمد بن سعيد الوليّ، أنا علي بن أحمد بن عليّ الواقديّ، أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبيّ، أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد ابن يحيى قال: سمعت أبي يقول: سمعت محمد بن اسحاق السرّاج يقول: سمعت محمد بن خلف يقول: حدّثني يعقوب بن يوسف، قال:

كان الفضيل بن عياض إذا علم أن ابنه علياً خلفه - يعني في الصلاة - مرّ ولم يقفْ ولم يخوّفْ؛ وإذا علم أنه ليس خلفه تنوَّق في القرآن وحزَّن وخوَّف. فظنّ يوماً أنه ليس خلفه، فأتى على ذكر هذه الآية: ﴿ ربَّنا غَلبتْ علينا شِقْوتُنا وكُنا قوْماً ضالين ﴾. [المؤمنون: ١٠٦]. قال: فخرّ عليّ مغشيّاً عليه. فلما علم أنه خلفه وأنه قد سقط، تجوّز في القراءة. فذهبوا إلى أمه فقالوا: أدركيه. فجاءت فرشّت عليه ماءً، فأفاق. فقالت لفضيل: أنت قاتل هذا الغلام علي فمكث ما شاء الله. فظن أنه ليس خلفه، فقرأ: ﴿ وبدا لهمْ من الله ما لمْ يكُونوا يحتسبُونَ ﴾. [الزمر: ٤٧] فخرّ ميّتاً وتجوّز أبوه في القراءة. وأُتيت أمُّه فقيل لها: أدركيه. فجاءت فرشّت عليه ماءً، فإذا هو ميّت رحمه الله.

٧٩ - [توبة بشر بن الحارث الحافي] (١)

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ، أنا حمد بن أحمد قال : سمعت عبد الله ابن محمد بن جعفر يقول : سمعت عبد الله بن محمد يقول : سمعت محمد ابن الدينوريّ يقول : سمعت بشر بن الحارث وسُئِلَ : ما كان بدء أمرك ، لأنّ اسمك بين الناس كأنه اسم نبيّ ؟ قال : هذا من فضل الله، وما أقول لكم ؟ كنت رجلاً عَيَّاراً (٢) صاحبَ عصبيّة ، فجزْت يوماً، فإذا أنا بقرطاس (٣) في الطريق ، فرفعته فإذا فيه : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ﴾ . فمسحتَه وجعلتُه في جيبي . وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما . فذهبت إلى العطّارين فاشتريت بهما

---

(١) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال المروزي أبو نصر الحافي الزاهد المشهور (١٥٠ - ٢٢٨ هـ) نزيل بغداد ، ثقة قدوة، له أخبار في الزهد والورع ،سكن بغداد وتوفي بها .

انظر ترجمته في « حلية الأولياء » ٣٣٦/٨ « وفيات الأعيان » ١١٢/١ « صفة الصفوة» ١٨٣/٢ «شذرات الذهب» ٦٠/٢ «تاريخ بغداد» ٦٧/٧ - ٨٠ «البداية والنهاية» ٢٩٧/١٠ .

(٢) يقال : رجل عيّار : إذا كان كثير التطواف والحركة ذكياً . والعرب تمدح بالعيار وتذمها. يقال : غلام عيّار نشيط في المعاصي،وغلام عيار نشيط في طاعة الله تعالى.

(٣) القرطاس : الصّحيفة الثابتة التي يكتب فيها ، ومنه قوله تعالى في سورة [الانعام : ٧] . (ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس) أي في صحيفة ، وكذلك قوله تعالى في سورة [الأنعام : ٩١] (تجعلونه قراطيس) أي صحفاً .

غالِيَةً [1] . ومسحتـه في القرطاس . فنمت تلك الليلة ، فرأيت في المنام كأن قائلا يقول : يا بشر بن الحارث ! رفعت اسمنا عن الطريق وطيّبتَه ، لأُطيِّبنَّ اسمك في الدنيا والآخرة ! ثمّ كان ما كان .

وحُكي أن بشراً كان في زمن لهوه في داره ، وعنده رفقاؤه يشربون ويطيبون . فاجتاز بهم رجل من الصالحين ، فدقّ الباب . فخرجت إليه جارية ، فقال : صاحب هذه الدار حرّ أو عبد ؟ فقالت : بل حرّ ! فقال : صدقتِ ، لو كان عبداً لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب . فسمع بشر محاورتهما فسارع إلى الباب حافياً حاسراً وقد ولىَّ الرجل . فقال للجارية : ويحكِ ! من كلّمكِ على الباب ؟ فأخبرتْه بما جرى . فقال : أيّ ناحية أخذ الرجل ؟ فقالت : كذا ، فتبعه بشر حتى لحقه ، فقال له : يا سيدي ! أنت الذي وقفتَ بالباب وخاطبتَ الجارية ؟ قال : نعم . قال : أعد عليّ الكلام . فأعاده عليه . فمرّغ بشر خدَّيه على الأرض وقال : بل عبدٌ ! عبدٌ ! ثمّ هام على وجهه حافياً حاسراً حتى عُرف بالحفاء . فقيل له : لِمَ لا تلبس نعلاً ؟ قال: لأنّي ما صالحني مولاي إلا وأنا حافٍ . فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات .

* * *

---

(١) الغالية : نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعُود ودُهن وهي غير معروفة . يقال : أول من سماها بذلك سليمان بن عبد الملك ، ويقال : تغلّلت وتغلّفت وتغلّيتُ ، كله من الغالية ، والتغلف بها : التلطخ .

أنبأنا الشيخ أبو الفرج [1] قال: أنا محمد بن عبدالله بن حبيب، أنا علي ابن عبد الله بن أبي صادق، ثنا محمد بن عبد الله بن باكويه، قال: حدّثني مفرّج بن الحسين الصعيديّ قال: حدثتني فاطمة بنت أحمد أخت أبي عليّ الروذباريّ [2]، قالت:

كان ببغداد عشرة فتيان معهم عشرة أحداث. فوّجهوا واحداً من الأحداث في حاجة لهم، فابطأ، فحردوا عليه. فجاء وهو يضحك، وبيده بطيخة. فقالوا له: تبطىء وتجيء وأنت تضحك؟! فقال: جئتُكم بأُعجوبة، وضع بشر يده على هذه البطيخة فاشتريتها بعشرين درهماً. فأخذ كلّ واحد منهم يقبّلها ويضعها على عينه. فقال واحد منهم: بأيّ شيء بلغ بشر هذه المرتبة؟ فقالوا: بالتقوى: فقال: هو يُشهدكم أنه تائب إلى الله تعالى، فقال القوم كلّهم مثله. ويقال: إنهم خرجوا إلى طرسوس [3] فاستُشهدوا كلّهم — رحمة الله عليهم.

* * *

(١) هو ابن الجوزي

(٢) أبو علي الروذباري، هو محمد بن أحمد بن القاسم بن منصور بن شهريار بن مهر ذاذاز بن فرغندد بن كسرى أبو علي الروذباري من أهل بغداد، سكن مصر ومات بها، صحب أبا القاسم الجنيد، وأبا الحسن النوري، وأبا حمزة، وحسناً المسوحي ومن في طبقتهم من مشايخ بغداد، وصحب بالشام ابن الجلاء، وكان عالماً متصوفاً، حافظاً للحديث، من كلامه: لا رضى لمن لا يصبر، ولا كمال لمن لا يشكر، وبالله وصل العارفون إلى محبته وشكروه على نعمته. توفي رحمه الله سنة (٣٢٢ هـ).

(٣) طرسوس بوزن قربوس: مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم وقد خرج منها جماعة من أهل الفضل.

أنبأنا الإمام الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي (١) قال: أنا أبو الحسين بن الطيوري، أنا أبو القاسم عبد العزيز بن أحمد بن الفضل، أنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن بن جهضم، ثنا عليّ بن هارون، ثنا محمد بن مخلد قال: حدثني أبو الفتح بن مخرق، قال:

تعلق رجل بامرأة من بنات الشام فتعرّض لها بيده سكين، لا يدنو منه أحد إلا عقره. وكان الرجل شديد البدن. فبينا الناس كذلك، والمرأة تصيح من يده، اذ مرّ بشر بن الحارث؛ فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل. فوقع الرجل إلى الأرض، ومضى بشر. فدَنوا من الرجل وهو يرشح عرقاً كثيراً؛ ومضت المرأة بحالها. فسألوه: ما حالك؟ فقال: ما أدري، ولكني حاكّني شيخ وقال: إن الله ناظر إليك وإلى ما تعمل! فضعفت لقوله قدَمي وهبتُه هيبةً شديدة، لا أدري مَن ذاك الرجل. فقالوا له: ذاك بشر بن الحارث. فقال: واسوءتاه! كيف ينظر إليّ بعد اليوم؟ وحُمَّ الرجل من يومه، ومات اليوم السابع.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن سِلَفة (بكسر السين وفتح اللام) الأصبهاني، صدر الدين أبو طاهر السلفي (٤٧٨ - ٥٧٦ هـ) حافظ مكثر، من أهل أصبهان، رحل في طلب الحديث، وكتب تعاليق وأمالي كثيرة، وبنى له الأمير العادل (وزير الظافر العبيدي) مدرسة في الاسكندرية سنة (٥٤٦ هـ) فأقام بها إلى أن توفي فيها، له معجم مشيخة أصبهان، ومعجم شيوخ بغداد، وغيرهما

٨٠ - [توبة تاجر من تجار بغداد من الوقيعة في الناس]

أنبأنا محمد ، قال: أنا أحمد ، قـــال : أخبرني محمد بن خفيف فيما كتب إليَّ قال : حدثني عبد الله بن الفضل ، حدثني أبو عبد الله القاضي قال : حدّثني أبي ، قال :

كان عندنا ببغداد رجل من التجار صديق لي ، وكان كثيراً ما أسمعه يقع في الصوفيّـة . قال ، فرأيته بعد ذلك يصحبهم ، وأنفق عليهم جميع ما ملك . قال : فقلت له : أليس كنت تبغضُـهم ؟ قال : فقال لي: ليس الامر على ما توهمتُ . قلت له : كيف ؟ قال : صليت الجمعـة يوماً من الأيام ، وخرجت فرأيت بشراً الحافي يخرج من المسجد مسرعاً . قال : فقلت في نفسي : انظر الى هذا الرجل الموصوف بالزهد ، ليس يستقر في المسجد ! قال : فتركت حاجتي ، فقلت : انظر أين يذهب . قال : فتبعته فرأيته تقدّم إلى الخباز واشترى بدرهم خبز الماء . قال : قلت: انظر إلى هذا الرجل يشتري خبز الماء ! قال: فتقدّم إلى الشوّاء فأعطاه درهماً وأخذ شواءً ؛ فزادني عليه غيظاً . قال : وتقـدّم إلى الحلاويّ واشترى فالُوذجاً [1] بدرهم . فقلت في نفسي : والله ِ لأُنغِـصَـنَّ عليه

---

(١) كلمة فارسية معربة ، تطلق على نوع من الحلواء. قال في « التاج »: والفالوذ : حلواء معروف ، وهو الذي يؤكل يسوّى من لب الحنطة ، فارسي معرب . قال شيخنا: الحلواء لابد أن تختم بالهاء على أصل اللسان الفارسي، واذا عربت أبدلت الهاء جيماً، فقالوا: فالوذج . قلت :والذي في «الصحاح» : الفالوذ والفالوذق معربان . قال يعقوب: ولا يقال:=

حين يجلس ويا كل ! قال: فخرج إلى الصحراء ، وأنا أقول : يريـــد الخضرة والماء . قال : فما زال يمشي إلى العصر وأنا خلفه . قال : فدخل قرية ، وفي القرية مسجد وفيه مريض . قال : فجلس عند رأسه وجعل يلقمه . قال : فقمتُ لأنظرَ القرية . قال : فبقيت ساعة ، ثمّ رجعت فقلت للعليل : أين بشر ؟ قال : ذهب إلى بغداد . قال : فقلت : وكم بيني وبين بغداد ؟ فقال : أربعون فرسخاً [1] . فقلت : إنا لله وإنا اليه راجعون ! أيْش [2] عملت بنفسي وليس معي ما أكتري ولا أقدر على المشي ! قال : اجلس حتى يرجع . فجلست إلى الجمعة القابلة . قال : فجاء بشر في ذلك الوقت ومعه شيء يا كلُ المريض . فلما فرغ ، قال له العليل : يا أبا نصر [3] ! هذا رجل صحبك من بغداد وبقي عندي منذ الجمعة ، فرُدَّه . قال: فنظر إليَّ كالمُغضَب ، وقال: لِمَ صحبتَني؟ قال : فقلت : أخطأتُ . قال لي : قم امشِ . قال : فمشيت إلى قرب المغرب . قال : فلما قربنا ، قال لي : أين محلتك من بغداد ؟ قلت : في موضع كذا . قال : اذهب ولاتعد . قال : فتبتُ إلى الله ـ عزوجل ـ وصَحِبتُهم ، وأنا على ذلك .

= الفالوذج . وفي « اللسان » : الفولاذ والفالوذ : مصاص الحديد المنقى من خَبَثه ، ويطلق أيضاً على نوع من الحلواء يؤكل ، وأصل الكلمة بولاد ، وأما الفالوذق ، فاسم الحلواء فقط ، وهو معرب بالودة .

(١) الفرسخ : ثلاثة أميال .

(٢) بمعنى أي شيء .

(٣) هي كنية بشر الحافي .

٨١ [توبة أبي عبد ربّ](١)

أخبرنا محمد ، قال: ثنا حمد ، أنا أحمد ، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد ، ثنا الحسن بن محمد، ثنا أبو زرعة، ثنا إبراهيم بن العلاء بن الضحاك، ثنا الوليد بن مسلم(٢) . عن ابن جابر(٣) :

أنّ أبا عبد ربّ كان من أكثر أهل دمشق مالاً ، فخرج إلى أذربيجان(٤) في تجارة ، فأمسى إلى جانب مرج ونهر فنزل به . قال أبو عبد ربّ : فسمعت صوتاً يكثر حمد الله في ناحية من المرج ، فاتبعته . فوافيت رجلاً في حفير من الأرض ملفوفاً في حصير . فسلمت عليه ، وقلت :

(١) هو أبو عبد رب الدمشقي الزاهد ، ويقال : أبو عبد ربه ، أو عبد رب العزة قيل : اسمه عبد الجبار ، وقيل : عبد الرحمن . وقيل : قسطنطين ، وقيل : فلسطين ، وهو غلط . توفي سنة (١١٢ هـ) رحمه الله .

(٢) هو الوليد بن مسلم القرشي مولى بني أمية . وقيل : مولى بني العباس أبو العباس الدمشقي ، ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية ، أي يدلس تدليس التسوية . وتدليس التسوية أن يسقط من السند غير شيخه لكونه ضعيفاً أو صغيراً ، ويأتي بلفظ محتمل أنه عن الثقة الثاني تحسيناً للحديث وهو شر أقسام التدليس ، توفي رحمه الله آخر سنة أربع أو أول سنة خمس وتسعين ومائة .

(٣) ابن جابر : هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأردي أبو عتبة الشامي الداراني ثقة ، توفي رحمه الله سنة مائة وبضع وخمسين .

(٤) أذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وفتح الراء وكسر الباء وياء ساكنة وجيم ، وقد فتح قوم الذال وسكنوا الراء ، ومدّ آخرون الهمزة مع ذلك . وحد أذربيجان من برذعة مشرقاً الى أذربيجان مغرباً ، ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم ، ومن مشهور مدائنها تبريز .

من أنت يا عبد الله ؟ قال : رجل من المسلمين . قال : قلت : ما حالك هذه ؟ قال : حال نعمة يجب عليّ حمد الله فيها . قال : قلت : كيف وإنما أنت في حصير ؟ قال : ومالي لا أحمد الله أنْ خلقني فأحسن خلقي وجعل مولدي ومنشئي في الإسلام ، وألبسني العافية في أركاني ، وستر عليّ ما أكره ذِكره أو نَشْرَه ؟! فمَن أعظم نعمة ممن أمسى في مثل ما أنا فيه ؟ قال : قلت : رحمك الله ! إن رأيت أن تقوم معي إلى المنزل فإنا نزول على النهر . قال : ولمه ؟ قلت : لتصيب من الطعام ولنعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير . قال : ما بي حاجة .

قال الوليد : فحسبت أنه قال : إنَّ لي في أكل العشب كفاية عما قال أبو عبد ربّ ، قال : فأردته على أن يتبعني ، فأبى ، قال : ما لي به من حاجة .

قال أبو عبد ربّ : فانصرفتُ وقد تقاصرتْ إليَّ نفسي ومقتُّها أني لم أخلِّف بدمشق رجلاً في الغنى يكاثرني وأنا ألتمس الزيادة فيه . وقلت : اللهم ! إني أتوب إليك من سوء ما أنا فيه . قال : فبتّ ولم يعلم إخواني بما قد أجمعت به . فلمّا كان من السَّحر رحلوا كنحو من رحيلهم فيما مضى ، وقدّموا إليَّ دابتي فركبتها وصرفتها إلى دمشق . وقلت : ما أنا بصادق التوبة إن أنا مضيت في متجري هذا ، فسألني القوم فأخبرتهم ، وعاتبوني على المضي فأبيت .

قال ابن جابر : فلما قدم تصدق بصامت ماله [1] وتجهز به في سبيل الله . قال ابن جابر : فحدّثني بعض إخواني قال : ماكست [2] صاحب عبـــاءة في عباءة ، أعطيته ستة وهو يقول : سبعة . فلما أكثرت قال : ممن أنت ؟ قلت: من أهل دمشق . قال : ما تشبه شيخاً وفد عليّ أمس ، يقال له : أبو عبد ربّ اشترى مني سبعمائة كساء بسبعة سبعة؛ ما سألني أن أضع له درهماً ، فسألني أن أحملها له،فبعثت أعواني ؛ فما زال يفرقها بين فقراء الجيش،فما دخل إلى منزله منها بكساء .

قال ابن جابر : وباع عقدة وتصدق بها ، وباع داره بمال عظيم وفرّقه؛ وكان مع ذلك موته . فما وجدوا منها إلا قدر ثمن الكفن . وكان يقول: والله لو أنّ نهركم هذا – يعني بردى – سال ذهباً وفضة ، من شاء خرج إليه فأخذ منه ، ما خرجت إليه ؛ ولو قيل : من مسّ هـــذا العمود مات ، لسرني أن أقوم إليه شوقاً إلى الله وإلى رسوله .

---

(١) الصامت : الذهب والفضة ، يقال : فلان ماله صامت ولا ناطق ، الصامت الذهب والفضة ، والناطق : الحيوان : الابل ، والغنم ،أي : ليس له شيء . والمعنى هنا: تصدق بذهب ماله وفضته .

(٢) المماكسة في البيع : انتقاص الثمن واستحطاطه . ومكس في البيع يمكس بكسر الكاف،مكساً، ومكس الشيءُ :نقص. ومُكِسَ الرجل:نقص في بيع ونحوه،وتماكس البيّعان: تشاحا . وماكس الرجل مماكسة ومكاساً : شاكسه .

٨٢ - [نوبة القعنبي] (١)

أنبأنا الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي قال : أنا أبو عليّ أحمد ابن محمد بن أحمد البرداني ، أنا الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرىء، أنا هلال بن محمد الحفّار ، ثنا أبو العبّاس أحمد بن محمد بن الصباح البزاز قال : لم يرو القعنبيّ عن شعبة (٢) غير هذا الحديث الواحد وله شرح : حدثني بعض القضاة عن بعض ولد القعنبيّ بالبصرة ، قال :

كان أبي يشرب النبيذ ويصحب الأحداث . فدعاهم يوماً ، وقد قعد على الباب ينتظرهم . فمرّ شُعبة على حماره والناس خلفه يهرَعون . فقال : من هذا ؟ قيل : شعبة . قال : وأيْش شعبة؟ قالوا : محدّث .

فقام إليه وعليه إزار أحمر ، فقال له : حدثني . فقال له : ما أنت من أصحاب الحديث فأُحدّثك . فأشهر سكينه وقال : تحدّثني أو

(١) هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي من رجال الحديث الثقات من أهل المدينة ، سكن البصرة وتوفي فيها أو بطريق مكة سنة (٢٢١ هـ) رحمه الله . روى عنه البخاري ومسلم .

(٢) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولاهم الواسطي البصري أبو بسطام (٨٢ - ١٦٠ هـ) من أئمة رجال الحديث حفظاً ورواية وتثبتاً ، ولد ونشأ بواسط وسكن البصرة إلى أن توفي . قال الإمام أحمد : هو أمة وحده في هذا الشأن ، وقال الشافعي :لولا شعبة ماعرف الحديث بالعراق ، وكان عالماً بالأدب والشعر ، له «الغرائب» في الحديث .

أجرحك؟ فقال له : حدثنا منصور عن ربعي عن أبي مسعود [1] قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا لم تستحي فاصنع مـــا شئت » [2] فرمى

(١) في المطبوعة : عن ابن مسعود ، وهـــو تحريف . صوابه : عن أبي مسعود . وهو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عطية بن جدارة بن عوف بن الحارث ابن الخزرج الأنصاري أبو مسعود البدري الصحابي الجليل ، مشهور بكنيته ، اتفقوا على أنه شهد العقبة ، واختلفوا في شهوده بدراً ، فقال الأكثر : نزلها فنسب إليها ، وجزم البخاري بأنه شهدها ، توفي رضي الله عنه بعد سنة أربعين هجرية ، قيل بالكوفة ، وقيل بالمدينة .

(٢) هذا الحديث رواه البخاري في « صحيحه » في ذكر بني اسرائيل من أواخر حديث الأنبياء ، وكتاب الأدب : باب « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » ورواه أبو داود في « سننه » رقم (٤٧٩٧) وابن ماجـــه رقم (٤١٨٣) كلهم من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه، ورواه أحمد في « المسند » ٥/٢٧٣ من حديث أبي مسعود و ٥/٣٨٣ من حديث حذيفة رضي الله عنه .

وقوله صلى الله عليه وسلم في أول الحديث: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى» يشير الى أن هذا مأثور عن الانبياء المتقدمين ، وان الناس تداولوه بينهم قرناً بعد قرن ، وهذا يدل على أن النبوة المتقدمة جاءت بهذا الكلام ، وأنه اشتهر بين الناس حتى وصل إلى أول هذه الامة .

وقوله : « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » . في معناه قولان . احدهما : أنـــه ليس بمعنى الأمر أن يصنع ما شاء ، ولكنه على معنى الذم والنهي عنه ، وأهل هذه المقالة لهم طريقان . أحدهما : أنه أمر بمعنى التهديد والوعيد ، والمعنى . إذا لم يكن حياء فاعمل ما شئت ، فالله يجازيك عليه ، كقوله تعالى . (اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير) [فصلت : ٤٠] وقوله : (فاعبدوا ما شئتم من دونه) [الزمر : ١٥]

والطريق الثاني: أنه أمر ومعناه الخبر ، والمعنى : أن من لم يستحي صنع ما شاء ، فان المانع من فعل القبائح هو الحياء ، فمن لم يكن له حياء انهمك في كل فحشاء ومنكر .

والقول الثاني : أنه أمر بفعل ما يشاء على ظاهر أمره ، وأن المعنى، إذا كان الذي=

سكينه ورجع إلى منزله . فقام إلى جميع ما كان عنده من الشراب فهَراقه[1] ، وقال لأمّه : الساعةأصحابي يجيئون ، فأدْخليهم وقدّمي الطعام إليهم، فإذا أكلوا فخبّريهم بما صنعتُ بالشراب حتى ينصرفوا . ومضى من وقته إلى المدينة ، فلزم مالك بن أنس[2] ، فاثر عنه . ثم رجع إلى البصرة وقد مات شعبة ، فما سمع منه غير هذا الحديث .

يريد فعله مما لايستحيي من فعله لا من الله ولامن الناس فاصنع منه حينئذ ماشئت، ففي= الحديث اشارة الى تعظيم أمر الحياء ، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الحياء من الايمان كما في « الصحيحين » عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء ،فقال:« دعه فان الحياء من الايمان » وفي « الصحيحين » أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الحياء شعبة من الايمان » وفي « الصحيحين » عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الحياء لا يأتي إلا بخير » وفي رواية لمسلم « الحياء خير كله » أو قال : « الحياء كله خير » . لانه يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها ، وهو من الخصال التي يحبها الله تعالى ويحب المتصفين بها .

(١) مثل أراقه وزنا ومعنى ، أي صبّه . يقال : هراق الماء يُهَريقه بفتح الهاء هِراقة بكسرها، وأهرقه يُهْريقه إهراقا، وأهراقه يهريقه اهرياقاً ، فهو مُهريق ، وذلك مُهَراق ومُهْراق . وأصله : أراقه يريقه إراقة .

(٢) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري أبو عبد الله (٩٣ - ١٧٩ هـ) إمام دار الهجرة وأحد الائمة الأربعة عند أهل السنة واليه تنسب المالكية ، كان صلباً في دينه ، بعيداً عن الملوك والامراء ، من مؤلفاته « الموطأ » و « رسالة في الوعظ » و « كتاب في المسائل » و « رسالة في الرد على القدرية » وغيرها ، أخباره كثيرة ، مولده ووفاته في المدينة ، رحمه الله تعالى .

٨٣ - [توبة عكبر الكردي]

قرأتُ في « الملتقط »(١) عن بشر بن الحارث الحـــافي أنه قال : اعترضت عكبر الكرديّ ، فقلت له : أيش كان أصل رجوعك إلى الله تعالى؟ فقال: كنت في بعض الدحال(٢) أقطع الطريق، وكان فيها ثلاث نخلات نخلة منهن لا تحمل . وإذا بعصفور يأخذ من حمـل النخلة التي تحمل رطبة فيدعها في التي لا تحمل . فلم أزل أعدّ عليه عشر مرار ؛ فخطر بقلبي : قم وانظر ! فنهضتُ ، فإذا في رأس النخلة حية عمياء - يعني ، وهو يضع الرطبات في فيها .

فبكيت ، وقلت: سيدي ! هذه حية قد أمر نبيُّك بقتلها، أعميتَها وأقمت لها عصفوراً يقوم لها بالكفاية ؛ وأنا عبدك ، أقر بأنك واحد ، أقمتني لقطع الطريق وإخافة السبيل ؟! فوقع في قلبي : يا عكبر ! بابي مفتوح . فكسرتُ سيفي، ووضعتُ التراب على رأسي ، وصحت : الإقالة ! الإقالة ! فإذا بهاتف يقول : قد أقلناك ! قد أقلناك ! فانتبه رفقائي ، فقالوا : ما لك ؟ قد أزعجتنا ! فقلت : كنت مهجوراً ، وقد صُولحت . فقالوا : ونحن أيضاً كنا مهجورين ، وقد صولحنا . فرمينا

---

(١) هو لأبي الفضل محمد بن أبي جعفر الأستاذ المنذري الهروي المتوفى سنة (٣٢٩هـ)

(٢) الدحال جمع دحْل ، وهو نقب ، ضيق فمه ، متسع أسفله حتى يمشى فيه وربما أنبت السدر ، ويجمع على أدحُل ، وأدحَال ، ودحُول ، ودحلان .

ثيابنا وأحرمنا كلنا . فما زلنا كذلك ثلاثـــة أيام نصيح ونبكي ونحن سكارى حيارى. فوردنا اليوم الثالث على قرية، وإذا بامرأة عمياء جالسة على باب القرية . فقالت : فيكم عكبر الكردي ؟ فقال أحدنا : نعم ، لك حاجة ؟ قالت : نعم ، لي ثلاث ليـال أرى النبي ﷺ في النوم ، وهو يقول : أعط عكبر الكردي ما خلّفـه ولدك . فأخرجت لنا ستين أشقـة . فائتزرنا ببعضها ودخلنا البادية إلى أن أتينا البيت .

٨٤- [توبة صدقة بن سليمان الجعفري]

وذكر ابن أبي الدنيا [1] قال : حدثني محمد بن الحسين ، ثنا خالد ابن عمرو القرشي ، ثنا صدقة بن سليمان الجعفري ، قال :

كانت بي شرة سمجـــة [2] ، فمات أبي ، فأُبتُ [3] وندمتُ على

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا القرشي الأموي مـــولاهم البغدادي أبو بكر (٢٠٨ - ٢٨١ ﻫ) حافظ للحديث ، مكثر من التصانيف ، أدب الخليفة المعتضد العباسي في حداثته ، ثم أدب ابنه المكتفي، له تصانيف كثيرة . منها «الفرج بعد الشدة » و « مكارم الأخلاق » و « ذم الملاهي » و « الشكر » و «قرى الضيف» و « العقل وفضله » و « ذم الدنيا » و « ذم المسكر » و « الرقة والبكاء » و « قضاء الحوائج » وغيرها ، وكان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طباع الناس ، مولده ووفاته ببغداد .

(٢) في المطبوعة : كان لي شرة، وشرة الشباب بكسر الشين : نشاطه . وسمجة ، أي قبيحة ، يقال : سمج ككرم ، سماجة فهو سمْج وسمِج وسميج ، ويجمع على سمّاج .

(٣) أي رجعت

ما فرّطت[1] ، ثم زللت زلة[2] فرأيت أبي في المنام ، فقال : أي بنيّ ! ما كان أشدّ فرحي بك وأعمالك تُعرض عليّ فنشبهها بأعمال الصالحين ! قال خالد : وكان بعد ذلك قد خشع ونسك . وكنت أسمعه يقول في دعائه في السحر - وكان لنا جاراً بالكوفة - : اللهم أسألك إنابة[3] لا رجعة فيها ولا حور[4] يا مصلح الصالحين وهادي المضلين وراحم المذنبين

٨٥ - [توبة ذي النون المصري] [5]

أنبانا الشيخ أبو الفرج ، أنا محمد بن عبد الله بن حبيب ، أنا علي ابن عبد الله بن أبي صادق ، ثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن باكويه ، قال: سمعت الحسن بن علويه ، قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول:

لما استأنستُ بذي النون المصريّ قلت : أيها الشيخ ! ما كان بدء شأنك ؟ قال : كنت شاباً صاحب لهو ولعب . ثم تبتُ وتركت ذلك ، وخرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام ومعي بُضيعة[6] فركبت في

(١) أي قصرت .

(٢) أي أخطأت خطيئة ، والزلة : الخطيئة والسقْطة .

(٣) أي توبة .

(٤) أي ولا نقص .

(٥) هو ثوبان بن ابراهيم الإخميمي المصري أبو الفياض ، أو أبو الفيض المعروف بذي النون المصري ، أحد الزهاد والعباد المشهورين من أهـل مصر ، نوبي الأصل من الموالي ، كانت له فصاحة وحكمة وشعر ، وهو أول من تكلم بمصر في الاحوال ومقامات الولاية ، فأنكر عليه عبد الله بن الحكم ، واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة ، فاستحضره اليه وسمع كلامه ثم أطلقه فصار الى مصر ، وتوفي بجيزة مصر سنة (٢٤٥ هـ) .

(٦) تصغير بضاعة .

المركب مع تجار من مصر ، وركب معنا شابّ صبيح [1] كأن وجهه يشرق . فلما توّسطنا فَقَدَ صاحب المركب كيساً فيه مال . فأمر بحبس المركب ، ففتّش من فيه وأتعبهم . فلما وصلوا إلى الشاب ليفتشوه، وثب وثبةً من المركب حتى جلس على أمواج البحر، وقام له الموج على مثال سرير ، ونحن ننظر إليه من المركب . وقال : يا مولاي ! إنّ هؤلاء اتهموني ؛ وإني أقسم يا حبيب قلبي ، أن تأمر كلّ دابة في هذا المكان أن تخرج رأسها وفي أفواهها جوهر .

قال ذو النون : فما تمّ كلامه حتى رأينا دواب البحر أمام المركب قد أخرجت رؤوسها، وفي فم كل واحدة منها جوهرة تتلألأ وتلمع . ثم وثب الشاب من الموج إلى البحر وجعل يتبختر على متن الماء [2] ويقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] ! حتى غاب عن بصري : فهذا الذي حملني على السياحة. وذكرت قول النبي ﷺ : «لا يزال في هذه الأمة ثلاثون ، قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن ؛ كلما مات واحد أبدل الله مكانه واحداً » [3] .

---

(١) أي جميل .

(٢) على ظهر الماء ، أي سطحه ووجهه .

(٣) رواه احمد في « المسند » ٥/٣٢٢ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه بلفظ « الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل ابراهيم خليل الرحمن عز وجل ، كلما مات رجل أبدل الله تبارك وتعالى مكانه رجلا » قال عبد الله بن الامام أحمد: قال أبي: إنه منكر، لأن في سنده الحسن بن ذكوان .

قال فيه عبد الله بن أحمد نقلاً عن أبيه : أحاديثه أباطيل ، وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» : صدوق يخطىء وكان يدلس . =

٨٧ - [توبة سكران]

قال ابن باكويه : وحدثنا بكران بن أحمد قال : سمعت يوسف ابن الحسين (١) يقول : كنت مع ذي النون المصريّ على شاطىء غدير فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شطّ الغدير واقفة . فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير ، فركبَتْها العقرب فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت . فقال ذو النون : إن لهذه العقرب لشأناً ، فامض بنا ، فجعلنا نقفو أثرها ، فإذا رجل نائم سكران ، وإذا حية قد جاءت فَصَعِدَت من ناحية سرّته إلى صدره وهي تطلب أُذُنَهُ ، فاستحكمت العقرب من الحية فضربتْها : فانقلبت وانفسخت . ورجعت العقرب إلى الغدير ، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت ، فحرك ذو النون الرجل

= وقال الحافظ السخاوي في « المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الالسنة » : حديث الأبدال له طرق عن أنس رضي الله عنه بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة . اهـ . ولكنها بمجموعها تدل على أن لهذا الحديث أصلاً ، ويكون حسنا بمجموع طرقه ورواياته ولكن دون تحديد بمكان ولا عدد معين ، ومما يدل على ذلك أن الامام الشافعي كان يقول في بعضهم : كنا نعده من الابدال ، وأن البخاري قال في غيره : كانوا لا يشكون أنه من الأبدال ، وكذا وصف غيرهما من النقاد والحفاظ والأئمة غير واحد بأنهم من الأبدال . وقد ألف الحافظ السخاوي في الأبدال جزءاً سماه « نظم اللآل في الكلام على الأبدال » وكذا الحافظ السيوطي رسالة سماها : « الخبر الدال على الأبدال » وانظر «المقاصد الحسنة» للسخاوي ، و «كشف الخفاء» للعجلوني .

(١) هو يوسف بن الحسين بن علي أبو يعقوب الرازي . زاهد صوفي من العلماء والأدباء ، كثير السياحة ، وفيهم من يصفه بالزندقة ، وهو من أقران ذي النون المصري توفي سنة (٣٠٤) هـ .

النائم ، ففتح عينيه ، فقال : يا فتى ! انظر مما نجّاك الله : هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التي أرادتك . ثم أنشأ ذو النون يقول :

يا غافِلاً وَالجليلُ يَحرُسُهُ ... مِنْ كلّ سُوءٍ يدِبُّ في الظُّلَمِ
كيفَ تَنامُ العُيُونُ عن ملك ... تأتِيهِ مِنْهُ فَوَائِدُ النِّعَمِ

فنهض الشاب وقال : إلهي ! هذا فعلك بمن عصاك ، فكيف رفقك بِمنْ يطيعك ؟ ثم ولّى ، فقلت : إلى أين ؟ قال : إلى البادية ، واللهِ لا عدتُ إلى المُدُن أبداً !

٨٨ - [توبة المرتعش] (١)

أنبأنا أبو عليّ ضياء بن أبي القاسم ، أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي ، أنا هناد بن ابراهيم ، قال : سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت جدي يقول :

كان المرتعشُ دهقان (٢) نيسابورَ يذكر بدء أمره أنه كان جالساً على باب داره . قال : فإذا أنا بشاب عليه مرقعة وعلى رأسه خرقة. فأشار إليّ متعرضاً إشارة لطيفة . فقلت في نفسي : شابٌ جلدٌ صحيح

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش النيسابوري من محلة الحيرة ، صحب أبا حفص الحداد ، وأبا عثمان الحداد ، ولقي الجنيد وصحبه ، وأقام ببغداد حتى صار أحد مشايخ العراق وأئمتهم ، وكان يقيم في مسجد الشونيزية ، مات ببغداد سنة (٣٢٨ هـ) .

(٢) الدِهقان والدُهقان : التاجر ، فارسي معرب ،

الجسم ؛ ولم أردّ عليه جوابه . فصاح الشاب صيحة هالتني وقال : أعوذ بالله مما خطر في سرك ! قال المرتعش : فغُشي عليَّ ؛ فخرجت جارية لنا ورأتني ، واجتمع حولي خلق . فما أفقت إلا بعد حين . فلما أفقت لم أرَ الشاب ، فتحسرت على ما كان مني . فرأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام ، وهو يقول : إن الله – عز وجل – لا يجيب سؤالَ مانع سائلهُ . قال المرتعش : فانتبهت وفرقت مانالت يدي ؛ وخرجت فسمعت وفاة والدي وأخي بعد خمس عشرة سنة ؛ وما رجعت إلى نيسابور بعد ذلك . وصار الشاب يتبعني أحياناً ، فما فارقني ولا تفارقنا إلى اللقاء .

٨٩ - [توبة عبد الرحمن القس](١)

أخبرنا أبو بكر أحمد بن المقرَّب بن الحسين الكرخي ، أنا طراد بن محمد الزينبي ، أنا أبو الحسين بن بشران ، أنا أبو علي بن صفوان ، أنا عبد الله بن محمد ، حدثني أبو زيد النُّمَيري(٢) قال: حدثني خلاد بن يزيد(٣) قال : سمعت شيوخنا من أهل مكة – منهم سليمان – يَذْكُرون :

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله – ويقال : عبد الله بن عبد الرحمن – بن أبي عمار الجشمي المكي العابد التابعي الذي كان هوي سلامة المغنية ثم أناب ولقب بالقس لعبادته .

(٢) هو عمر بن شبة بن عبيدة بن زيد بن رائطة النميري أبو زيد بن أبي معاذ البصري النحوي الأخباري نزيل بغداد ، صدوق .

(٣) هو خلاد بن يزيد الباهلي المعروف بالأرقط ، صدوق جليل .

أن القَسّ كان عند أهل مكة من أحسنهم عبادةً ، وأظهرهم تبتلاً ، وأنه مرّ يوماً بسلاَّمــة جارية كانت لرجل من قريش [(١)] ، فسمع غِنَاءها . فوقف يستمع ، فرآه مولاها فقال : هل لك أن تدخل فتسمع؟ فتأبَّى عليه ، فلم يزل به حتى تسمح وقال : أقعدني في موضع لا أراها ولاتراني . قال : أَفعلُ . فدخل ، فتغنّت ، فأعجبتْه . فقال مولاها: هل لك أن أحوّلها اليك ؟ فتأبى ، ثم تسمح . فلم يزل يسمع غناءها حتى شُغِفَ بها وشُغِفَتْ به ، وعلم ذلك أهل مكة . فقالت له يوماً: أنا والله أُحبُّكَ . قال : وأنا والله أُحِبُّكِ . قالت : وأحب أن أضع فمي على فمك . قال : وأنا والله . قالت : أُحِبُّ أن ألصق صدري بصدرك ، وبطني ببطنك . قال : وأناوالله . قالت : فما يمنعك ؟ فوالله إنّ الموضع لخالٍ . قال : إني سمعتُ الله تعالى يقول : ﴿ الأَخِــلاَّءُ يَـوْمَئذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلا المُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:٦٧]؛ وأنا أكره أن تكون خلة ما بيني وبينكِ تؤول بنا إلى عداوة يوم القيامة. قالت : يا هذا ! أتحسب أنَّ ربي وربك لايقبلنا إذا تبنا إليه ؟ قال: بلى! ولكن لا آمن أن أفاجأ . ثمّ نهض وعيناه تذرفان ، فلم يرجع بعدُ ، وعاد إلى ما كان عليه من النسك .

---

(١) سلاّمة مغنية شاعرة من مولدات المدينة ، نشأت بها وأخذت الغناء عن معبد وطبقته ، فمهرت في الغناء وحذقت الضرب على الأوتار ، وقالت الشعر الكثير ، وشغف بها عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي من قراء مكة الملقب بالقس لكثرة عبادته ، فنسبت اليه وغلب عليها لقبه ، وسمع بها يزيد بن عبد الملك فاشتراها فانتقلت الى دمشق وبقيت عنده إلى أن توفي ولها شعر في رثائه ، توفيت نحو سنة ١٣٠ هـ .

٩٠ - [توبة أبي الحارث الأولاسي] (١)

وروى أبو سعيد (٢) قال : حكى بعضُ الزهـاد قال : قـال لي أبو الحارث الأوْلاسيّ : تدري كيف كان بـدء أمر توبتي ؟ فقلت : لا . فقال : كنت شاباً صبيحاً وضيئاً . فبينا أنا في غفلتي رأيـــت عليلاً مطروحاً على قارعة الطريق . فدنوت منه ، فقلت : هل تشتهي شيئاً ؟ قال : نعم، رمانٌ . فجئتُـه برمانٍ . فلما وضعته بين يديه رفع بصره إليّ وقال : تاب اللهُ عليكَ . فما أمسيتُ حتى تغير قلبي عن كل ما كنت فيه من اللهو ؛ ولزمني خوف الموت ، فخرجتُ عن جميع ما أملك وخرجت أريد الحج ، فكنت أسير بالليل وأختفي بالنهار مخافة الفتنة . فبينا أنا أسير بالليل إذا بقوم على الطريق يشربون ، فلما رأوني ذهلوا ، وأجلسوني وعرضوا عليّ الطعام والشراب . فقلت : أحتاج إلى البول فأرسلوا معي غلاماً ليدلني على الخلاء . فلما تباعدتُ عنهم قلت للغلام : انصرف ، فإني أستحي منك . فانصرف ؛ ووقعتُ في غابة ، فإذا أنا بِسَبُـع ؛ فقلت: اللهم إنك تعلم ما تركتُ ومن ماذا خرجتُ ، فاصرف عني شر هذا السَّبُـع . فولى السَّبُـع ، ورجعتُ إلى الطريق فوصلت إلى مكـَّة . ولقيتُ بها من انتفعت بهم ، منهم أبراهيم بن سعد العلويّ .

---

(١) الأولاسي نسبة إلى حصن على ساحل بحر الشام ، من نواحي طرطوس ، فيه حصن يسمى حصن الزُّهاد

(٢) في المطبوعة : أبو سعد

٩١ - [توبة أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي عن اعتقاد المبتدعة][1]

قرأتُ على الشيخ أبي عبد الله مظفر بن أبي نصر البوّاب وابنه أبي محمد عبد الله بن مظفر ببغداد ، قلت لهما : حدثكما الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن عليّ بن عمر السلاميّ ، قال :

كنتُ أسمع الفقهاء من أصحاب الشافعيّ في «النّظاميّة»[2] يقولون - يعني - : القرآن معنى قائم بالذات ، والحروف والأصوات عبارات ودَلالات على الكلام القديم القائم بالذات . فحصل في قلبي شيء من ذلك حتى صِرْتُ أقول بقولهم موافقةً . وكنتُ إذا صليتُ أدعو الله تعالى أن يوفقني لأحب المذاهب والاعتقادات إليه . فبقيتُ على ذلك مدة طويلة أقول : أللهمّ وفقني لاحبّ المذاهب إليك وأقربها عندك ، فلما كان في أوّل ليلة من رجب سنة أربع وتسعين وأربعمائة رأيتُ في المنام كأني قد جئت إلى مسجد الشيخ أبي منصور محمّد بن أحمد المقرىء الخيّاط[3] في مسجد ابن جردة[4] والناس على باب المسجد

---

(١) هو أبو الفضل محمد بن ناصر بن علي السلامي (٤٦٧ - ٥٥٠ هـ) ويقال له ابن ناصر ، محدث العراق في عصره ، نسبة الى مدينة السلام (بغداد) ومولده ووفاته فيها ، له « الأمالي » في الحديث .

(٢) مدرسة مشهورة في بغداد

(٣) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن عبد الرزاق الشيرازي الأصل ، البغدادي ، الصفار الخياط الحنبلي (٤٠١ - ٤٩٧هـ) مقرىء، من آثاره « المهذب » في القراءات

(٤) ابن جَرَدة : كان من متمولي بغداد ، وإليه نسبت خرابة ابن جردة ببغداد

مجتمعون ، وهم يقولون : إن النبي ﷺ عنـد الشيـخ أبي منصور . فدخلتُ المسجد وقصـدتُ إلى الزاوية التي كان يجلس فيها الشيـخ أبو منصور ، فرأيتُ الشيـخ أبا منصور قد خرج من زاويته وجلس بين يدي شخص ، فما رأيت شخصاً أحسنَ منه على نعتِ النبي ﷺ الذي وُصف لنا ؛ وعليه ثياب ما رأيتُ أشدَّ بياضاً منها ، وعلى رأسه عمامة بيضاء ، والشيـخ أبو منصور مُقْبِلٌ عليه بوجهه . فدخلت فسلمت، فردَّ عليّ السلام ولم أتحقق من الرادُّ عليّ لدهشتي برؤية النبي ﷺ ، وجلستُ بين أيديهما . فالتفتَ إليّ رسول الله ﷺ من غير أن أسأله عن شيء أو أستفتحه بكلام أصلاً ، وقال لي : عليك بمذهب هـذا الشيـخ ، عليك بمذهب هذا الشيـخ ، عليك بمذهب هذا الشيـخ ، ثلاثاً .

قال الحافظ أبو الفضل ؛ وأنا أقسم بالله ثلاثاً ، وأشهد بالله ثلاثاً ، لقد قال لي رسول الله ﷺ ثلاثاً ، ويشير في كل مرّة بيـده اليمنى إلى الشيـخ أبي منصور . قـال : فانتبهتُ وأعضائي ترعد ، فناديتُ والدتي رابعة بنت الشيـخ أبي حكيم الخَبْري (١) وحكيت لهـا ما رأيتُ .

---

(١) هو جده لأمه نسبة إلى « الخَبْر » بفتح فسكون من قرى شيراز بفارس ، وهو عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله بن حكيم الخَبْري الشافعي أبو حكيم أديب لغوي فقيه فرضي حاسب ، تفقه على ابي اسحاق الشيرازي وسمع الحديث من أبي محمد الجوهري وجماعة، توفي (سنة ٤٧٦ هـ)

فقالت : يا بني ! هذا منام وحي [1] ، فاعتمد عليه . فلما أصبحت بكّرتُ إلى الصلاة خلف الشيخ أبي منصور . فلما صلّينا الصبح قصصتُ عليه المنام ، فدمعت عيناه وخشع قلبه . وقال لي : يا بنيَّ ! مذهب الشافعيّ حسن ؛ فتكون على مذهب الشافعي [2] في الفروع، وعلى مذهب أحمد [3] وأصحاب الحديث في الأصول . فقلت له : أيْ سيدي ! ما أريد أن أكون لونين ! وأنا أُشهِدُ الله وملائكته وأنبياءه، وأشهدكَ عليَّ أني منذ اليوم لا أَعتقد ولا أدين الله ولا أعتمد إلاّ على

---

(١) رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام حق ، لأن الشيطان لايتمثل به ، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة ، ولا وحي بعد وفاة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، بل إن النائم إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بشيء في منامه ، يجب عليه أن يعرضه على الشرع الظاهر ، فإن وافقه فهو حق ، وان خالفه فلا يلتفت إليه ، لأنه يكون من خلل في سمع الرائي ، وكذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام يجب أن تكون مطابقة لأوصافه الكريمة ، وقد كان محمد بن سيرين إذا قص عليه أحد أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ، قال : صف لي الذي رأيته ، فإن وصف له صفة لايعرفها ، قال : لم تره ، وقد ورد أن رجلاً قال لابن عباس رضي الله عنهما : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، قال : صفه لي ، قال : ذكرتُ الحسن بن علي فشبهته به ، قال : قد رأيته ، لأن الحسن رضي الله عنه كان يشبه صلى الله عليه وسلم. وانظر « فتح الباري » ١٢ / ٣٣٨ - ٣٤٤ كتاب التعبير - باب من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فانه قد وفى الموضوع حقه .

(٢) هو الامام محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبو عبد الله الشافعي المكي نزيل مصر (١٥٠ - ٢٠٤ ﻫ) أحد الأئمة الأربعه المشهورين، وإليه ينسب المذهب الشافعي .

(٣) هو الامام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي أبو عبد الله نزيل بغداد (١٦٤ - ٢٤١ ﻫ) أحد الأئمة الأربعة المشهورين وإليه ينسب المذهب الحنبلي.

مذهب أحمد في الأصول والفروع. فقبل الشيخ أبو منصور رأسي، وقال: وفقك الله، فقبلت يده.

وقال لي الشيخ أبو منصور: أنا كنتُ في ابتداء أمري [1] شافعياً، وكنتُ أتفقه على القاضي الإمام أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري [2] وأسمع الخلاف عليه. فحضرتُ يوماً عند الشيخ أبي الحسن عليّ بن عمر القزويني [3] الزاهد الصالح لأقرأ عليه القرآن، فابتدأتُ أقرأ عليه القرآن، فقطع عليَّ القراءة مرة أو مرّتين. ثم قال: قالوا وقلنا، وقلنا وقالوا! فلا نحن نرجع إليهم ولا هم يرجعون إلى قولنا؛ ورجعنا إلى عاداتنا؛ فأيّ فائدة في هذا؟ ثم كرر عليَّ هذا الكلام. فقلت في نفسي: والله ما عنى الشيخ بهذا أحداً غيري. فتركت الاشتغال بالخلاف، وقرأت «مختصر أبي القاسم الخرقي» [4] على رجل كان يقرىء القرآن.

---

(١) في المطبوعة: في ابتدائي.

(٢) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري البغدادي أبو الطيب (٣٤٨ - ٤٥٠ هـ) فقيه أصولي جدلي، ولد في آمل طبرستان، وسمع الحديث بجرجان ونيسابور وبغداد، وتولى القضاء، وتوفي في بغداد سنة (٤٥٠ هـ) من تصانيفه «شرح مختصر المزني» في فروع الفقه الشافعي، «والمجرد» و«شرح فروع ابن الحداد» وغيرها.

(٣) هو علي بن عمر بن محمد بن الحسن الحربي البغدادي الشافعي المعروف بابن القزويني أبو الحسن، محدث فقيه، من آثاره مجالس في الحديث وغيره، توفي رحمه الله سنة (٤٤٢هـ)

(٤) في فروع الفقه الحنبلي لمؤلفه عمر بن الحسين بن عبد الله أبي القاسم الخِرَقي نسبة الى بيع الخِرَق، فقيه حنبلي من أهل بغداد، درس على أولاد أحمد بن حنبل، ثم رحل عن بغداد لما ظهر فيها سب الصحابة، توفي رحمه الله بدمشق سنة (٣٣٤هـ) له =

قال الحافظ : ورأيتُ بعد ذلك ما زادني يقيناً ، وعلمتُ أن ذلك تثبيت من الله لي وتعليم لأعرفَ حقّ نعمة الله عليّ وأشكره ، إذ أنقذني من اعتقاد البدعة إلى اعتقاد السُّنّةِ ، والله المسؤولُ الخاتمةَ بالموت على الإسلام والسُّنّة .

٩٢ - [توبة أبي الحسن الهرقاني عن مذهب المتكلمين]

قال الحافظ أبو الفضل : وحدثني الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن المختار بن علي الهرقاني ، قال : كان لي رفيق يُعرَف بمحمد بن خُنيس ، يقرأ على أبي عبد الله القيرواني المتكلم شيئاً من الكلام من كتاب ابن الباقلاني (١) . فوافقته في ذلك . فرأيتُ ليلة في منامي كأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على سطح رباط الشيخ أبي سعد الصوفيّ وهو جالس وحوله حلقة دائرة . فقلت لبعضهم: ما هذا الجمع؟ فقال لي: هذا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه اما تسلم عليه؟ فجئت ففضضتُ الحلقة ووقفت تلقاء وجهه ، وقلت : السلام عليك يا مولاي أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! فقال لي : وعليك السلام ورحمة الله

= تصانيف احترقت وبقي منها «المختصر في الفقه » يعرف بـ « مختصر الخرقي » وقد شرحه المصنف الموفق شرحاً وافياً ، وسماه « المغني » وهو من المراجع الكبيرة في الفقه الاسلامي عامة ، وفي فقه الحنابلة خاصة .

(١) وهو « التمهيد » والباقلاني هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري المتكلم على مذهب الأشعري ، سكن بغداد ، وله التصانيف المشهورة ، سمع الحديث من أبي بكر القطيعي وغيره ، مات ببغداد سنة (٤٠٣ هـ)

وبركاته ، ورأيته وهو جالس مواز لرؤوس القيام ، فبدأني وقال : تريد أن تعتقد ؟ قلت : نعم يا مولاي ! فقال : عليك باعتقاد أحمد . فقلت : السمع والطاعة . فلما جاءني رفيقي الذي كنت أسمع معه الكلام، ومعه أصحاب له . قالوا : تعالَ حتى نمضي إلى أبي عبد الله[1] نقرأعليه . قلت : اليوم لي شغل . ثم إني اجتمعت بالشيخ أبي منصور[2] في مسجده ، فقصصتُ عليه هذه الرؤيا ، فسرَّ بها وقال : ادنُ مني . فدنوتُ منه ، فقبل بين عيني وقال : أنت مراد . ودعا بأصحابه وقال: اقصص عليهم الرؤيا ، فقصصت عليهم الرؤيا ، فقالوا : يجب عليه الشكر ، فقال الشيخ : أنا أفديه ، والشكر عليَّ ، وأخرج ذهباً فاشترى به خبزاً وتمراً ، ففرّق على كلّ خاتم القرآن رغيفين ورطل تمر ، ومن كان يحفظ البعض أعطاه رغيفاً ونصف رطل تمر . قال : وقطعت المضيّ إلى القيرواني ، ثم اعتقدت من يومئذٍ اعتقاد أحمد بن حنبل وأصحاب الحديث ، وأنا أدين الله تعالى به إلى يوم القيامة .

* * *

---

(١) هو الامام أحمد بن حنبل

(٢) أي المقرىء الخياط .

أخبار جماعة من التوابين

٩٣ - [توبة منازل بن لاحق]

أنبأنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن حمزة السلمي في جماعة قالوا : أنا أبو علي الحسن بن أحمد المقرىء الأصبهاني ، أنا أبو نعيم الحافظ [١] قال : ثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا عبد الله بن سعيد الرقي ، قال : ثنا يزيد بن محمد بن سنان عن أبيه عن جده قال : حدثني الحسن بن علي رضي الله عنهما [٢] قال :

بينا أنا أطوف مع أبي [٣] حول البيت في ليلة ظلماء ، وقد رقدت

---

(١) صاحب « حلية الأولياء » المشهور

(٢) هو الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، الهاشمي القرشي أبو محمد خامس الخلفاء الراشدين . ولد في المدينة المنورة في السنة الثالثة بعد الهجرة ، وأمه فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أكبر أولادها وأولهم. كان عاقلاً حليماً محباً للخير ، فصيحاً ، من أحسن الناس منطقاً وبديهة ، تنازل عن الخلافة لمعاوية حقناً للدماء رضي الله عنه ، وسمي ذلك العام عام الجماعة ، وانتقل الى المدينة حيث أقام بها حتى توفي رضي الله عنه سنة (٥٠ هـ)

(٣) علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

العيون ، وهدأت الأصوات ، إذ سمع أبي هاتفاً يهتف بصوت حزين شجيّ ، وهو يقول :

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعا المُضْطَرِ في الظُلَمِ
يا كاشِفَ الضُّرِّ والبَلوي مع السقم[1]
قدنامَ وَفدُكَ حَولَ البَيْتِ وانتبهوا
وأنتَ عينُكَ يا قَيومُ لمْ تَنَمِ
هبْ لي بجودكَ فضل العفو عن جُرُمي[2]
يا من إليه أشار الخلقُ في الحرم
إنْ كانَ عفوكَ لا يُدركُهُ[3] ذو سرف
فمن يجُودُ على العاصين بالكرَم

قال : فقال أبي : يا بني ! أما تسمع صوت النادب لذنبه المستقيل لربه؟ الحقهُ فلعلّ أن تاتيني به . فخرجتُ أسعى حول البيت أطلبه ، فلم أجده حتى انتهيت إلى المقام ، وإذا هو قائم يصلي ، فقلت : أجبْ ابن عمّ رسول الله ﷺ ، فاوجز في صلاته واتبعني ، فاتيتُ أبي ، فقلتُ : هذا الرجل يا أبت ! فقال له أبي : ممن الرجل ؟ قال : من العرب . قال : وما اسمك ؟ قال : مُنازل بن لاحق . قال : وما شانك وما

(١) في « ب » والمطبوعه : مع الألم .
(٢) حركت الراء بالضم لضرورة الشعر .
(٣) تسكين الكاف هنا لضرورة الشعر .

قصتك ؟ قال : وما قصة من أسلمته ذنوبه [١] وأوبقتـه عيوبه [٢] فهو مرتطم في بحر الخطايا [٣] . فقال له أبي : عليَّ ذلك ، فاشرح لي خبرك .

قال : كنتُ شاباً على اللهو والطرب لا أفيق عنـه ، وكان لي والد يعظني كثيراً ويقول : يا بني ! احذر هفوات الشباب وعثراته ، فإن لله سطوات ونقمات ما هي من الظالمين ببعيـــد . وكان إذا ألحّ عليّ بالموعظة ألححت عليه بالضرب ، فلما كان يوم من الأيام ألح عليّ بالموعظة ، فأوجعتُـه ضرباً ، فحلف بالله مجتهداً ليأتينَّ بيت الله الحرام فيتعلَّـق بأستار الكعبة ويدعو عليَّ ، فخرج حتى انتهى إلى البيت ، فتعلق بأستار الكعبة ، وأنشأ يقول :

يا من إليه أتى الحجاجُ قدْ قطعوا
عرضَ المهامه [٤] من قربٍ ومن بُعُـدِ [٥]

إني أتيتـك يا من لا يخيّـبُ منْ
يدْعوه مبْتهلاً بالواحد الصَّمـد

---

(١) أي خذَلته .

(٢) أي أهلكته .

(٣) يقال : ارتطم في الطين : إذا وقع فيه فتخبط ، أي ارتبك . ويقال : وقع في رطمة ، أي : في أمر يتخبط فيه ، وارتطم عليه الأمر : عَيِيَ وسدت عليه مذاهبه ، لم يقدر على الخروج منه إلا بمشقة .

(٤) المهامه جمع مهمهة ، وهي المفازة البعيده ، والبلد القفر .

(٥) حركت العين بالضم لضرورة الشعر .

هذا منازل لا يرتدُّ عنْ عققي

فخذْ بحقّي يا رحمان منْ ولدي

وشُل منهُ بجولٍ منك جانبهُ[1]

يا من تقدّسَ لم يولد ولم يَلد

قال : فوالله ما استتمّ كلامه حتى نزل بي ما ترى ، ثم كشف عن شقه الأيمن فإذا هو يابس . قال : فأُبت ورجعت ، ولم أزل أترّضاه وأخضع له وأساله العفو عني ، إلى أن أجابني أن يدعو لي في المكان الذى دعا عليّ . قال : فحملته على ناقة عشراء[2] وخرجت أقفو أثره ، حتى إذا صرنا بوادي الأَراك[3] طار طائر من شجرة ، فنفرت الناقة ، فرمت به بين أحجار ، فرضخت رأسه[4] فمات ، فدفنته هناك وأقبلت

(١) الدعاء على ولده بشل جانبه لا يجوز ، وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء على أنفسنا وأموالنا وأولادنا ، وذلك فيما رواه مسلم في « صحيحه » ٤ / ٢٣٠٤ كتاب الزهد والرقائق – باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تَدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسألُ فيها عطاءٌ فيستجيب لكم » بل على الوالد أن يدعوَ لولده بالخير والهداية والتوفيق ، وكذلك لنفسه وماله .

(٢) يقال : عَشّرت الناقة تعشيراً وأعشرت : إذا صارت عُشَراء ، أي أتى عليها عشرة أشهر من نتاجها .

(٣) وادي الأراك : قرب مكة ، والأراك في الأصل : شجر معروف ، وهو أيضاً شجر مجتمع يستظل به .

(٤) الرضخ : كسر الرأس ، ويستعمل الرضخ في كسر النوى والرأس للحيات وغيرها . والرضخ : الدّق والكسر ، ورضخ النوى والحصى والعظم وغيرها من اليابس ، يرضخه رضخاً : كسره .

آيساً ، وأعظم ما بي ما ألقاه من التعيير أني لأعرَف إلا بالمأخوذ بعقوق والديه . فقال له أبي : أبشر فقد أتاك الغوث ، فصلى ركعتين ، ثم أمره فكشف عن شِقّه بيده ، ودعا له مرات يرددهنّ ، فعاد صحيحاً كما كان ، وقال له أبي : لولا أنه قد كان سبقت إليك من أبيك في الدعاء لك بحيث دعا عليك لما دعوت لك . قال الحسن (١) : وكان أبي يقول لنا : احذروا دعاء الوالدين ! فإن في دعائهما (٢) النّماء (٣) والانجبار (٤) ، والاستئصال والبوار (٥) .

٩٤ - [توبة امرأة من دومة الجندل عن عمل السحر]

قرأت على أبي المعالي عبد الله بن عبد الرحمن السُّلمي ، أخبركم هبة الله بن أحمد بن محمد الأكفاني ، قال : أنبأنا أبو الفتح عبد الجبار بن عبدالله ابن إبراهيم بن برزة ، قال : أنبأنا أبو الحسن عليّ بن محمد بن عمر الفقيه ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم ، (٦) قال : ثنا الربيع ابن سليمان (٧) ثنا عبد الله بن وهب ، ثنا ابن أبي الزناد (٨) حدثني هشام

(١) أي الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

(٢) أي بالخير .

(٣) أي الزيادة والبركة

(٤) وذلك ببرهما وطاعتها والاحسان إليهما .

(٥) أي الهلاك ، وذلك بعقوقهما وإيذائهما وعدم الاحسان إليهما .

(٦) صاحب كتاب « الجرح والتعديل » الكبير المشهور .

(٧) صاحب الإمام الشافعي وراوية كتبه .

(٨) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد (عبد الله بن ذكوان) المدني توفي سنة ١٧٤ هـ صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد وكان فقيهاً .

ابن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ، أنها قالت :

قدمت امرأة من «دومة الجندل» [1] تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته، حداثة ذلك، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به. قالت عائشة لعروة : يا ابن أختي ! فرأيتها تبكي حتى إني لأرحمها ؛ تقول : إني أخاف أن أكون قد هلكت ، كان لي زوج ، فغاب عني ، فدخلت علي عجوز فشكوت ذلك إليها ، فقالت : إن فعلت ما آمرك به تجعليه يأتيك . فلما أتانا الليل جاءتني بكلبين أسودين ، فركبت أحدهما وركبت الآخر ، ولم يكن كشيء حتى وقفنا بـ«بابل» [2] . فإذا برجلين معلقين بأرجلهما ، فقالا : ما جاء بك ؟ فقلت: أتعلم السحر . فقالا : إنما نحن فتنة ، فلا تكفري وارجعي ، فأبيت وقلت : لا . قالا : فاذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه ، فذهبت ففزعت فلم أفعل ، فرجعت إليهما . فقالا : أفعلت ؟ فقلت : نعم ، فقالا: هل رأيت شيئاً ؟ قلت : لم أر شيئاً ، فقالا ، لم تفعلي ! ارجعي إلى بلدك ولا تكفري ، فأبيت ، فقالا : اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه ، ثم إني ذهبت فاقشعر جلدي وخفت ؛ ثم رجعت اليهما ، فقلت : قد فعلت. فقالا : ما رأيت ؟ فقلت : لم أر شيئاً ، فقالا : كذبت ، لم تفعلي ؛

---

(١) دُومة الجندل : بضم الدال وفتحها ، وقد أنكر ابن دريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين . وهي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل ، أي الحجارة .

(٢) بابل : اسم ناحية ، في الكوفة والحِلّة في العراق ، ينسب اليها السّحر والخمر.

فارجعي إلى بلدك ولا تكفري ، فإنك على رأس أمرك فذهبت فبلت فيه ؛ فرأيت فارساً متقنعاً بحديد خرج مني فذهب في السماء وغاب عني حتى ما أراه . وجئتهما فقلت: قد فعلت ، فقالا : ما رأيت؟ قلت : رأيتُ فارساً متقنعاً بحديد خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه . فقالا : صدقت ! ذلك إيمانك خرج منك ؛ اذهبي . فقلت للمرأة : والله ما أعلم شيئاً ، وما قالا لي شيئاً . فقالت : بلى ! لن تريدي شيئاً إلا كان؛ خذي هذا القمح فابذري . فبذرت ، فقلت : أطلعي ، فاطلعت ، فقلت: الحقي ، فلحقت . ثم قلت : افركي ففركت ، فقلت: ايبسي، فيبست . ثم قلت : اطحني ، فطحنت . ثم قلت : اخبزي فخبزت . فلما رأيت أني لا أريد شيئاً إلا كان، سُقِط في يدي[1] وندمت ، والله يا أمّ المؤمنين،ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً، فسالت أصحاب رسول الله ﷺ ، حداثة وفاة رسول الله ﷺ ، وهم متوافرون ، فما درَوا ما يقولون لها ، وكلهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلمه ؛ إلا أنه قد قال لها ابن عباس ، أو بعض من كان عنده : لو كان أبواك حيين أو أحدهما ! قال ابن أبي الزناد[2] : وكان هشام[3] يقول : إنهم

---

(١) سُقِط في يدي بمعنى : ندمت على ما فعلتُ ، ومنه قوله تعالى في سورة [الأعراف : ١٤٩] عن قوم موسى : (ولما سُقِطَ في أيديهم ورَأَوْا أنهم قد ضَلُّوا قالوا لئن لم يَرْحَمْنا ربُّنا ويَغْفِرْ لنا لنكونَنّ من الخاسرين) .

أي ! ولما ندموا على ما فعلوا من عبادة العجل ...الخ .. وهذا اعتراف منهم بذنبهم والتجاء الى الله عز وجل.

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد (عبد الله ذَكْوان) المدني

(٣) هو هشام بن عروة بن الزبير .

كانوا أهل ورع وخشية من الله، وبعداء من التكلف والجرأة على الله ثم يقول هشام: ولو جاءتنا مثلها لوجدت نوكى أهل حق[1] وتكلف بغير علم.

٩٥ - [توبة شاب عن اللهو واللعب]

أخبرنا الإمام أبو الحسن البطائحي قال: أنبانا أبو طالب اليوسفي، أنا الحسن بن علي التميمي، قال: أنبانا أبو بكر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني هارون بن عبد الله، ثنا ثابت البُناني[2]، قال:

كان صلة بن أشيم[3] يخرج إلى الجبان[4] فيتعبد فيها. فكان يمر على شباب يلهون ويلعبون. قال: فيقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فجازوا[5] النهارَ عن الطريق وناموا الليل، متى يقطعون سفرهم؟ قال: فكان كذلك يمر بهم ويعظهم قال: فمر بهم ذات يوم، فقال لهم هذه المقالة. فقال شابّ منهم: يا قوم! إنه والله ما يعني بهذا غيرنا،

---

(١) النوكى: الحمقى جمع أنوك، وهو الأحمق. والنواكة: الحماقة، قال سيبويه: وقد أجري نوكى مجرى هلكى، لأنه شيء أصيبوا به في عقولهم.

(٢) هو ثابت بن أسلم البُناني أبو محمد المصري، من تابعي البصرة، صحب أنس بن مالك الصحابي رضي الله عنه وغيره من الصحابة توفي رحمه الله سنة (١٢٧ هـ)

(٣) هو أبو الصهباء صلة بن أشيم العدوي التابعي رحمه الله.

(٤) الجبان والجبانة بالتشديد: الصحراء، وتسمى بها المقابر لأنها تكون في الصحراء، تسمية للشيء بموضعه.

(٥) في « ب » والمطبوعة: فحادوا، وهو كذلك في « حلية الأولياء » وفي « أ »: فجازوا.

نحن بالنهار نلغو وبالليل ننام . ثم اتبع صلة ، فلم يزل يختلف معه إلى الجبان ويتعبد معه حتى مات ، رحمها الله .

٩٦ - [توبة شاب عن الانهماك في الدنيا]

أنبأنا الشيخ أبو الفرج(١) قال : ثنا أبو بكر الصوفي ، قال : أنبأنا علي بن عبد الله ، قال : أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن باكويه : قال : ثنا إبراهيم بن محمد الفقيه المالكي ، قال : ثنا يوسف بن أحمد الواعظ قال : ثنا العباس بن محمد المطهري ، قال : ثنا الحسن بن أبي مريم العسكري ، حدثني جعفر بن سليمان ، قال :

مررت أنا ومالك بن دينار بالبصرة . فبينا نحن ندور فيها مررنا بقصر يعمر . وإذا شاب جالس ما رأيت أحسن وجهاً منه ، وإذا هو يأمر ببناء القصر ، ويقول : افعلوا ، واصنعوا . فقال لي مالك : ما ترى إلى هذا الشاب وإلى حسن وجهه وحرصه على هذا البناء ؟ ما أحوجني إلى أن أسأل ربي أن يخلصه ، فلعله يجعله من شباب الجنة ! يا جعفر ! ادخل بنا إليه. قال جعفر : فدخلنا فسلمنا ، فرد السلام(٢) ولم يعرف مالكاً . فلما عرّفوه إياه قام إليه ، فقال : حاجة ؟ قال : كم نويت أن تنفق على هذا القصر ؟ قال : مائة ألف درهم . قال : ألا تعطيني هذا المال فأضعه في حقه ، وأضمن لك على الله تعالى قصراً خيراً من هذا

---

(١) ابن الجوزي الحافظ البغدادي الحنبلي رحمه الله .

(٢) في المطبوعة : فردا السلام بالتثنية ، وهو خطأ

القصر ، بولدانه وخدمه ، وقبابُه وخيمه من ياقوتة حمراء ، مرصّع بالجواهر ، ترابه الزعفران ، وملاطه المسك[1] ؛ أفيحُ[2] من قصرك هذا ، لا يخرب ، لا تمسه يدان ولم يبنه بنّاء ، قال له الجليل[3] : كن ! فكان ؟ قال : أجلني الليلة وبكر عليّ غدوة[4] . قال جعفر : فبات مالك وهو يفكر في الشابّ ، فلما كان في وقت السَّحر دعا وأكثر من الدعاء . فلما أصبحنا غدونا ، فإذا بالشابّ جالس ، فلما عاين مالكاً[5] هشّ إليه[6] ، ثم قال : ما تقول فيما قلت بالأمس ؟ قال : تفعل ؟ قال: نعم . فأحضر البدر[7] ودعا بدواة وقرطاس ، ثم كتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان بن فلان: إني ضمنت لك على الله قصراً بدل قصرك بصفته كما وصفت والزيادة على الله ؛ واشتريت لك بهذا المال قصراً في الجنة أفيح من[8] ظل ظليل

(١) أي: وطينه المسك . والملاط: الطين الذي يجعل بين سافي البناء ويملط به الحائط .

(٢) أي أوسع . الفَيْح والفَيَح : السعة والانتشار ، والأفيح والفياح : كل موضع واسع . يقال : بحر أفيح : بين الفيح واسع ، وفياح أيضاً بالتشديد . وروضة فيحاء : واسعة ، ودار فيحاء : واسعة ، والفعل من كل ذلك : فاح يَفَاح فَيْحاً ، وقياسه فَيِح يفْيَح .

(٣) أي الله تعالى .

(٤) في المطبوعة : غداً .

(٥) أي ابن دينار .

(٦) يقال : هشِشت بفلان بكسر الشين الأولى ، أهش هشاشة : إذا خففت اليه وارتحت له وفَرحت بــه . وهش للشيء يهش : إذا سر بــه وفرح .

(٧) البدَر ، والبدور ، واحدها : بَدْرة :وهي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم

(٨) وعلى هامش الأصل : « أ » نسخة : الظاهر : « في » .

بقرب العزيز الجليل . ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الشاب وحملنا المال. فما أمسى مالك وقد بقي عنده (١) مقدار قوت ليلة . فما أتى على الشاب أربعون ليلة ، حتى صلى مالك ذات يوم الغـداة ، فلما انفتل ، فإذا بالكتاب في المحراب موضوع ، فأخـذه مالك فنشره ، فإذا في ظهره مكتوب بلا مداد :

هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار : إنا وفَّينا الشاب القصر الذي ضمنتَ له وزيادة سبعين ضعفاً . قال : فبقي مالك متعجباً، وأخـذ الكتاب ، فقمنا فذهبنا إلى منزل الشاب ، فأقبلنا ، فإذا الباب مسود والبكاء في الدار ، فقلنا : ما فعل الشاب ؟ قالوا : مات بالأمس . فأحضرنا الغاسل ، فقلنا : أنت غسلته ؟ قال : نعم . قـال مالك : فحدثنا كيف صنعت ؟ قال : قال لي قبل الموت : إذا أنا مِت وكفنتني اجعل هذا الكتاب بين كفني وبدني . فجعلت الكتاب بين كفنه وبدنه، ودفنته معه ، فأخرج مالك الكتاب ، فقال الغاسل : هذا الكتاب بعينه والذي قبضه ، لقد جعلته بين كفنه وبدنه بيدي . قال : فكثر البكاء ، فقام شاب ، فقال : يا مالك ! خذ مني مائتي ألف درهم واضمن لي مثل هذا ، قال : هيهات ! كان ما كان ، وفات ما فات ، والله يحكم ما يريد! فكلما ذكر مالك الشابَّ بكى ودعا له .

---

(١) في المطبوعـة : عليه .

٩٧ -[توبة جندي صاحب قصر عن الغناء والملاهي]

قال ابن باكويه : حدثنا عبد الواحد بن بكر ، ثنا محمد بن داود الدينوري قال : سمعت أبا إسحاق الهرويّ يقول :

كنت مع ابن الخيوطي بالبصرة ، فأخذ بيدي ، وقال : قم حتى نخرج إلى « الأُبلة » (١) . فلما قربنا إلى « الأبلة » ، ونحن نمشي على شاطىء « الأبلة » في الليل والقمر طالع ، مررنا بقصر لجنديّ فيه جارية تضرب بالعود ؛ وفي جانب القصر في ظل القمر فقير بخرقتين. فسمع الفقيرُ الجارية وهي تقول :

كلَّ يومٍ تَتلوَّنْ غيرُ هذا بِكَ أجمَلْ

فصاح الفقير وقال : أعيديه ! فهذا حالي مع الله تعالى . قال : فنظر صاحب الجارية إلى الفقير ، فقال لها : اتركي العود وأقبلي عليه فإنه صوفيّ . فأخذتْ تقول ، والفقير يقول : هذا حالي مع الله ؛ والجارية تردد، إلى أن صاح الفقير صيحة وخر مغشياً عليه ، فحرّكناه ، فإذا هو ميت . فلما سمع صاحب القصر بموته نزل فأدخله إلى القصر ، واغتممنا وقلنا: هذا يكفنه من غير وجهه ، فصعد الجندي وكسر كل ما كان بين يديه ، فقلنا : ما بعد هذا إلا خير ، ومضينا إلى « الأبلة »

(١) مدينة إلى جنب البصرة ، على شاطىء دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل منه الى البصرة ، وهي أقدم من البصرة ، لأن البصرة مصرت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانت « الأبلة » حينئذ مدينة .

فبتنا وأعلمنا الناس . فلما أصبحنا رجعنا إلى القصر ، وإذا الناس مقبلون من كل وجه إلى الجنازة كأنما نودي في « البصرة » ، حتى خرج القضاة والعدول وغيرهم . وإذا الجندي يمشي خلف الجنازة حافياً حاسراً حتى دفن ، فلما همّ الناس بالانصراف قال الجندي للقاضي والشهود : اشهدوا أن كل جارية لي حرة لوجه الله تعالى ،وكل ضياعي وعقاري حبيس في سبيل الله ، ولي في صندوق أربعة آلاف دينار ، وهي في سبيل الله . ثم نزع الثوب الذي كان عليه فرمى به وبقي في سراويله. فقال القاضي : عندي مئزران من وجههما ، تقبلهما ؟ فقال : شأنك، فاخذهما فاتزر بواحد ، واتشح بالآخر ، وهام على وجهه . فكان بكاء الناس عليه أكثر منه على الميت

٩٨ - [توبة رجل من أعوان السلطان عن الفواحش]

وحكي عن مالك بن دينار ، قال : كان لي جار يتعاطى الفواحش، فاتى إليّ الجيرانُ يشكون منه . فاحضرناه وقلنا له : إنّ الجيران يشكونك ، فسبيلك أن تخرج من المحلة . فقال : أنا في منزلي ، لاأخرج. قلنا : تبيع دارك ! قال : لا أبيع ملكي . قلنا : نشكوك إلى السلطان. قال : أنا من أعوانه . قلنا : ندعو الله عليك . قال : الله أرحم بي منكم. قال : فلما أمسينا قمتُ وصليتُ ودعوتُ عليه ، فهتف بي هاتف : لا تدعُ عليه فإنه من أولياء الله تعالى ، فجئت إلى باب داره ودققت

الباب ، فخرج ، فظن أني جئت لأخرجه من المحلة ، فتكلم كالمعتذر ، فقلت : ما جئت لهذا ، ولكن رأيت كذا وكذا ، فوقع عليه البكاء ، وقال : إني تبت بعد ما كان هذا ، ثم خرج من البلد فلم أرَهُ بعد ذلك.

واتفق أني خرجت إلى الحج ، فرأيت في المسجد الحرام حلقة فتقدمتُ إليهم ، فرأيته مطروحاً عليلاً ، فلم أنبث أن قالوا مات الشاب رحمه الله .

٩٩ -[توبة فتى من الازدوجان عن التأنث والتخنث]

اخبرنا أبو طالب المبارك بن عليّ الصيرفيّ ، أنا أبو غالب شجاع ابن فارس الذهليّ ، أنا أبو بكر الخياط ، قال : أنا أحمد بن محمد بن دوست ، قال : أنبأنا الحسين بن صفوان ، قال : أنبأنا احمد بن محمد ، قال : أنبأنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال : وحدثت عن محمد بن الحسين عن يحيى بن راشد ، ثنا رجاء بن ميسور المجاشعيّ ، قال :

كنا في مجلس صالح المريّ [١] وهو يتكلم . فقال لفتى بين يديه اقرأ يا فتى ! فقرأ الفتى : ﴿ وَأَنذِرهُمْ يَوْمَ الآزفةِ [٢] إذ القُلوبُ

(١) هو صالح بن بشير بن وادع أبو بشر البصري القاضي المعروف بالمُريّ ، من عباد أهل البصرة وقرائهم وزهادهم ، غلب عليه الخير والصلاح حتى غفل عن الإتقان في الحفظ ، روى عن الحسن البصري وابن سيرين وقتادة وغيرهم . مات رحمه الله سنة (١٧٢ هـ) .

(٢) في المطبوعة : الأزفة ، بهمزة مفتوحة من غير مد ، وهو خطأ

لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ [المؤمن : ١٨] . فقطع صالح عليه القراءة وقال : كيف يكون لظالم حميم أو شفيع ، والمطالب له رب العالمين ؟ إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأنكال إلى الجحيم ، حفاة عراة ، مسودة وجوههم ، مزرقة عيونهم ، ذائبة أجسادهم ، ينادون : يا ويلنا يا ثبورنا ! ماذا نزل بنا ؟ ماذا حلّ بنا ؟ أين يذهب بنا ؟ ماذا يراد منا؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النيران ، فمرة يجرّون على وجوههم ويسحبون عليها منكبّين ، ومرة يقادون إليها مقرّنين (١) ، من بين باك دماً بعد انقطاع الدموع ، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت (٢) ـ إنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظراً لا يقوم له بصرك ، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقرّ لفظاعة هوله على قرار قدمك ! ثم نحب (٣) وصاح : يا سوء منظراه ! يا سوء منقلباه ! وبكى ، وبكى الناس . فقام فتى من الأزدكان ، به تأنيث ، فقال : أكلّ هذا في القيامة يا أبا بشر ؟ قال : نعم والله يا ابن أخي ، وما هو أكثر ! لقد بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم ، فما يبقى منهم إلا كهيئة الأنين من المدنَف (٤) . فصاح الفتى : إنا لله ! واغفلتاه عن نفسي أيام الحياة، وأسفا

---

(١) أي أن أيديهم وأرجلهم قرنت على رقابهم .

(٢) أي متحير .

(٣) أي رفع صوته بالبكاء .

(٤) المدنَف والمدنِف : الذي براه المرض حتى أشرف على الموت .

على تفريطي في طاعتك يا سيداه ! وأسفا على تضييعي عمري في دار الدنيا ! ثم بكى ، واستقبل القبلة ، فقال : اللهم ! إني استقبلك في يومي هذا بتوبة لا يخالطها رياء لغيرك ، اللهمّ ! فاقبلني على ما كان فيّ ، واعف عما تقدّم من فعلي ، وأقلني عثرتي ، وارحمني ومن حضرني ، وتفضل علينا بجودك وكرمك ، يا أرحم الراحمين ! لك ألقيت معاقد الآثام من عنقي ، وإليك أنبت بجميع جوارحي صادقاً لذلك قلبي ، فالويل لي إن لم تقبلني ! ثم غُلب فسقط مغشياً عليه ، فحُمل من بين القوم صريعاً ، فمكث صالح وإخوته يعودونه أياماً ، ثم مات - والحمد لله - فحضره خلق كثير يبكون عليه ويدعون له ، فكان صالح كثيراً مايذكره في مجلسه فيقول : بأبي[1] قتيل القرآن ، وبأبي قتيل المواعظ والأحزان ! قالَ : فرآه رجل في منامه ، قال : ما صنعتَ ؟ قال : عمتني بركة مجلس صالح فدخلتُ في سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء .

١٠٠ - [توبة امرأة وهي تطوف حول الكعبة]

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ، قال : أنبأنا علي بن محمد الخطيب الأنباري ، قال : أنبأنا أبو الحسين بن بشران ، قال : أنبأنا الحسين بن صفوان ، قال : أنبأنا ابن أبي الدنيا ، ثنا سعيد بن سليمان الواسطيّ ، عن محمد بن يزيد بن خُنيس قال : قال وهيب بن الورد[2] :

(١) في المطبوعة : وبأبي .

(٢) هو وهيب بن الورد بن أبي الورد المخزومي أبو أمية ، من العباد الحكماء من أهل مكة ، ووفاته بها ، كان من أقران ابراهيم بن أدهم ، له أخبار وكلمات مأثورة ، وكان اسمه عبد الوهاب ، فصغر فقيل : وهيب ، توفي رحمه الله سنة (١٥٣هـ)

بينا امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقــول : يا ربّ ! ذهبت اللذات ، وبقيت التبعات ؛ يا ربّ ! سبحـانك ، وعزتك إنك أرحم الراحمين ؛ يا ربّ ! ما لكَ عقوبة إلا النار ؛ فقالت صاحبة لهـا كانت معها : أخيَّـة ! دخلت بيت ربك اليوم ؟ فقالت : والله ما أرى هاتين القدمين أهلاً للطواف حول بيت ربي ، فكيف أراهما أهـلاً أطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشَتا وأين مشَتا ؟

١٠١ - [توبة رجل عما جنت يداه]

أخبرنا أبو الفضل مسعود بن عبيـد الله بن النادر ، قال : أنا أبو سعد أحمد بن محمد البغدادي ، قال : أنبأنا أبو العباس أحمـد بن محمـد الظهرانيّ وعبد الوهاب بن مندة قالا : أنبأنا أبو محمّـد الحسن بن محمد ابن يوه (١) قال : أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمر البُناني (٢) ، قال: أنبأنا عبد الله بن محمد قال : كتب إليّ أبو عبد الله الباهلي : قال : أنبأنا عبد الله بن محمد عن إبراهيم بن الحارث ، قال :

كان رجل كثير البكاء ؛ فقيل له في ذلك ، فقـال : أبكاني تذكري ما جنيت على نفسي حين لم أستحي ممن شاهـدني وهو يملك عقوبتي ، فأخّـرني إلى يوم العقوبة الدائمة وأجلني إلى يوم الحسرة الباقية ؛ والله لو خيرت : أيما أحبّ إليك ، تحاسَب ثم يؤمر بك إلى الجنة ، أو يقال لك : كن تراباً ؟ ـ لاخترت أن أكون تراباً .

(١) في نسخة : الحسن بن محمد من يوه .

(٢) في المطبوعة وفي « أ » نسخـة : اللبناني.

١٠٢ - [توبة ملهي أهل المدينة عن اللهو على يد والدته]

ومن « الملتقط » : قال صالح بن عمر : وحدثني أبي ، قال : كان بالمدينة امرأة متعبدة ولها ولد يلهو ، وهو ملهي أهل المدينة . وكانت تعظه وتقول : يا بني ! اذكر مصارع الغافلين قبلك ، وعواقب البطّالين قبلك ، اذكر نزول الموت . فيقول إذا ألحت عليه :

كُفّي عن التَّعذال واللوْم ... واستيقظي من سِنةِ النَّوم

إني وإنْ تابعتُ في لذَّتي ... قلبي وعاصيتُك في لومي

أرْجو منْ افضالِه توبَةً ... تنقلُ من قوْمٍ إلى قوْمِ

فلم يزل كذلك حتى قدم أبو عامر البناني واعظ أهل الحجاز ، ووافق قدُومه رمضان ، فسأله إخوانه أن يجلس لهم في مسجد رسول الله ﷺ . فأجابهم ، وجلس ليلة الجمعة بعد انقضاء التراويح ، واجتمع الناس ، وجاء الفتى فجلس مع القوم ، فلم يزل أبو عامر يعظ وينذر ويبشر ، إلى أن ماتت القلوب فرقاً ، واشتاقت النفوس إلى الجنة ، فوقعت الموعظة في قلب الغلام فتغّير لونه . ثم نهض إلى أمه ، فبكى عندها طويلاً ، ثم قال :

زَمَمتُ (١) للتَّوْبة أجمالي ... ورُحْتُ قدْ طاوعتْ عذَّالي (٢)

وأبتُ والتوبةُ قدْ فتحتْ ... مِن كلِّ عُضو لي أقفالي

---

(١) أي شددت .

(٢) وفي نسخة : زممت للتوبة أذيالي ... فرحت قد طاوعت عذالي

لما حدَا الحادي بقلبي إلى طاعة ربي فكّ أغلالي
أجبتُه لبّيكَ من موقظٍ نبّهَ بالتذكارِ أغفالي
يا أمّ هل يقبلُني سيدي على الذي قد كانَ من حالي ؟
واسوءتا إن ردّني خائباً ربي ولم يرض بإقبالي !

ثم شمّر في العبادة وجدّ ، وكان لا يفطر إلا بعد التراويح ، ولا ينام إلا بعد طلوع الشمس . فقرّبت اليه أمه ليلةً إفطاره ، فامتنع وقال : أجد ألم الحمى ، فاظنّ أن الأجل قد أزف[1] . ثم فزع إلى محرابه ولسانُه لا يفتر من الذّكر . فبقي أربعة أيام على تلك الحال . ثم استقبل القبلة يوماً ، وقال : إلهي عصيتك قوياً ، وأطعتُك ضعيفاً ، وأسخطتك جلداً[2] وخدمتك نحيفاً ، فليت شعري هل قبلتني ؟ ثم سقط مغشياً عليه ، فانشجّ وجهه ، فقامت إليه أمه ، فقالت : يا ثمرة فؤادي ، وقرّة عيني ! رُدّ جوابي . فأفاق فقال : يا أمّاه ! هذا اليوم الذي كنت تحذريني ، وهذا الوقت الذي كنت تخوفيني ؛ فيا أسفي على الأيام الخوالي ! يا أماه ! إني خائف على نفسي أن يطول في النار حبسي ؛ بالله عليك يا أماه ، قومي فضعي رجلك على خدّي حتى أذوق طعم الذُل لعله يرحمني ، ففعلت وهو يقول : هذا جزاء من أساء ، ثم مات رحمه الله .

---

(١) أي : قد دنا .
(٢) أي : قوياً .

قالت أمه : فرأيتُه في المنام ليلة الجمعة وكانه القمر ، فقلت : يا ولدي ! ما فعل الله بك؟فقال : خيراً ، رفع درجتي . قلت :فما كنت تقول قبل موتك ؟ قال : هتف بي هاتف : أَجِب الرحمن ! فاجبتُ قلتُ : فما فعل أبو عامر[1] ؟ فقال : هيهاتَ ! أين نحن من أبي عامر ؟

حَلَّ أبو عَامرٍ في قُبَّةٍ ... وَطَّدَها[2] ذُو العرش للناس
بينَ جَوار كالدُّمى خُرَّد[3] ... يسْقِينهُ بالكاس والطَّاس
يقلنَ بالترخيم[4] خذها فقد ... هُنيتهَا ياواعظَ النَّاس

١٠٣ - [توبة دينار العيار عن المعاصي على بر والدته]

وروي أنّ رجلاً كان يُعرف بـ « دينار العيّار » ، كانت له والدة تعظه ولا يتعظ ، فمرّ في بعض الأيام بمقبرة كثيرة العظام ، فاخذ منها عظماً نخراً فانفتّ في يده ، ففكّر في نفسه ، وقال لنفسه : ويحك ! كاني بك غداً قد صار عظمك هكذا رُفاتاً والجسم تراباً ، وأنا اليوم أقدم على المعاصي ، فندم وعزم على التوبة ، ورفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي ! إليك ألقيتُ مقاليد أمري ، فاقبلني وارحمني . ثم مضى نحو أمه

---

(١) هو أبو عامر البُناني واعظ أهل الحجاز .

(٢) أي ثبّتها . يقال : وطد الشيء يطده وطداً وطدة فهو وطيد وموطود : أثبته وثقله ، كوطّده فتوطّد .

(٣) الخرد : الأبكار التي لم تمسس ، أو الخفرات الطويلات السكوت الخافضات الصوت المتسترات .

(٤) باللين والعطف والمحبة وسهولة المنطق

متغير اللون ، منكسر القلب ، فقال : يا أماه ! ما يصنع بالعبد الآبق إذا أخذه سيده ؟ فقالت : يخشّن ملبسه ومطعمه ويغلّ يده وقدمه . فقال : أريد جبّة من صوف وأقراصاً من شعير ، وتفعلين بي كما يُفعل بالآبق ، لعلّ مولاي يرى ذُلّي فيرحمني . ففعلَتْ ما طلب . فكان إذا جَنّه الليل أخذ في البكاء والعويل ، ويقول لنفسه : ويحكَ يا دينار ! ألك قوّة على النار ؟ كيف تعرّضت لغضب الجبار ؟ [1] وكذلك إلى الصباح ، فقالت له أمّه في بعض الليالي : ارفق بنفسك ، فقال : دعيني أتعب قليلاً لعلي أستريح طويلاً ، يا أمي ! إن لي موقفاً طويلاً بين يدي ربّ جليل ، ولا أدري أيُؤمر بي إلى الظلّ الظليل ، أو إلى شر مقيل ، إني أخاف عناءً لا راحة بعده ، وتوبيخاً لا عفو معه ، قالت : فاسترح قليلاً ، فقال : الراحة أطلب ؟ أتضمنين لي الخلاص ؟ قالت : فمن يضمنه لي ؟ قال : فدعيني وما أنا عليه ، كأنكِ يا أماه غداً بالخلائق يساقون إلى الجنّة وأنا أُساق إلى النار ! فمرت به في بعض الليالي في قراءته ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أجمعين. عمّا كانوا يعملونَ ﴾ [الحجر : ٩٢ ، ٩٣] . ففكر فيها ، وبكى وجعل يضطرب كالحية حتى خر مغشياً عليه ، فجاءت أمه إليه ونادته ، فلم يجبها ، فقالت : قُرّةَ عيني ! أين الملتقى ؟ فقال بصوت ضعيف : إن لم تجديني في عرصة القيامة فاسألي مالكاً [2] عني . ثم شهق شهقة مات فيها . فجهزته

(١) في نسخة : فعصيت الجبار .

(٢) يريد مالكاً خازن النار .

وغسلته ، وخرجت تنادي : أيها الناس ! هلمّوا إلى الصلاة على قتيل النار ! فجاء الناس ، فلم يُرَ أكثر جمعاً ولا أغزر دمعاً من ذلك اليوم .

١٠٤ - [توبة رجل عن حب مغنية شغلته عن الله]

وقال علي بن الحسين : كان لنا جار من المتعبّدين قد برز في الاجتهاد، فصلى حتى تورّمت قدماه وبكى حتى مرضت عيناه ، فاجتمع إليه أهله وجيرانه فسألوه أن يتزوّج ، فاشترى جارية وكانت تغني وهو لايعلم ، فبينا هو ذات يوم في محرابه يصلي ، رفعت الجارية صوتها بالغناء ، فطار لبّه ، فرام[١] ما كان عليه من العبادة فلم يطق ، فاقبلت الجارية عليه، فقالت : يا مولاي ! لقد أبليت شبابك ورفضت لذات الدنيا أيام حياتك ؛ فلو تمتعت بي ! فمال إلى قولها واشتغل باللذات عمّا كان فيه من التعبّد . فبلغ ذلك أخاً له كان يوافقه على العبادة ؛ فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من الناصح الشفيق ، والطبيب الرفيق ، إلى مَنْ سُلبَ حلاوة الذّكر ، والتلذذ بالقرآن ، والخشوع والأحزان ؛ بلغني أنك اشتريت جاريةً بعتَ بها من الآخرة حظّك ؛ فان كنت بعت الجزيل بالقليل والقرآن بالقيان ، فإني محذّرك هادم اللذات ومنغص الشهوات وموتمَ الأولاد ؛ فكأنه قد جاء على غرة فابكم منك اللسان ، وهدم منك الأركان ، وقرّب منك الأكفان ، واحتوشك الأهـل

(١) أي قصد .

والجيران ، وأحذّرك من الصيحة إذا جَثت [1] الأمم لهول ملك جبّار ، فاحذر يا أخي ما يحلّ بك من ملك غضبان . ثم طوى الكتاب وأنفذه إليه . فوافاه الكتاب وهو في مجلس سروره ، فغصّ بريقه وأذهله ذلك ، فنهض مبادراً من مجلس سروره وكسر آنيته وهجر جاريته ، وآلى أن لايطعم الطعام ولا يتوسّد المنام .

قال الذي وعظه : فلمّا مات رأيتُه في المنام بعد ثلاث ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : قدمنا على ربّ كريم أباحنا الجنة . وقال :

أَللهُ عوضني ذُو العرش جارية
حوراء تسقيَني [2] طوراً وتهنيني
تقولُ لي اشربْ بما قدْ كُنْتَ تأمُلُني
وقرّ عيناً مع الولدان والعين
يامنْ تخلّى عن الدُّنيا وأزعجهُ
عن الخطايا وعيدٌ في الطّواسين [3]

---

(١) جثا كدعا ورمى جُثُوّاً وجُثِيّاً بضم الجيم فيهما : جلس على ركبتيه ، أوقام على أطراف أصابعه .

(٢) حركت الياء بالفتح لضرورة الشعر .

(٣) أي في سور القرآن التي فيها طس ، وطسم ، كسورة (الشعراء) (والنحل) (والقصص) .

١٠٥ - [توبة شاب وامرأة على يد سري السقطي]

وعن سري السقطي [١] ، قال : كنت يوماً أتكلم بجامع المدينة ، فوقف عليّ شابّ ، حسن الشباب ، فاخر الثياب ، ومعه أصحابه ، فسمعني أقول في وعظي : عجباً لضعيف يعصي قويّاً ! فتغير لونه وانصرف . فلما كان من الغد جلستُ في مجلسي ، وإذا بالفتى قد أقبل، فسلم ، وصلى ركعتين ، وقال : يا سريّ ! سمعتُك بالأمس تقول : عجباً لضعيف يعصي قوياً ! فما معناه ؟ فقلتُ : لا أقوى من الله ، ولا أضعف من العبدوهو يعصيه ، فنهض ، فخرج ؛ ثم أقبل من الغد وعليه ثوبان أبيضان ، وليس معه أحد ، فقال : يا سري ! كيف الطريق إلى الله ؟ فقلتُ : إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل ؛ وإن أردت الله فاترك كلّ شيء سواه تصل إليه ، وليس إلا المساجد [٢] والخراب والمقابر ، فقام وهو يقول : والله لاسلكتُ إلا أصعب الطرق، وولى خارجاً . فلما كان بعد أيام أقبل إليّ غلمان كثير ، فقالوا : ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب ؟ فقلت : لا أعرفه ؛ إلا أنّ رجلاً جاءني ، من صفته كذا وكذا ، فجرى لي معه كذا وكذا ، ولا أعلم حاله ، فقالوا : نقسم عليك بالله متى عرفت حاله فعرّفنا ، ودَلّوني على داره . فبقيتُ

---

(١) هو سري بن المغلس السَّقَطي أبو الحسن، بغدادي المولد والوفاة،وهو أول من تكلم في بغداد بلسان أحوال الصوفية ، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته ، وهو خال الجنيد وأستاذه ، صحب معروفاً الكرخي ، توفي رحمه الله سنة (٢٥٣ هـ) من كلامه : من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز .

(٢) وعلى هامش « أ » الظاهر : وأنس بالمساجد .

سنة لا أعرف له خبراً ، فبينا أنا ذات ليلة بعد عشاء الآخرة جالساً في بيتي ، إذا بطارق يطرق الباب ، فأذنتُ له بالدخول ، فإذا بالفتى عليه قطعة من كساءٍ في وسطه ، وأخرى على عاتقه ، ومعه زنْبيل فيه نوى. فقبّل بين عينيّ ، وقال لي: يا سريّ ! أعتقك الله من النار كما أعتقتني من رقّ الدنيا . فأومأتُ إلى صاحبي أن امضِ إلى أهله فأخبرهم . فمضى وإذا بزوجته قد جاءت ومعها ولده وغلمانه . فدخلتْ وألقت ولده في حجره وعليه حليّ وحُلل ، وقالت له : يا سيدي ! أرملتني وأنت حيّ ، وأيتمتَ ولدك وأنت حيّ . قال سريّ : فنظر إليّ وقال : يا سريّ ! ما هذا وفاء ، ثم أقبل عليها ، فقال : والله إنكِ لثمرةُ فؤادي وحبيبةُ قلبي ، وإنّ هذا ولدي لأعزّ الخلق عليّ ، غير أنّ هذا سريّ أخبرني أنّ من أراد الله قطع كلّ ما سواه . ثم نزع ما على الصبي ، فقال: ضعي هذا في الأكباد الجائعة والأجساد العارية ، وخرق قطعة من كسائه فلفّ فيها الصبي[(١)] . فقالت المرأة : لا أرى ولدي في هذه الحال ! وانتزعتْه منه ، فحين رآها قد اشتغلتْ به ، نهض وقال : ضيّعتم عليّ ليلتي ، بيني وبينكم الله ، وولىّ خارجاً ، وضجّت الدّار بالبكاء، فقالت: إن عدتَ سمعت له خبراً فأعلمني ، فقلت : نعم . فلما كان بعد أيام أتت عجوز ، فقالت : يا سريّ ! بالشونيزية[(٢)] غلام يسألك الحضور ،

(١) هذا من الغلو في الزهد ، وهو مخالف لهدي رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في معاملة أهله وولده ، ومعاملة أولاد بناته .

(٢) الشونيزية : مقبرة ببغداد بالجانب الغربي ، دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين وهناك خانقاه للصوفية .

فمضيتُ فإذا به مطروح في تربة ، تحت رأسه لَبِنَة . فسلمت عليه ، ففتح عينيه وقال : يا سريّ أترى تُغفَر تلك الجنايات ؟ فقلت : نعم. قال : يُغْفَر لمثلي ؟ قلت : نعم . قال : أنا غريق ! قلت : هو منجي الغَرْقى . فقال: عليَّ مظالم، فقلت : في الخبر « أنّه يؤتى بالتائب يوم القيامة ، معه خصومه ، فيُقال لهم : خلوا عنه فإنّ الله تعالى يعوّضكم » فقال : يا سريّ ! معي دراهم من لقط النوى ، إذا أنا مت فاشترِ لي ما أحتاج إليه وكفّنّي ، ولا تُعْلِم أهلي لئلا يغيرّوا كفني بحرام . قال سريّ : فجلست عنده قليلاً ، ففتح عينيه ، فقال : ﴿ لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ العامِلونَ ﴾[الصافات : ٦١] ثمّ مات. فأخذتُ الدراهم ، وجئت فاشتريت ما يحتاج إليه ، وسرتُ نحوه ؛ فاذا الناس يهرعون، فقلت : ما الخبر ؟ فقيل: مات وليّ من أولياء الله نريد أن نصليَ عليه . فجئت فغسلته ودفنّاه . فلمّا كان بعد مدّة نفذ أهله يستعلمون خبره ، فأخبرتُهم بموته ، فاقبلت امرأته باكية فأخبرتها بحاله ، فسالتني أن أريها قبره . فقلت : أخاف أن تغيّروا أكفانه ، قالت : لا واللهِ ! فاريتها القبر ، فبكت ، وأمرت بإحضار شاهدين ، فأحضرتُها ، وأعتقَت جواريها وأوقفت عقارها وتصدّقت بمالها ، ولزمت قبره حتى ماتت .

١٠٦ - [توبة امرأة بارعة الجمال أرادت ان تغوي الربيع بن خيثم]

أنبأنا محمد بن عبد الباقي قال : أنبأنا جعفر بن أحمد قال : أنا أحمد

ابن عليّ ، قال: أنا محمد بن عبد الله الدّقاق قال: أنا الحسين بن صفوان ، قال : أنا عبد الله بن محمد ، حدثني الحسين بن عبد الرحمن ، قال : أنبأنا أبو القاسم محرز الجلاب قال : حدثني سعدان ، قال :

أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرّض للربيع بن خيثم [1] لعلها تفتنه ، وجعلوا لها ، إن فعلت ذلك ، ألف درهم ، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب ، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه ، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده . فنظر إليها ، فراعه أمرها . فأقبت عليه وهي سافرة، فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمكِ فغيّرت ما أرى من لونكِ وبهجتك ؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منكِ حبل الوتين [2] ؟ أم كيف بك لو سالك منكر ونكير ؟ فصرخت صرخةً فسقطت مغشياً عليها ، فوالله لقد أفاقت ، وبلغت من عبادة ربها ما أنها كانت يومَ ماتت كأنها جِذْع محترق [3]

---

(١) كذا في «أ» و«ب» والمطبوعة : الربيع بن خيثم ، بالخاء المعجمة المفتوحة والياء الساكنة والثاء المفتوحة، وهو كذلك في «الخلاصة» . وفي «تقريب التهذيب» و« تهذيب التهذيب » للحافظ ابن حجر : « خُثَيم » بضم الخاء المعجمة وفتح الثاء وسكون الياء . وهو الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله بن موهب بن منقذ الثوري أبو يزيد الكوفي ، من أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ومن أشدهم وَرَعاً : ثقة عابد مخضرم ، توفي رحمه الله سنة (٦١ هـ) وقيل : (٦٣ هـ)

(٢) الوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه ، جمعه وتن ، وأوتنة . ووتنه كوعده : أصاب وتينه .

(٣) كتب هنا في الأصل « ب » : آخر الجزء الخامس من أصل المؤلف .

١٠٧ - [توبة جار لأحمد بن حنبل]

حدثنا الشيخ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي [١] أنا الحافظ أبو الفضل ابن ناصر ، أنا أبو طالب اليوسفيّ ، أنا أبو إسحاق البرمكيّ ، أنا أبو عبد الله بن بطّة [٢] قال: حدثني أبو بكر الآجري [٣] قال: سمعت ابن أبي الطيّب يقول : حدثنا جعفر الصائغ ، قال :

كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل رجل ممن يمارس المعاصي والقاذورات ، فجاء يوماً إلى مجلس أحمد يسلم عليه ، فكأنّ أحمد لم يردّ عليه ردّاً تاماً وانقبض منه . فقال له : يا أبا عبد الله ! لِمَ تنقبض مني ؟ فإني قد انتقلت عمّا كنت تعهدني برؤيا رأيتُها . قال : وأيّ شيء رأيت ؟ قال : رأيت النبي ﷺ في النوم كأنّه على علوّ من الأرض وناس كثير أسفل جلوسٌ . قال: فيقوم رجل رجل منهم إليه ، فيقول: ادعُ لي ! فيدعو له ، حتى لم يبقَ من القوم غيري . قال: فأردت

---

(١) ابن الجوزي الحنبلي البغدادي .

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أبو عبد الله العكبري المعروف بابن بطة (٣٠٤ - ٣٨٧ هـ) عالم بالحديث ، فقيه من كبار الحنابلة ، من أهل عكبرا مولداً ووفاة ، رحل الى مكة والثغور والبصرة وغيرها في طلب الحديث ثم لزم بيته أربعين سنة ، فصنف كتبه ، وهي تزيد على مئة كتاب ، منها « الابانة في أصول الديانة » « والسنن » و« التفرد والعزلة » وغيرها ، وهناك ابن بُطة بضم الباء غير هذا .

(٣) هو محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجري ، فقيه شافعي محدث ، نسبة إلى «آجر» من قرى بغداد ولد فيها وحدث ببغداد ثم انتقل الى مكة فتنسّك وتوفي فيها ، له تصانيف كثيرة ، منها « أخبار عمر بن عبد العزيز » و « أخلاق حملة القرآن » و « أخلاق العلماء » و « الشريعة » وغيرها ، توفي رحمه الله سنة (٣٦٠ هـ)

آن أقوم فاستحيت من قبيح ما كنت عليه . قال لي : يا فلان ! لِمَ لا تقوم إليّ فتسألني أدعو لك ؟ قال : قلت : يا رسول الله ! يقطعني الحياء لقبيح ما أنا عليه ، فقال : إن كان يقطعكَ الحياء فقمْ فسلني أدعُ لك ، فإنك لا تسبّ أحداً من أصحابي . قال: فقمت فدعا لي فانتبهت وقد بغّض الله إليّ ما كنت عليه . قال : فقال لنا أبو عبد الله : يا جعفر ! يا فلان ! حدّثوا بهذا واحفظوه فإنه ينفع .

١٠٨ - [توبة أبي عمرو بن علوان عن نظره الى امرأة][1]

أنبأنا الإمام العلاّمة أبو اليمن زيد بن الحسن الكنديّ[2] أخبر عبد الرحمن بن محمد[3] القزّاز ، أنا أحمد بن عليّ بن ثابت قال : حدثني محمد بن الحسن الساحلي[4] ، أنا عمّار بن عبد الله الصوفيّ قال: سمعت محمد ابن حمّاد الرحبي يقول : سمعت أبا عمرو بن علوان يقول :

خرجت يوماً في حاجــة فرأيت جنازةً فتبعتُها لأصلي عليها . ووقفت في جملة الناس حتّى تُدفن . فوقعت عيني على امرأة مسفرة،

---

(١) في المطبوعة : عمر بن علوان ، وهو خطأ .
(٢) هو زيد بن الحسن بن زيد بن سعيد الحميري من ذي رعين أبو اليمن تاج الدين الكندي (٥٢٠ - ٦١٣ هـ) أديب من الكتاب الشعراء العلماء ، ولد ونشأ ببغداد ، وسكن دمشق وقصده الناس يقرؤون عليه وهو شيخ المؤرخ سبط ابن الجوزي ، توفي رحمه الله في دمشق ، له تصانيف كثيرة .
(٣) في نسخة : عبد الرحمن بن نصر .
(٤) في نسخة : المناحلي .

من غير تعمد ، فلمحت بالنظر [١] واسترجعت واستغفرت الله تعالى وعدت إلى منزلي . فقالت لي عجوز : يا سيّدي ! مالي أرى وجهك أسود ؟ فأخذت المرآة فنظرت ، فإذا وجهي أسود . فرجعت إلى سري أنظر من أين دُهيت [٢] ، فذكرت النظرة . فانفردت في موضع أستغفر الله تعالى وأساله الإقالة أربعين يوماً . فخطر في قلبي أن زُرْ شيخك الجنيد . فانحدرت إلى بغداد . فلما جئت الحُجرة التي هو فيها طرقت الباب ، فقال : ادخل ، يا أبا عمرو ! تُذْنِب بالرَّحْبة [٣] ويُستغفر لك ببغداد .

١٠٩ - [توبة فتى شاب وجارية جميلة احب كل منهما الآخر]

أخبرنا أبو الحسين عبد الحقّ بن عبدالخالق بن أحمد بن عبدالقادر ابن يوسف ، أنا أبو الحسن عليّ بن محمّد بن العلاّف ، أنا أبو القاسم عبد الملك بن محمّد بن بشران الواعظ ، ثنا أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم ابن عليّ الكنديّ ، أنا أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل السامريّ ، أنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد عن ابن أبي كامل ، عن اسحاق بن إبراهيم ، عن رجاء بن عمر النخعيّ ، قال :

(١) لمح بالنظر : اختلس به . وفي المطبوعة : "فلَحِحْتُ" ، ولا معنى لها هنا . قال في «التاج» "لَحِحَتْ" عينه كسمع : لصقت بالرمص . وقيل : لححا : لزوق أجفانها لكثرة الدموع .

(٢) أي أصبت بداهية ، وهي الأمر العظيم .

(٣) محلة بالكوفة ، وموضع ببغداد .

كان بالكوفة فتى جميلُ الوجه،شديدُ التعبُّد والاجتهاد ، وكان أحدَ الزهّـاد ، فنزل في جوار قوم من النخع ، فنظر إلى جاريةٍ منهم جميلة ، فهويها وهام بها عقله ، ونزل بها مثـل الذي نزل به . فارسل يخطبها من أبيها ، فأخبره أبوها أنّها مسماة لابن عمّ لها . واشتـدّ عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى ، فأرسلت إليـه الجارية : قد بلغني شـــدة محبّـتك لي ، وقد اشتدبلائي بك لذلك،مع وجدي بك. فإن شئت زرتك وإن شئت سهلت لك أن تأتيني الى منزلي . فقال للرسول : لا واحدة من هاتين الخصلتين ، (إني أخافُ إنْ عصيت ربي عـذابَ يوم عظيم) [الزمر:١٣]،أخاف ناراً لايخبو[(١)] سعيرها ولا يخمد لهبها[(٢)] فلما انصرفَ الرسول إليها فأبلغها ما قال،قالت: وأراه معهذا زاهداً يخاف الله تعالى؟! والله ما أحدٌ أحق بهذا من أحد ، وإنَّ العِـبادَ فيه لمُشتركون[(٣)] . ثم انخلعت من الدنيا ، وألقت علائقها خلف ظهرها ، ولبست المسوح ، وجعلتْ تعبد، وهي مع ذلك تذوب وتنحل حبّـاً للفتى وأسفاً عليه،حتى ماتت شوقاً إليه . فكان الفتى يأتي قبرها . فرآها في منامه وكأنّـها في أحسن منظر ، فقال : كيف أنتِ ، وما لقيت بعدي ؟ فقالت :

---

(١) أي لايسكن ولايطفأ .

(٢) لايسكن لهبها .

(٣) في المطبوعة جلة (وان العباد فيه لمشتركون) وضعت بين قوسين كأنها آية ، وليست بآية .

نعمَ المحبّةُ يا حبيبي حُبكا
حُبٌ يقودُ إلى خيرٍ وإحسانِ

فقال على ذلك : إلى ما صرتِ ؟ فقالت :

إلى نعيمٍ وعيْشٍ لا زوال له
في جَنّةِ الخلد ملكٌ ليس بالفَاني

فقال لها : اذكريني هناك فإني لست أنساكِ . فقالت : ولا أنا والله أنساكَ ، ولقدسالتك ربي ، مولاي ومولاك، فأعانني على ذلك بالاجتهاد . ثم ولّتْ مدبرة ، فقلت لها : متى أراكِ ؟ قالت : ستأتينا عن قريب ، فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلاّ سبع ليال حتى مات ،رحمهما الله .

١١٠ - [توبة رجل عن الشراب والعود بسماع آيات من القرآن]

أنبانا الشيخ أبو الفرج ، أنا الحافظ أبو الفضل بن ناصر ، أنا محمد ابن أبي نصر الحميديّ ، قال : أنا محمد بن سلامة القضاعيّ ، قال : أنا محمد بن أحمد الكاتب قال : أنا أبو مسلم ، قال : أنا محمد بن الحسين بن دريد قال : أخبرنا الحسن بن خضر ، أخبرني رجل من أهل بغداد عن أبي هاشم (١) المذكّر (٢) ، قال :

(١) في « ب » والمطبوعة : عن أبي هشام .

(٢) يقال : المذكِّر ، لمن يعظ الناس ويذكّرهم .

أردتُ البصرة ، فجئت إلى سفينة أكتريها ، وفيها رجل ومعه جارية ، فقال الرجل : ليس هاهنا موضع . فسألته الجارية أن يحملني فحملني . فلما سرنا دعا الرجل بالغداء [١] فوُضع ، فقال: أنزلوا ذلك المسكين ليتغدّى [٢] فأُنزِلتُ على أني مسكين . فلما تغدّينا [٣] ، قال : يا جارية ! هاتي شرابك . فشرب وأمرها أن تسقيني ، فقلتُ : رحمك الله ! إن للضيف حقاً ، فتركني ، فلما دبّ فيه النبيذ ، قال : يا جارية! هاتي العود وهاتي ما عندكِ . فأخذت العود وغنت تقول

وَكُنّا كغُصْني بانة [٤] ليسَ واحدٌ
يزولُ على الخُلاّنِ عن رأي واحِدِ

تبدَّلَ بي خِلاً فخَاللتُ غيرَهُ [٥]
وَخَلّيتُهُ [٦] لما أرادَ تباعُدي

فَلَوْ أن كفّي لم تردْني أبَنْتُها [٧]
وَلَم يصْطَحِبْها بعدَ ذلكَ ساعدِي

---

(١) في المطبوعة : بالغذاء بالذال المعجمة .
(٢) في المطبوعة : ليتغذّى .
(٣) في المطبوعة : فلما تغذّينا .
(٤) أي شجرة .
(٥) أي تبدل بي صديقاً فصادقت غيره .
(٦) في نسخة : وباعدته .
(٧) أي قطعتها .

أَلا قَبحَ الرَّحمنُ كلَّ مُمَاذِقٍ[1]

يَكُونُ أَخاً في الخَفض ِ[2] لا في الشدائد

ثمّ التفت إليّ فقال : أتحسن مثل هذا ؟ فقلت : أحسنُ خيراً منه. فقرأتُ : ﴿ إذا الشَّمسُ كُوِّرَتْ ، وَإذا النجُومُ انكَدَرَتْ ، وإذَا الجِبالُ سُيِّرَتْ ﴾. [التكوير : ١ ـ ٣] فجعل الشيخ يبكي ؛ فلما انتهيتُ إلى قوله : ﴿ وَإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾[التكوير : ١٠] قال الشيخ : يا جارية ! اذهبي ! فانت حرة لوجه الله تعالى . وألقى ما معه من الشراب في الماء وكسر العود . ثم دنا إليّ فاعتنقني وقال : يا أخي ! أترى الله يقبل توبتي ؟ فقلت : ﴿ إنَّ الله يُحِبُّ التَّوابينَ ويُحبُّ المتطهرينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

قال : فواخيتُه بعد ذلك أربعين سنة حتى مات قبلي . فرأيتُه في المنام ، فقلت له : إلىمَ صرتَ ؟ قال: إلى الجنة . قلت : بمَ[3] صرت إلى الجنة ؟ قال : بقراءتك عليّ : ﴿ وَإذا الصُّحُفُ نُشِرتْ ﴾ [التكوير : ١٠] .

---

(١) مماذق : غير مخلص .

(٢) في المطبوعة : في الخفض بكسر الخاء ، وهو خطأ .

(٣) في المطبوعة : بما .

١١١ [نوبة شيخ مهلبي وجارية في الشراب والضرب بالعود]

أخبرنا الامام الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني [١] إجازة ، قال : أنا أبو الفتح عبد الرزاق بن محمد الشرابيّ ، قال : أنا سعيد بن محمد بن سعيد الوليّ ، أنا علي بن أحمد الواقديّ ، أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي ، قال : أخبرني أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الغازي ، قال : أخبرني أبو محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني [٢] ثنا الحسن بن محمد البلخي ، ثنا أحمد بن الليث ، ثنا عمر ابن محمد ، ثنا أبو عياش الخولاني قال : حدثني صالح بن عبد الله الخزاز ، حدثني إسماعيل بن عبد الله الخزاعي ، قال :

قدم رجل من المهالبة من البصرة أيام البرامكة في حوائج له ، فلما فرغ منها انحدر إلى البصرة ومعه غلام له وجارية . فلما صار في دجلة إذا بفتى على ساحل دجلة ، عليه جبة صوف وبيده عكازة ومزود ، قال : فسأل الملاحَ أن يحمله إلى البصرة ويأخذ منه الكراء . قال : فأشرف الشيخ المهلبي ، فلما رآه رق له ، فقال للملاح : قرب واحمله معك على الظلال ، فحمله . فلما كان في وقت الغداء [٣] دعا الشيخ

(١) هو الحافظ الكبير شيخ الاسلام محمد بن أبي بكر (عمر) بن أبي عيسى (أحمد) ابن عمر الأصبهاني أبو موسى المديني صاحب التصانيف النافعة الكثيرة والمعرفة التامة والرواية الواسعة ، شيخ زمانه اسناداً وحفظاً ، حدث عنه علماء أجلاء ، وروى عنه طائفة بالإجازة ، توفي رحمه الله سنة (٥٨١ هـ) .

(٢) في نسخة : الأصفهاني .

(٣) في المطبوعة : الغذاء .

بالسفرة ، وقال للملاح : قل للفتى ينزل إلينـا ، فأبى عليـه ؛ فلم يزل يطلب إليه حتى نزل . فأكلوا . حتى إذا فرغوا ذهب الفتى ليقوم ، فمنعه الشيخ حتى توضؤوا ؛ ثم دعا بزكرة [1] فيها شراب ، فشرب قدحاً ، ثم سقى الجارية ، ثم عرض على الفتى . فأبى وقال : أحب أن تعفيني . قال : قد أعفيناك ، اجلس معنا ، وسقى الجارية ، وقال : هاتي ما عندك [2] ، فأخرجت عوداً لها في كيس ، فهيأته وأصلحته ، ثم أخذت فغنت : فقال : يا فتى ! تحسن مثل هذا ؟ قال : أحسن ماهو أحسن من هذا . فافتتح الفتى : ﴿ بسمِ الله الرحمن الرحيم ﴾ ؛ ﴿ قل متاعُ الدُّنيا قليلٌ والآخرةُ خيرٌ لمن اتقى ولا تُظلمونَ فتيلاً . أين ما تكونوا يدرككمُ الموت ولَو كنتُم في بروج مشيَّدة ﴾ . [النساء : ٧٧ ، ٧٨] وكان الفتى حسن الصوت . قال : فرجّ الشيخ بالقدح في الماء ، وقال : أشهدأن هذا أحسن مما سمعت ! فهل غير هذا ؟ قال :نعم، ﴿ وقُل الحقُّ من ربكُم فمن شاء فليُؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثُوا بماءٍ كالمهل يشوي الوجوهَ بئسَ الشَّراب وساءت مرتفقا ﴾ [الكهف : ٢٩] قال : فوقعت من قلب الشيخ موقعاً . قال : فأمر بالزكرة [3] فرمى بها وأخذ العود فكسره . ثم قال : يافتى ! هل هاهنا فرج ؟ قال : نعم،

(١) الزكرة ، بضم الزاي وسكون الكاف : زق للخمر والخل . وفي « أ » : ثم دعا بركوة . والركوة : إناء للماء من جلد خاصة .

(٢) في نسخة : هاتي مامعك .

(٣) في « أ » نسخة : بالركوة

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾[الزمر : ٥٣] قال: فصاح الشيخ صيحة خرّ مغشياً عليه . فنظروا فإذا الشيخ قد ذاق الموت ، وقد قاربوا « البصرة » . قال : فضج القوم بالصُّراخ واجتمع الناس - وكان رجلاً من المهالبة معروفاً - فحمل إلى منزله ، فما رأيت جنازة كانت أكثر جمعاً منها . قال: فبلغني أنّ الجارية المغنية تدرّعت الشَّعر ، وفوق الشعر جبّة صوف، وجعلت تقوم الليل وتصوم النهار . فمكثت بعده أربعين ليلة . ثم مرت بهذه الآية في بعض الليالي : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً ﴾ [الكهف : ٢٩] قال : فأصبحوا ، فأصابوها ميّتة .

١١٢ - [توبة أعرابي لسماع آية من القرآن]

قال الثعلبي (١) : وحدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن جعفر المذكّر (٢) ، ثنا الحاكم أبو محمد يحيى بن منصور ، ثنا أبو رجاء

(١) هو أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أبو إسحاق ، مفسر من أهل نيسابور ، له اشتغال بالتاريخ . من كتبه « عرائس المجالس » في قصص الأنبياء ، و « الكشف والبيان في تفسير القرآن » يعرف بتفسير الثعلبي . توفي رحمه الله سنة (٤٢٧ هـ) .

(٢) يذكّر الناس ويعظهم .

محمد بن أحمد القاضي، ثنا أبو الفضل العباس بن أبي الفرج الرياشي قال: سمعت الأصمعي [(١)] يقول:

أقبلتُ ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة. فبينا أنا في بعض سِكَكها، إذ طلع أعرابي جلفٌ جاف [(٢)] على قَعود [(٣)] له متقلّد سيفه وبيده قوس، فدنا وسلم وقال لي: ممن الرجل؟ قلت: من بني الأصمع، قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يُتلى فيه كلام الرحمن. قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون! قلت: نعم. قال: اتلُ عليّ شيئاً منه. فقلتُ له: انزل عن قَعودك. فنزل، وابتدأتُ بسورة الذاريات. فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات: ٢٢]، قال: يا أصمعي! هذا كلام الرحمن؟ قلت: إي والذي بعث محمداً بالحق إنه لكلامه أنزله على نبيه محمد ﷺ! فقال لي: حسبك! ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها، وقال: أعنّي على تفريقها. ففرقناها على من أقبل وأدبر. ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وجعلها تحت الرّحل. وولى مُدبراً نحو البادية وهو يقول: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات:

---

(١) هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي أبو سعيد الأصمعي (١٢٢-٢١٦هـ) راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان نسبة الى جده أصمع، مولده ووفاته بالبصرة، كان كثير التطواف في البوادي يقتبس علومها ويتلقى أخبارها ويتحف بها الخلفاء فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة، أخباره مشهورة وتصانيفه كثيرة.

(٢) في «ب» والمطبوعة: حاف بالحاء المهملة.

(٣) القعود: القلوص والبكر إلى أن يُثني، والفصيل.

٢٢] . فاقبلتُ على نفسي باللوم، وقلت : لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي، فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة ، فبينا أنا أطوف بالكعبـة ، إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق . فالتفتُّ فإذا أنا بالأعرابي نحيلاً مصفاراً[١] فسلم عليّ وأخذ بيدي وأجلسني من وراء المقام ، وقال لي : اتل كلام الرحمن ، فأخذت في سورة (الذاريات) . فلما انتهيت إلى قوله تعالى : ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ [الذاريات : ٢٢] ، صاح الأعرابي: وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقاً . ثم قال : وهـل غـير هذا ؟ قلت : نعم ، يقول الله عز وجلّ ﴿ فورب السماء والأرض إنـه لحق مثل مـا أنـكم تنطقون[٢] ﴾ [الذاريات : ٢٣] . فصاح الأعرابي وقال : ياسبحان الله ! من الذي أغضب الجليل حتى حلف ؟! ألم يصدّقوه حتى ألجؤوه إلى اليمين ؟! قالها ثلاثاً ، وخرجت فيها روحه .

١١٣ - [توبة أمير من أمراء الأعراب بسبب الصوم]

وحكي عن ابن سمعون[٣] قـال : سمعت الشبلي[٤] يقول : كنتُ في

(١) كذا في الأصل « أ » نحيلاً مصفاراً، على أنه حال سد مسد الخبر . وفي « ب » والمطبوعة : نحيل مصفار .

(٢) في المطبوعة : مثل ما تنطقون ، وهو خطأ .

(٣) هو محمد بن أحمد بن اسماعيل بن عنبس بن سمعون أبو الحسين (٣٠٠ - ٣٨٧هـ) زاهد واعظ مولده ووفاته ببغداد ، علت شهرتـه حتى قيل : أوعظ من ابن سمعون. من كلامه : رأيت المعاصي نذالة ، فتركتها مروءة ، فاستحالت ديانة .

(٤) هو أبو بكر الشبلي بكسر الشين، نسبة الى قرية « شبلة » من قرى ماوراء النهر (٢٤٧ - ٣٣٤ هـ) ناسك عابد ، كان في مبدإ أمره والياً ، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة ، فاشتهر بالصلاح ، مولده بـ « سر من رأى » ووفاته ببغداد ، اشتهر بكنيته واختلف في اسمه ، وأشهر ذلك دُلَف بن جحدر .

قافلة بالشام ، فخرج الأعراب فأخذوها وجعلوا يعرضونها على أميرهم. فخرج جِراب[1] فيه سكّر ولوز ، فأكلوا منه والأمير لا يأكل ، فقلت له : لم لا تأكل ؟ فقال: أنا صائم . فقلتُ : تقطع الطريق، وتأخذ الأموال ، وتقتل النفس ، وأنت صائم ؟! فقال : يا شيخ ! أجعلُ للصلح موضعاً . فلما كان بعد حين رأيتُه يطوف حول البيت وهو محرم كالشَّن[2] البالي . فقلت : أنت ذاك الرجل ؟ فقال: ذاك الصوم بلغ بي هذا المقام .

١١٤ - [توبة لبيب العابد عن قتل الحيات]

وذكر القاضي أبو علي التنوخي[3] ، قال : كان ينزل بباب الشام من الجانب الغربي ببغداد رجل مشهور بالزهد والعبادة يُقال له : لبيب العابد . وكان الناس ينتابونه[4] . فحدثني لبيب ، قال : كنت مملوكاً رومياً لبعض الجند ، فرباني وعلمني العمل بالسلاح ، فصرت رجلاً ، ومات مولاي بعد أن أعتقني ، فتوصلتُ إلى أن جعلتُ رزقه لي ،

(١) الجراب بكسر الجيم . المزود أو الوعاء .

(٢) الشّن : القِربة الخَلَق الصغيرة .

(٣) في الأصل : « أبو الحسين بن علي » وهو خطأ ، صوابه « أبو علي » ، واسمه: المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد التنوخي المشهور (٣٢٧ - ٣٨٤ هـ) صاحب كتاب « الفرج بعد الشدة » ، - وفي النية القيام بتحقيقه وطبعه ان شاء الله - وكان أديباً شاعراً أخبارياً ، نزل بغداد وأقام بها ، وحدث الى حين وفاته .

(٤) أي يأتون اليه مرة بعد مرة .

وتزوجت امرأته . وقد علم الله تعالى أني لم أرد بذلك إلا صيانتها . وأقمت معها مدة . فاتفق أني رأيت يوماً حية داخلة إلى جحرها[1] . فامسكت ذَنبها لأقتلها ، فوثبت[2] عليّ فنهشت يدي فشَلَّت ، ومضى زمن طويل على هذا فشلت يدي الأخرى بغير سبب أعرفه ، ثم جفت رجلاي، ثم عميتُ ثم خَرِسْتُ . فكنت على هذه الحال سنةً كاملةً ؛ لم يبق لي جارحة صحيحة إلا سمعي أسمع به ما أكره ؛ وأنا طريح على ظهري لا أقدر على كلام ولا إيماءٍ ولا حركة؛ أُسقى وأنا ريّان، وأُترك وأنا عطشان ، وأُطعم وأنا شبعان ، وأُمنع وأنا جائع . فلما كان بعد سنة دخلت امرأة على زوجتي ، فقالت : كيف أبو عليّ لبيب ؟ فقالت لها زوجتي : لا حيّ فيرجى ولا ميّت فيُسلى ، فاقلقني ذلك وآلم قلبي ألماً شديداً ، فبكَيْت وضججت إلى الله تعالى في سري ودعوتُ ، وكنت في جميع تلك العلل لا أجد ألماً في نفسي . فلما كان في بقية ذلك اليوم ضرب علي جسدي ضَرَباناً شديداً كاد يتلفني ، ولم يزل على ذلك إلى أن دخل الليل وانتصف ، أو جاز[3] فسكن الألم قليلاً ، فنمت ، فما أحسست إلا وقد انتبهت وقت السحر وإحدى يديّ على صدري ، وقد كانت طول السنة مطروحة على الفراش لا تنشال ، أو تُشال . فحركتُها فتحرّكت ، ففرحت فرحاً شديداً ، وقوي طمعي في تفضل

---

(١) في المطبوعة : حجرها .

(٢) في «ب» والمطبوعة ونسخة في « أ » فانثنت .

(٣) في هامش « أ » الظاهر : كاد .

الله بالعافيــة ، فحركت الأخرى فتحركت ، فقبضت إحــدى رجلي فانقبضت ، فرددتها فرجعت ؛ وفعلت بالأخرى مثل ذلك ، فرُمت (١) الانقلاب ، فانقلبت وجلست ؛ ورمت القيـــام فقمت ، ونزلت عن السرير الذي كنت مطروحاً عليه ، وكان في بيت من الدار ، فمشيت ألتمس الحائط في الظلمة إلى أن وقعت يدي على الباب ، وأنا لا أطمع في بصري . فخرجت إلى صحن الدار ، فرأيت السماء والكواكب تزهر ، فكدت أموت فرحاً ، وانطلق لساني بأن قلت : يا قـديم الإحسان ! لك الحمد. ثم صحت بزوجتي ، فقالت : أبو علي ؟ فقلت: الساعةَ صرت أبا علي ! اسرجي ! فاسرجت ؛ فقلت : جيئيني بمقراض، فجاءت به ، فقصصت شارباً كان لي على زيّ الجند . فقالت لي زوجتي : ما تصنع؟ الآن (٢) يعيبك رفقاؤك ! فقلت : بعد هذا لا أخدم أحـداً غير ربي . فانقطعت إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ وخرجت من الدار ولزمت عبادة ربي. قال : وكانت هـــذه الكلمة (٣) : « يا قديم الاحسان لك الحمـد » ، قد صارت عادته يقولها في حشو كلامه . وكان يُقال : إنه مجاب الدعوة .

١١٥ - [توبة المعتصم ورجوعه عن قتل تميم بن جميل]

قال : (٤) ووجدتُ في بعض الكتب : قال أحمد بن أبي دُوَاد (٥)

---

(١) أي : فطلبتُ

(٢) في «ب» والمطبوعة ونسخة في « أ » : الساعة .

(٣) في المطبوعة : وكانت هذه الكلمة لايفارقها .

(٤) أي القاضي أبو علي التنوخي .

(٥) في «ب» والمطبوعة : أحمد بن أبي داود ، وهو خطأ .

ما رأيت رجلاً قط أشرف على الموت، فما شغله ولاأذهله عما يريد حتى بلغه وخلصه الله ـ عز وجل ـ إلا تميم بن جميل ، فإني رأيته بين يدي المعتصم وقد بُسط له النِّطع [١] وانتُضي له السيف [٢] وكان رجلاً جسيماً وسيماً . فاحب المعتصم أن يستنطقه لينظر أين منظره من مخبره ، فقال له : تكلّم ! فقال : أما إذ أذن أمير المؤمنين ، فالحمد لله ﴿ الذي أحسنَ كل شيء خلقه وبدأ خلقَ الإنسان من طينٍ . ثم جعلَ نسلَهُ من سُلالة من ماءٍ مهين﴾ [السجدة : ٧ ، ٨] يا أمير المؤمنين ! جبر الله بك صدع الدين [٣] ، ولمَّ بك شعث المسلمين [٤] ، إن الذنوب تخرس الألسنة وتخلع الأفئدة ؛ وايم [٥] الله ! لقد عَظُمت الجريرة [٦] وانقطعت الحجة ، وساء الظنّ ، ولم يبقَ إلا عفوك أو انتقامك [٧] ثم أنشأ يقول :

أرى الموتَ بين السَّيف والنِّطع كامِناً
يلاحِظني من حيثُ ما أتلفتُ

---

(١) النطع ، بكسر النون وفتحها ، وبفتح النون والطاء : بساط من الأديم ، جمع أنطاع ونطوع ، ونطوع بالكسر .
(٢) أي : وُجرد له السيف .
(٣) أي شق الدين وضعفه .
(٤) أي تفرُّقهم .
(٥) في المطبوعة : وأيم بهمزة قطع ، وهو خطأ .
(٦) الجريرة : الذنب والجناية ، يقال : جر على نفسه وغيره جريرة يجرها بضم الجيم وفتحها ، جراً .
(٧) في « ب » والمطبوعة : وإبقاؤك .

وَأكبَرُ ظني أنكَ اليومَ قاتلي
وأيُّ امرئٍ مِمَّا قضى اللهُ يفلتُ
وَأيُّ امرئٍ يُدلي بعذر وحجَّة
وَسَيفُ المنايا بينَ عينيه مُصْلَتُ
وما جزَعي من أن أموتَ فإنَّني
لأعلَمُ أنَّ الموت شيءٌ مُؤقَّتُ
ولكنَّ خلفي صِبْيَةً قدْ تركتُهمْ
وأكبادُهمْ من حرِّها تتَفتَّتُ
فإن عشت عاشوا سالمين[1] بغبطة
أذُودُ العدى عنهم وَإن متُّ موَّتوا
كأني أراهم حين أنعى إليهم
وقد لطموا تلك الخدود وصوَّتوا[2]

قال: فاستعبر المعتصم[3]، ثم قال: يا تميم! قد عفوتُ عن الهفوة، ووهبتُك للصِّبية. ثم أمر به ففكّ حديده وخلع عليه وعُقد له على سقي الفرات.

١١٦ - [توبة لص من اللصوص عن التعرض للناس]

أنبأنا الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي، أنا أبو الحسين بن

(١) في « ب » حافظين، وفي المطبوعة ونسخة في « أ »: خافضين.
(٢) هذا البيت سقط من المطبوعة.
(٣) أي جرت عَبرَتُه، وحزن. والعَبْرة: الدّمعة قبل أن تفيض، أو تردد البكاء في الصدر، أو الحزن بلا بكاء، وجمع العَبرة: عَبرات، وعِبَر.

الطيوريّ ، أنا أبو القاسم عبد العزيز بن عليّ بن أحمد بن الفضل ، أنا أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن الحسين [1] بن جهضم ، ثنا حبيب ، ثنا الفضل بن أحمد ، ثنا محمد [2] بن مرزوق قال : حدثني أبي قال : حدثتني أمة الملك بنت هشام بن حسان ، قالت :

خرج عطاء الأزرق إلى الجبّان [3] يصلي بالليل ، فعرض له لص ؛ فقال : اللهمّ اكفنيه . قال : فجفت يداه ورجلاه . قال : فجعل يبكي ويصيح : والله لا أعود أبداً ! قال : فدعا اللهَ له فأُطلق . قال : فاتّبعه اللص ، فقال له : أسألك بالله من أنت ؟ قال : أنا عطاء، فلما أصبح ، سأل : تعرفون رجلاً صالحاً يخرج بالليل إلى الجبّان يصلي ؟ قالوا : نعم ، عطاء السُّلميّ . قال : فذهب إلى عطاء السُّلمي إلى الخربة فدخل عليه ، وقال : إني جئتك تائباً من قصّتي كذا و كذا ، فادعُ الله لي ،قال:فرفع عطاء السّلميّ يديه إلى السماء ، وجعل يبكي ويقول : ويحك ، ليس أنا ! ذاك عطاء الأزرق .

١١٧ - [توبة يوسف بن أسباط على يد شاب كان يعمل نباشاً]

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن السلمي ، أنا أبو القاسم الحسيني ،

---

(١) في المطبوعة : الحسن .

(٢) في المطبوعة : جعفر .

(٣) الجبان والجبانة بتشديد الباء : الصحراء ، وتسمى بها المقابر ، لأنها تكون في الصحراء ، تسمية للشيء بموضعه .

أنا رشأ بن نظيف ، أنا الحسن بن إسماعيل ، أنا أبو بكر أحمد بن مروان، ثنا عمرو بن حفص الشيباني ،ثنا ابن خُبَيق [1] ، ثنا أبي،قال :

صحب يوسف بن أسباط [2] فتى من أهل الجزيرة ؛ فلم يكلمه إلاّ بعد عشر سنين ، وكان يوسف يرى من جزعه وفزعه وعبادته آناء الليل والنهار ، فقال له يوسف : ما كان عملك ؟ فإني لا أراك تهدأ من البكاء . فقال له : كنت نبّاشاً . فقال له يوسف: فأيّ شيء كنت ترى إذا وصلت إلى اللحد [3] ؟ قال : كنت أرى أكثرهم قد حوّلوا وجوههم عن القبلة إلاّ قليلا . قال يوسف : إلا قليلا ! فاختلط يوسف على المكان، وذهب عقله حتى كان يحتاج أن يُداوى .

قال ابن خبيق : قال أبي : دعونا سليمان الطبيب ليداوي يوسف ؛ وكان يرجع إليه عقله أحياناً فيقول : إلا قليلا ! فلم يزل به حتى داواه وصحّ ، فلما فرغ وأراد أن يخرج سليمان الطبيب ، قال يوسف : أي شيء تعطونه ؟ قلنا : لا يريد منك شيئاً . قال : سبحان الله ! جئتم بطبيب الملوك ، ولا أعطيه شيئاً ؟ قلنا : أعطه ديناراً . فقال : خذ هذا فادفعه إليه ، وأعلمه أني لا أملك غيره لئلا يتوهم أني أقلّ مروءة من الملوك ، فدفع إليه صرّة فيها خمسة عشر ديناراً .قال : فأخذتُها فدفعتها إليه ، وجعل يوسف يعمل الخوص بيده حتى مات .

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن خبيق من الزهاد .

(٢) في المطبوعة : إسباط بكسر الهمزة .

(٣) اللّحد : الشق يكون في عُرض القبر .

قال أحمد بن مروان : ثنا محمد بن أحمد ، ثنا ابن خُبيق ، ثنا الهيثم ابن جميل قال : حدّثني حبيب قال : قال يوسف بن أسباط [1] :

ورثت عن أبي ضياعاً بخمسمائة ألف بالكوفة . فجرى بيني وبين عمومتي كلام ، فشاورت الحسن بن صالح [2] ، فقال لي : ما أرى لك أن تخاصمهم، إنها من أرض الخراج ، فتركتها لله ـ عز وجل ـ وأنا محتاج إلى فلس ، أو كما قال .

١١٨ - [توبة نباش عن نبش القبور]

أنبأنا عبد الرحمن بن علي الإمام [3] ، قال : أنا ابراهيم بن دينار الفقيه ، أنا إسماعيل بن محمد بن ملة ، أنا عبد العزيز بن أحمد ، أنا عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيّان ، ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسين [4] ، ثنا أبو موسى الطرسوسي ، ثنا هارون بن زياد المصيصيّ ، ثنا أبو اسحاق الفزاري [5] ، قال :

(١) في المطبوعة : إسباط بكسر الهمزة .

(٢) هو الحسن بن صالح الهمداني الثوري الكوفي أبو عبد الله ، (١٠٠-١٦٨ هـ) كان فقيهاً مجتهداً متكلماً ، من أقران سفيان الثوري ، ومن رجال الحديث ، ومن زعماء الفرقة الزيدية ، له كتب ، منها « التوحيد » ، و « الجامع في الفقه » و « إمامة ولد علي من فاطمة » وغيرها .

(٣) هو ابن الجوزي .

(٤) في « ب » و المطبوعة : محمد بن الحسن .

(٥) هو ابراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة الفزاري أبو اسحاق من كبار العلماء ، ولد في الكوفة ، وقدم دمشق ، وحدث بها ، وكان من أصحاب الأوزاعي ومعاصريه ، وهو الذي أدب أهل الثغر (بيروت وأطرافها) وعلمهم السنة، له كتاب=

كان رجل يكثر الجلوس إلينا ونِصفُ وجهه مغطى ، فقلت له : إنك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى ، أطلعني على هـذا ؟ فقال : تعطيني الأمان ؟ قلت : نعم . قال : كنتُ نبــاشاً فدُفنت امرأة ،فأتيتُ قبرها، فنبشت حتى وصلت إلى اللَّـبِن . ثم رفعتُ اللَّـبِن، فضربت بيدي إلى الرِّداء ، ثم ضربت بيدي إلى اللفافة فمددتها . فجعلت تمدها هي، فقلت: أتراها تغلبني؟فجثيتُ على ركبتي،فمددتُ ، فرفعت يدها فلطمتني ، وكشف وجهه فإذا أثر خمس أصابع في وجهه ، فقلت له : ثمَّ مَه ؟ قال : ثم رددتُ عليها لفافتها وإزارها ، ثم رددتُ التراب ، وجعلتُ على نفسي أن لا أنبش ما عشتُ . قال : فكتبت بذلك[1] إلى الأوزاعي[2] . فكتب إليَّ الأوزاعي : ويحك ! سله عمن مات من أهل التوحيد ووجهه إلى القبلة ، أحُوِّل وجهه أم ترك وجهه إلى القبلة ؟ قال : فجاءني الكتاب ، فقلت له : أخبرني عمن مات من أهل الإسلام ، أتُرك وجهه على ما كان ، أم ماذا ؟ فقال : أكثر ذلك حوِّل

= في السير والأخبار والأحداث ، نعته ابن العماد بالامام القدوة ، ونقل قول أبي داود الطيالسي : مات أبو اسحاق الفزاري وما على وجه الأرض أفضل منه، توفي رحمه الله سنة (١٨٨ هـ)

(١) في المطبوعة : ذلك .

(٢) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي أبو عمرو (٨٨ - ١٥٧ هـ) إمام الديار الشامية في الفقه والزهد ، ولد في بعلبك ونشأ في البقاع وسكن في بيروت وتوفي بها، عرض عليه القضاء فامتنع ، كان عظيم الشأن في الشام ، وكان أمره فيهم أعز من السلطان، له كتاب « السنن في الفقه » « والمسائل » .

وجهه عن القبلة . فكتبتُ بذلك إلى الأوزاعي . فكتب إليّ : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ــ ثلاث مرّات ــ : أما من حول وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السُّنَّة .

١١٩ - [توبة شاب مسرف على نفسه على يد ابراهيم بن أدهم]

وروي أن رجلاً جاء إلى ابراهيم بن أدهم ، فقال له : يا أبا اسحاق! إني مسرف على نفسي ، فاعرض عليّ ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً لقلبي . قال : إن قبلتَ خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية ، ولم توبقك[1] لذّة . قال : هات يا أبا اسحاق !

قال: أما الأولى،فإذا أردتَ أن تعصيَ الله عزَّ وجل فلا تأكل رزقه. قال: فمن أين آكل وكلّ ما في الأرض من رزقه ؟ قال له : يا هـذا ! أفيحسنُ أن تأكل رزقه وتعصيَه ؟ قال : لا ، هات الثانية !

قال : وإذا أردت أن تعصيَه فلا تسكن شيئاً من بلاده. قال الرجل: هذه أعظم من الأولى ! يا هذا ! إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له ، فأين أسكن ؟ قال : يا هذا ! أفيحسنُ أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه ؟ قال : لا ، هات الثالثة !

قال : إذا أردتِ أن تعصيه ، وأنت تحت رزقه وفي بلاده ، فانظر موضعاً لا يراك فيه مبارزاً له فاعصه فيه . قال : يا إبراهيم ! كيف هذا

(١) أي ولم تهلكك .

وهو مطّلع على ما في السرائر ؟ قال : يا هذا ! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به ؟! قال : لا ؛ هات الرابعة !

قال : إذا جاءك ملَك الموت ليقبض روحك فقل له : أخّرني حتى أتوب توبة نصوحاً وأعمل لله عملاً صالحاً . قال : لا يقبل مني ! قال : يا هذا ! فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب ، وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير ، فكيف ترجو وجه الخلاص ؟ ! قال : هات الخامسة !

قال : إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم . قال : لا يدَعونني ولا يقبلون مني . قال : فكيف ترجو النجاة إذاً ؟! قال له : يا إبراهيم ! حسبي حسبي ! أنا أستغفر الله وأتوب اليه . ولزمه في العبادة حتى فرق الموت بينهما .

١٢٠ - [توبة صاحب مقثأة على يد شاب دمشقي]

أنبأنا الحافظ أبو طاهر السِّلفيّ إجازةً ، أنا أبو الحسين بن الطيوريّ ، أنا مسعود بن ناصر السجستانيّ ، أنا أبو حازم عمر بن أحمد العدوي [(١)] أنا علي بن عبد الله بن جهضم ، أنا أبو الطيب محمد بن جعفر ، ثنا

(١) في المطبوعة : العبدوي .

يحيى بن الحسن الرازي [1] ، ثنا معروف الكرخي [2] قال :

رأيت في البادية شاباً حسن الوجه له ذؤابتان [3] حسنتان ، وعلى رأسه رداء قصب ، وعليه قميص كتان ، وفي رجليه نعل طاق [4] . قال معروف : فتعجبت منه في مثل ذلك المكان ، ومن زيه . فقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ! فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا عمّ ! فقلت: الفتى من أين؟ قال : من مدينة دمشق. قلت: متى خرجت منها ؟ قال: ضحوة النهار . قال معروف: فتعجبت، وكان بينه وبين الموضع الذي رأيته فيه مراحل كثيرة . فقلت له : وأين المقصد؟ قال : مكة . فعلمت أنه محمول ، فودعته ومضى ، ولم أره حتى مضت ثلاث سنين . فلما كان ذاتَ يوم وأنا جالس في منزلي أتفكر في أمره وما كان منه ، إذا بإنسان يدقّ الباب ، فخرجت إليه ، فإذا بصاحبي فسلمت عليه وقلت : مرحباً وأهلاً ! فأدخلته المنزل فرأيته منقطعاً والهاً [5] تالفاً ، عليه زُرْمانِقة [6] ، حافياً حاسراً . فقلت : هيه!

---

(١) في نسخة : يحي بن الحسين الرازي .

(٢) هو معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ ، أحد أعلام الزهاد ، كان من موالي الامام علي الرضى بن موسى الكاظم ، اشتهر بالصلاح وقصده الناس حتى كان الامام أحمد بن حنبل من جملة من يختلف اليه ، توفي رحمه الله سنة (٢٠٠ هـ)

(٣) تثنية ذؤابة : والذؤابة : شعر في أعلى الناصية .

(٤) الطاق : ناشز يندر من الجبل كالطائق ، وكذلك في البئر ، وفيا بين كل خشبتين من السفينة ، ويقال : طاق نعل ، وطاقة ريحان .

(٥) الوله محركة : الحزن ، أو ذهاب العقل حزناً ، والحيرة ، والخوف

(٦) الزُّرمانِقَة بضم الزاي : جُبَّة من صوف ، معرب «اشْتُربانه» أي : متاع الجمّال

أيش [1] الخبر ؟ قال : يا أستاذ ! لاطفني حتى أدخلني الشبكة فرماني؛ فمرةً يلاطفني ، ومرة يهددني ، ويجيعني مرّة ، ويكرمني أخرى ، فليته أوقفني على بعض أسرار أوليائه ، ثمّ ليفعل بي ما يشاء !

قال معروف : فأبكاني كلامه ، فقلت له : فحدّثني ببعض ماجرى عليك منذ فارقتني. قال: هيهاتَ أن أبديَه وهو يريد أن يخفيه! ولكن بدّياً ما فعل بي في طريقي إليك يا مولاي وسيّدي ، ثم استفرغه البكاء . فقلت : وما فعل بك ؟ قال : جوّعني ثلاثين يوماً ؛ ثم دخلت إلى قرية فيها مقثاة [2] ، وقد نُبذ منها المدوّد وطرح ، فقعدتُ آكل منه . فبصُرَ بي صاحب المقثاة ، فاقبل إليّ يضرب ظهري وبطني ، ويقول : يا لصّ ! ما خرّب مقثاتي غيرك ! منذُ كمْ أنا أرصدك حتى وقعت عليك ! فبينا هو يضربني إذ أقبل فارس نحوه مسرعاً ،وقلب السوط في رأسه ، وقال : تعمد إلى وليّ من أولياء الله تعالى تقول له : يا لصّ ؟ فاخذ صاحب المقثاة بيدي فذهب بي إلى منزله ، فما بقي من الكرامة شيئاً إلا عمله بي ؛ واستحلني وجعل مقثاته لله ولأصحاب معروف ، فقلت له : صف لي معروفاً، فوصفك لي ، فعرفتك بما كنت شاهدتُه من صفتك .

قال معروف : فما استتمّ كلامه حتى دقّ صاحب المقثاة الباب

(١) أي : أي شيء .

(٢) المقثأة : موضع القثاء ، وهو الخيار .

ودخل، وكان موسراً، فأخرج جميـــع ماله وأنفقه على الفقراء، وصحب الشابّ سنة، وخرجا إلى الحج، فماتا في «الرَّبذَة»[1] رحمة الله عليهما.

١٢١ - [توبة عاص في جوف الليل وموته لسماع آية من القرآن فيها ذكر النار]

أخبرنا محمد، أنا حمد، ثنا إبراهيم بن عبد الله قال: حدثني محمـد ابن إسحاق الثقفي، حدثني أحمد بن موسى الأنصاريّ، عن منصور ابن عمّـار، قال:

حججتُ حجةً، فنزلتُ سكـّة من سكك الكوفة. فخرجت في ليلة مظلمة، فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليـل وهو يقول: إلهي! وعزّتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل، ولكنْ خطيئةٌ عرضتْ لي أعانني عليها شقائي وغرّني سترك المرخى عليّ، وقد عصيتك بجهـدي وخالفتك بجهلي، ولك الحجـّة عليّ، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أتصل إذا قطعتَ حبلك مني؟ واشباباه! واشباباه! قـال: فلمّا فرغ من قوله تلوتُ آية من كتـاب الله: ﴿ناراً وَقودُها النّـاسُ والحجارةُ

(١) مكان قرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبه توفي أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، ودفن فيه.

عليها ملائكةٌ غلاظٌ شِدادٌ ﴾ [التحريم : ٦]...الآية[١] . فسمعتُ حركةً شديدة ، ثمّ لم أسمع بعدها حِسّاً ، فمضيتُ . فلما كان من الغد رجعتُ في مدرجتي[٢] ، إذا بجنازةقد وضعت ، وإذا بعجوز كبيرة، فسألتها عن أمر الميت ، ولم تكن عرفتني ، فقالت : هذا رجل لا جزاه الله إلا جزاءه ! مر بابني البارحة ، وهو قائم يصلي، فتلا آية من كتاب الله ، فلما سمعها ابني تفطّرت مرارته فوقع ميتاً .

١٢٢ - [نوبة امرأة هي الغناء والعود ونوبة مولاها على يدها]

وجدت في كتاب عن سريّ السقطي أنه قال : ضاقت عليّ نفسي يوماً ، فقلت في نفسي : أخرج إلى المارستان[٣] وأنظر إلى المجانين[٤] فيه ، وأعتبر بأحوالهم . فخرجت إلى بعض المارستانات ، وإذا بامرأة مغلولة يدها إلى عنقها وعليها ثياب حسان وروائح عطرة ، وهي تنشد:

أُعيذُكَ أن تغُلَّ يدي ... بغير جريمةٍ سَبَقتْ
تَغُلُّ يدي إلى عُنقي ... وَما خانتْ ولا سرقت
وَبَينَ جوانحي كبدٌ ... أُحِسُّ بها قد احترقتْ
وحقِّكَ يا مَدى أَملي ... يميناً برَّةً[٥] صدَقَت

---

(١) وأولها : (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً...)
(٢) في الطريق الذي سلكته وجئت منه
(٣) المارستان : دار المرضى ، معرب .
(٤) في نسخة : المتحنين .
(٥) أي : ماضية على الصدق .

فــــلو قطَّعتها قِطَـعاً وحقّـكعنكلانطقت[1]

فقلت لصاحب المارستان : ما هذه ؟ فقال : مملوكة خُبِـل عقلها فحبست لتصلح . فلما سمعت كلامه أنشدت :

معشرَ الناسِ مَا جُنُنْتُ ولكنْ
أنا سكرانــــةٌ وقلبي صـاح
لِمْ غَـللْتُـم[2] يدي ولم آتِ ذَنباً
غـير هتكي[3] في حُبِّـه وافتضَاحي
أنا مفتونـــةٌ بحبٍّ حَـبيب
لستُ أبغي عن بابـه من براح
فصلاحي الذي زعمتم فســادي
وفسادي الذي زعمتـم صلاحِي
مـا على من أحب مولى الموَالي
وارتضاهُ لنفسه منْ جُنـاح

قال سريّ : فسمعت كلاماً أبكاني . فلما رأتْ دموعي قالت : يا سريّ ! هذه دموعك على الصِّفة ، فكيف لو عرفتَـه حقّ المعرفة ؟ فقلت : هذا أعجب ! من أين عرَفتني ؟ قالت : مــــاجهلت منذ عرفت أن أهـل الدّرجات يعرف بعضهم بعضاً ، فقلت : ياجارية أراكِ تذكرين المحبـــة ، فلمن تُحبين ؟ قـالت : لمن تعرّف

(١) في « ب » والمطبوعة ونسخة : ما برحت .
(٢) في « ب » والمطبوعة : أغللتم .
(٣) في « ب » والمطبوعة : جهـدي .

إلينا بآلائه [١] ، وتحبَّب الينا بنعمائه ، وجاد علينا بجزيل عطائه ؛ فهو قريب ، إلى القلوب مجيب ؛ تسمى بأسمائه الحسنى ، وأمرنا أن ندعوه بها ؛ فهو حكيم كريم ، قريب مجيب . قال: فقلت لها : فيم حُبِست؟ فقالت : قومي عابوا عليَّ ماسمعت منهم [٢] . فقلت لصاحب المارستان: أطلقها . ففعل ؛ فقلت : اذهبي حيث شئت . فقالت: إنَّ حبيب قلبي قد ملّكني لبعض مماليكه، فإن رضي مالكي وإلا صبرت واحتسبت. [٣] فقلت : هذه والله أعقل مني ! فجاء مالكها ومعه ناس كثير ، فقال لصاحب المارستان : وأين بدعة ؟ [٤] فقال : دخل عليها سري فأطلقها . فلما رآني عظّمني ؛ فقلت: هي والله أولى بالتعظيم مني ! فما الذي تنكر منها؟ فقال: كثرة فكرتها ، وسرعة عَبرتها وزفرتها [٥] وحنينها ؛ فهي باكية راغبة ، لاتأكل مع من يأكل ، ولاتشرب مع من يشرب ؛ وهي بضاعتي اشتريتها بكل مالي – بعشرين ألف درهم – وأمّلت أن أربح فيها مثل ثمنها . فقلت : وما كانت صنعتها ؟ قال : مطربة . قلت : ومنذ كم كان بها هذا الداء ؟ فقال : منذ سنة . قلت : ما كان بدؤه ؟ قال : كان العود في حجرها وهي تغني وتقول :

وَحقِّكَ لا نقَضْتُ الدهر عَهداً
وَلا كدَّرْتُ بعدَ الصفوِ وُدَّاً

---

(١) في المطبوعة : بالآية ، وهو تحريف .
(٢) على هامش النسخة « أ » الظاهر : مني .
(٣) في المطبوعة : واحتبست ، بتقديم الباء على السين من الحبس ، وهو تحريف.
(٤) اسم المرأة المحبوسة .
(٥) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض ، والزّفرة : التنفس.

مَـلأت جوانِحِـي والقلبَ وَجْـــداً
فكيفَ أقَرُّ أوْ أسلو وأهـــدَا
فَيامنْ ليسَ لي مـــولىً سِواهُ
تُراكَ تركتَني في النَّـــاسِ عبْدَا

قال : فكسرتِ العود وقامت وبكت. فاتهمتها بمحبـَّة إنسان[1] . فكشفتُ عن ذلك فلم أجد له أثراً . قال : فقلت لها : هكذا كان ؟ فقالت :

خاطبني الوعظُ من جَناني[2] وكانَ وعظي على لساني
قرَّبني منـهُ بعـدَ بـُعْـدٍ وخصَّني الله واصطَفاني
أجبتُ لمَّا دُعيتُ طَوعاً ملبِّيـاً للذي دَعـــاني
وخِفتُ مما جَنيتُ قِدْماً فوقعَ الحُـب بالأمَـانِ

قال : فقلت له: عليّ الثمن وأزيدك . قال: فصاح : وافقراه ! من أين لك ثمن هذه ؟ فقلت : لا تعجلْ عليّ ، تكون في المارستان حتى آتي بثمنها،ثم مضيت وعيني تدمعوقلبييخشع. وبتُّ ولم أطعم غمضاً ، ووالله ما عندي درهم من ثمنها . وبقيت طـــول ليلتي أتضرع إلى الله تعالى وأقول : يا رب ! إنكتعلمسريّ وجهري ، وقد اتكلت على فضلك وعوّلت عليك فلا تفضحني . فبينما أنا عنـــد السحر إذا بقارع يقرع

(١) في المطبوعة : فاتهمتها بمحبة يعني انسان ، ولا داعي لكلمة « يعني ».
(٢) من قلبي .

الباب . فقلت : مَن بالباب ؟ فقال : حبيب من الأحباب ، أتى في سبب من الأسباب ، من الملك الوهاب . ففتحت الباب ، فإذا برجل معه خادم وشمعة . فقال: يا أستاذ ! أتأذن لي بالدخول ؟ فقلت : ادخل ! من أنت ؟ قال : أنا أحمد بن المثنى ، قد أعطاني مالك الدار فأكثر ؛ كنت الليلة نائماً فهتف بي هاتف في المنام : احمل خمس بدرات [١] إلى سريّ يعطيها لمولى بدعة يفكّها من الأسر ومن رق العبودية الساعة ؛ فلنا بها عناية . فجئت مبادراً بهذا المال ، فاصنع به ما شئت . قال: فخررتُ لله ساجداً وارتقبت الصبح . فلما تعالى ضوء النهار أخذت بيد أحمد [٢] ومضيت به إلى المارستان . فإذا الموكّل به يلتفت يميناً وشمالاً . فلما رآني قال : مرحباً ! ادخل ! فإنّ لها عند الله عناية ؛هتف بي البارحةَ هاتف ، وهو يقول :

إنها مِنّا ببال ليسَ تخلو مِنْ نوال
قَرُبت ثُمَّ تسمَّت وعلت في كلِّ حال

فحفظتُ هذا القول وكرّرته إلى أن أتيتم . فدخلت عليها وهي تقول :

قدْ تصَبَّرْتُ إلى أنْ عِيلَ في حبِّكَ صبري
ضاقَ من غُلّي وقيدي وامتهاني فيكَ صدْري

(١) بدرات ، جمع بدرة ، والبدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار .

(٢) أي أحمد بن المثنى .

ليس يخفى عنك أَمري يا منى قلبي وذُخري
أَنت لي تعتقُ رقي وتفكُ اليومَ أَسري

قال : وأقبل مولاها يبكي ويخشع ، فقلت له : قد جئناك بما ورثت وربح خمسة آلاف . فقال : لا والله ! فقلت : بربح عشرة آلاف فقال : لا . فقلت : بربح المثل . فقال : لو أعطيتني الدنيا ما قبلت ! وهي حرّة لوجه الله تعالى . فقلت له : ما القصة ؟ فقال: يا أستاذ ! وُبِّخْتُ البارحةَ ، أشهدك أني خارج من جميع مالي وهارب إلى الله تعالى ؛ اللهم كُنْ لي بالسعة كفيلاً وبالرزق جميلاً . فالتفتُّ إلى ابن المثنى [1] فرأيته يبكي ، فقلت له : ما بكاؤك ؟ فقال : ما رضي بي المولى لما ندبني إليه ، أشهدك أني قد تصدقت بجميع مالي لوجه الله تعالى . فقلت : ما أعظم بركة بدعةَ على الجميع ! فقامت بدعة ، فنزعت ما كان عليها ، ولبست مدرعة من الشعر ، وخرجت وهي تقول :

هربت منهُ إليه بكَيت منهُ عليه
وحقِّه فهوَ مولًى لا زلتُ بين يديه
حتى أنال وأَحظى بما رَجوتُ لديه

قال سريّ : فأقمت بعد ذلك مدّة حتى مات مولاها . فبينا أنا أطوف بالكعبة وإذا أنا بصوت محزون من كبد مقروحة ، وهو يقول:

قد تشَهَّرتُ بحبِّكْ كيفَ لي منك بقُربك
كيف بي يا نفسُ إن وا خذكِ اللهُ بذنبكْ

(١) وهو أحمد بن المثنى .

لم يُقاسِي أحدٌ يا نفس كرباً مثل كربِكْ
فسلي ربَّكِ ياتِيـ ـك الرضى من عند ربكْ

قال : فتبعت الصوت فإذا امرأة كالخيال . فلما رأتني قالت: السلام عليك يا سريّ ! فقلت : وعليكِ السلام ! من أنتِ ؟ فقالت : لا إله إلا الله ! وقع التناكر بعد المعرفة ! أنا بدعة . فقلت : ما الذي أفادك الحقّ بعد انفرادك عن الخلق ؟ فقالت : أفادني كل المنى . وأنشدت:

يا من رأى وحشتي فآنسني
بالقرب من قربه فأنعشني
هربتُ من مسكني إلى سكني
نعم ومن موطني إلى وطني
يا سكني لا خلوْتُ من سكني
دهري ويا عدَّتي على الزَّمن
أوحشني ما فقدت منه فقدْ
عاد بإحسانه فآنسني
وعدت أيضاً وعاد منعطفاً
كذلك مذْ كانَ منه عوَّدَني

ثم قالت : لا حاجة لي بالبقاء ، فخذني إليك ! قال : فحركتها فإذا هي ميّتة ـ رحمة الله عليها .

* * *

ذكر خبر جماعة ممن أسلم

١٢٣ - [توبة أبي اسماعيل النصراني واسلامه]

أنبأتنا شهدة بنت أحمد بن الفرج الابريّ قالت : أنا جعفر بن أحمد السرّاج، ثنا جعفر الخلدي، ثنا أحمد بن مسروق ، ثنا محمد بن الحسين ، ثنا عبد الله بن الفرج العابد ، قال :

كان بالموصل رجل نصراني يكنى أبا إسماعيل . قال : فمر ذات ليلة برجل وهو يتهجد على سطحه ، وهو يقرأ : ﴿ وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يُرجعون ﴾ [آل عمران : ٨٣] (١) قال : فصرخ أبو إسماعيل صرخة غشي عليه ، فلم يزل على حاله تلك حتى أصبح ؛ فلما أصبح أسلم، ثم أتى فتحاً الموصلي فاستأذنه في صحبته ؛ فكان يصحبه ويخدمه . قال : فبكى أبو اسماعيل حتى ذهبت إحدى عينيه وعشي من الاخرى (٢) . فقلت له يوماً : حدّثني ببعض أمر « فتح » قال : فبكى ، ثم قال : أخبرك عنه ، كان والله كهيئة الروحانيين ، معلّق القلب بما هناك ، ليست له في الدنيا راحة .

(١) وأول الآية : (أفغير دين الله يبغون وله أسلم ...) الآية .

(٢) العشا مقصورة : سوء البصر بالليل والنهار ، كالعشاوة ، أو العمى .

قلت : عليّ ذاك [١] . قال : شهدت العيد معه ذات يوم ، ورجع بعد ماتفرق [٢] الناس ، ورجعت معه . فنظر إلى الدخان يفور من نواحي المدينة ، ثم بكى ، ثم قال : قد قرَّب النـاس قربانهم ، فليت شعري ما فعلتَ في قرباني عندك أيها المحبوب ؟ ثم سقط مغشياً عليه . فجئت بماءٍ فمسحت به وجهه فما أفاق [٣] ، حتى دخل بعض أزقـّة المدينة ، فرفع رأسه إلى السماء ، ثمّ قال : قد علمتَ طول غمي وحزنَي وترددادي في أزقّة الدنيا ، فحتّى متى تحبسني أيها المحبـوب ؟ ثم سقط مغشياً عليه . فجئت بماءٍ فمسحته على وجهه ، فأفاق ، فما عاش بعد ذلك إلا أياماً حتى مات ــ رحمه الله .

١٢٤ - [توبة شاب نصراني وإسلامه]

أنبأنا الحـافظ أبو طاهر السلفي ، أنا أبو الحسين بن الطيوريّ ، أنا عبد العزيز بن عليّ ، أنا عليّ بن عبد الله الصوفي ، ثنا محمد بن داود قال : حدثني حامد الأسود صاحب إبراهيم الخواص [٤] ، قال :

كان إبراهيم ، إذا أراد سفراً ، لم يحدِّث به أحداً ولم يذكره ؛ وإنما يأخذ ركوته [٥] ويمشي . فبينا نحن معه فيمسجده تناول ركوته ومشى.

(١) في المطبوعة : ذلك .
(٢) في نسخة : بعد ما انصرف .
(٣) في « ب » والمطبوعة : فأفاق .
(٤) هو ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل أبو اسحاق الخواص صوفي ، كان أوحد المشايخ في وقته من أقران الجنيد ، ولد في « سر من رأى » ومات في جامع الري . والخواص : بائع الخوص ، توفي رحمه الله سنة (٢٩١ هـ)
(٥) الركوة : إناء للماء من جلد خاصة .

فاتبعته ، فلم يكلمني ، حتى وافينا الكوفة . فأقام بها يومه وليلته ، ثم خرج نحو القادسية [1] . فلما وافاها،قال لي : يا حامد ! إلى أين ؟ قلت: يا سيدي ! خرجت بخروجك . قال : أنا أريد مكة إن شاء الله ! قلت : وأنا إن شاء الله أريد مكّة، فمشينا يومنا وليلتنا . فلما كان بعد أيام إذا شاب قد انضم إلينا في بعض الطريق . فمشى يوماً وليلة لا يسجد لله ــ عزّ وجلّ ــ سجدة . فعرّفت إبراهيم ، وقلت : إنّ هذا الغلام لا يصلي . فجلس ، وقال له : يا غلام ! مالك لا تصلي ، والصلاة أوجب عليك من الحجّ . فقال : يا شيخ! ما عليّ صلاة . قال : ألست برجل مسلم ؟ قال : لا . قال : أيّ شيء أنت ؟ قال : نصرانيّ ، ولكن إشارتي في النصرانية إلى التوكّل ، وادّعتْ نفسي أنّها قد أحكمت حال التوكل فلم أصدّقها فيما ادّعت، حتى أخرجتُها إلى هذه الفلاة التي ليس فيها موجود غير المعبود،أثير ساكني وأمتحن خاطري.

فقام إبراهيم ومشى ، وقال : دعهُ يكون معك . فلم يزل يسايرنا إلى أن وافينا «بطن مَرّ » [2] فقام إبراهيم ونزع خُلْقانه وطهّرها بالماء، ثمّ جلس وقال له: ما اسمك ؟ قال : عبدالمسيح. فقال : ياعبدالمسيح [3] ! هذا دهليز مكة ، وقد حرم الله على أمثالك الدخول إليه وقرأ ﴿ إنما المشركونَ نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرامَ بعدَ عامِهم هذا ﴾

---

(١) القادسية : قرية قرب الكوفة ، يقال : مر بها ابراهيم عليه السلام فوجد بها عجوزاً فغسلت رأسه فقال : قُدّسِت من أرض ، فسميت القادسية ، ودعا لها ان تكون محلة الحاج .

(٢) بطن مَرّ ، ويقال : له مَرُّ الظهران : موضع على مرحلة من مكة .

(٣) هذه التسمية لاتجوز ، ومثلها : عبد النبي ، وعبد الحسين،وغيرهما .

[التوبه : ٢٨] والذي أردتَ أن تستكشف من نفسك فقد بان لك ، فاحذر أن تدخل مكّةً ! فإن رأيناك بمكة أنكرنا عليك . قال حامد: فتركناه ودخلنا مكّة ، وخرجنا إلى الموقف . فبينا نحن جلوس بعرفات (١) إذا هو قد أقبل وعليه ثوبان وهو مُحرم ، يتصفّحُ الوجوه حتى وقف علينا ، فاكب على إبراهيم يقبل رأسه . فقال له : ما وراءك ياعبد المسيح ؟ فقال : هيهاتَ ! أنا اليوم عبدُ مَن المسيح عبدُهُ ! فقال له إبراهيم : حدّثني حديثك . فقال : جلستُ مكاني حتى أقبلت قافلة الحاج ، فقمتُ وتنكّرت في زيّ المسلمين كأني محرم . فساعة وقعت عيني على الكعبة اضمحلّ عندي كل دين سوى الإسلام ، فأسلمت واغتسلتُ وأحرمتُ . وها أنا أطلبك يومي ، فالتفت إلينا إبراهيم وقال : يا حامد ! انظر إلى بركة الصدق في النصرانية كيف هداه إلى الإسلام وصحبنا حتّى مات بين الفقراء - رحمه الله .

١٢٥ - [توبة عابد صنم وإسلامه]

وحُكي عن عبد الواحد بن زيد،قال : كنت في مركب ، فطرحتنا الريح إلى جزيرة ، وإذا فيها رجل يعبد صنماً . فقلنا له : يا رجل ! مَنْ تعبد ؟ فأومأ إلى الصنم . فقلنا : إنّ معنا في المركب من يسوّى

(١) موقف الحاج يوم التاسع من ذي الحجة ، وهو يوم عرفة . يقال: سميت بذلك لأن آدم وحواء تعارفا بها ، أو لقول جبريل عليه السلام لابراهيم عليه السلام لما علمه المناسك : أعرفتَ ؟ قال : عرفت ، أو لأنها مقدسة معظمة كأنها عُرِّفَتْ أي طُيِّبت.

مثل هذا ، وليس هذا إله يُعبد . قال : فأنتم لمن تعبدون ؟ قلنا : الله. قال : وما الله ؟ قلنا : الذي في السماء عرشُه ، وفي الأرض سلطانه ، وفي الأحياء والأموات قضاؤه . فقال : كيف علمتم به ؟ قلنا : وجّه إلينا هذا الملِك رسولاً كريماً فأخبر بذلك. قال : فما فَعَل الرسول ؟ قلنا : أدّى الرسالة ثم قبضه الله . قال : فما ترك عندكم علامة ؟ قلنا : بلى ، ترك عندنا كتاب الملِك . فقال: أروني كتاب الملك ، فينبغي أن تكون كتب الملوك حساناً

فأتيناه بالمصحف ، فقال : ما أعرف هذا . فقرأنا عليه سورة من القرآن ، فلم نزل نقرأ ويبكي حتى ختمنا السورة . فقال : ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يعصى ! ثمّ أسلم ، وحملناه معنا وعلّمناه شرائع الإسلام وسوراً من القرآن . وكنا حين جَنّنا الليل [1] وصلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا ، قال لنا : يا قوم ! هذا الإله الذي دللتموني عليه ، إذا جنّه الليل ينام ؟ قلنا : لا ، يا عبد الله ! هو عظيم قيّوم لا ينام . قال : بئس العبيد أنتم ، تنامون ومولاكم لا ينام ؟ فأعجبنا كلامه . فلمّا قدمنا « عبّادان » [2] قلت لأصحابي : هذا قريب عهد بالإسلام . فجمعنا له دراهم وأعطيناه . فقال : ما هذا ؟ قلنا : تنفقها . فقال : لا إله إلاّ الله ! دللتموني على طريقٍ ما سلكتموها ؛ أنا كنت

(١) أي سترنا بظلامه .

(٢) عبّادان : جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين في بحر فارس .

في جزائر البحر أعبد صنماً من دونه ولم يضيّعني، يضيّعني وأنا أعرفه؟ افلما كان بعد أيام قيل لي : إنه في الموت . فاتيته ، فقلتُ له : هل من حاجة فقال : قضى حوائجي من جاء بكم إلى جزيرتي . قال عبد الواحد : فحملتني عيني ، فنمت عنده . فرأيت مقابر « عبّادان » روضة وفيها قبة ، وفي القبة سرير عليه جارية لم يرَ أحسن منها . فقالت : سألتك بالله إلا[1] ما عجّلتَ به ، فقد اشتدّ شوقي إليه . فانتبهتُ ، وإذا به قد فارق الدنيا . فقمت إليه فغسلته وكفّنته وواريته. فلما جنّ الليل نمتُ ، فرأيته في القبّة مع الجارية ، وهو يقرأ : ﴿ وَالملائِكَةُ يَدْخلونَ عَليهِمْ من كل بابٍ. سَلامٌ عَليكُم بما صَبَرْتُمْ فَنِعمَ عُقْبى الدّارِ ﴾ [الرعد : ٢٣ ، ٢٤][2]

١٢٦ - [توبة مجوسي واسلامه وأهل داره]

وقرأت في « الملتقط » أن بعض العلويين كان نازلاً بـ « بلخ » وله امرأة علويّة[3] ولها بنات قد أصابهم الفقر . ومات الرجل، فخرجت

---

(١) في المطبوعة : « ألا » بفتح الهمزة ، وهو خطأ .

(٢) والآيات بتمامها : (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب . الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤن (أي يدفعون) بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، والملائكة ...) الى آخر الآيات .

(٣) منسوبة الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

المرأة بالبنات إلى «سمرقند»[1] خوفاً من شماتة الأعــداء . فاتفق خروجها في شدّة البرد، فلما دخلوا البلد أدخلتهم مسجداً ومضت تحتال لهم في القوت ، فمرّت بجمعين ؛ جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد ، وجمع على مجوسي هو ضامن البلد ، فبدأت بالمسلم ، فشرحت له حالها ، وقالت : أريد قوت الليلة ، فقال : أقيمي عندي البينة أنك علوية ، فقالت : ما في البلد من يعرفني ، فاعرض عنها ، فمضت إلى المجوسي ، فأخبرته بالخبر وحدثته ما جرى لها مع المسلم ، فبعث معها أهـل داره إلى المسجد ، فجاؤوا بأولادها إلى داره ، فالبسهم الحلل الفاخرة . فلما انتصف الليل رأى ذلك المسلم في منامه كأنّ القيامة قد قامت ، واللواء على رأس محمد ﷺ ، وإذا قصر من الزمرّد الأخضر . فقــال له : يا رسول الله ! لمن هذا القصر ؟ فقال : لرجل مسلم موحِّــد ، فقال : يا رسول الله ! فأنا مسلم موحد . فقال : أقِمْ عنـدي البينة بانك مسلم موحد ، فبقي الرجل متحيراً . فقال له : لمَّا قصدتْكَ العلوية قلتَ لها : أقيمي عندي البينة ؛ فهكذا أنتَ أقِمْ عنــدي البينة . فانتبه يبكي ويلطم . وخرج يطوف البلد على المرأة حتى عرف أين هي ، فأرسل إلى المجوسيّ فأتاه ، فقال له : أين العلويّة ؟ قال : عندي ، قال : أريدها . قال : ما إلى هذا من سبيل . قال : خذ مني ألف دينار وسلمهم إليّ . قال : ما أفعل ! قد استضافوني ولحقني من بركاتهم . قال : لا بدّ

---

(١) ويقال لها بالعربيـة : سمْران : بلد مشهور بخراسان ، وينسب اليها جماعــة من العلماء .

منهم ! قال : الذي تطلبه أنا أحقّ به ، والقصر الذي رأيتَه لي خُلق ! أتُدِلّ عليّ بإسلامك ؟ والله ما نمتُ ولا أهل داري حتى أسلمنا على يد العلوية . ورأيتُ مثل منامك الذي رأيتَ ، وقال لي رسول الله ﷺ : العلويّة عندك وبناتها ؟ قلتُ : نعم . قال : القصر لك ولأهل دارك ، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة ، خلقك الله مؤمناً في الأزل .

١٢٧ - [توبة يهودي محسن وإسلامه]

وروي عن ختن أبي عمران اللؤلؤيّ ، وكان رجلاً صالحاً يخدم الفقراء وبيته بيت ضيافة ، أنه نزل به قوم ، فمضى إلى الحاكم يطلب لهم شيئاً ، فلم يعطِه ، فمضى إلى يهوديّ ، فبعث إلى داره ما يحتاج إليه . فلما نام الحاكم رأى كأنه على باب قصر من لؤلؤة حمراء ، فهم أن يدخله ، فمنع منه وقيل له : إنّ هذا كان لك فدُفع إلى فلان اليهودي ، فلمّا أصبح الحاكم مضى إلى ختن أبي عمران ، فساله عن القصة فاخبره ، فاستحضر الحاكم اليهوديّ وقال : لك قصر في الجنة ، تبيعه بعشرة آلاف درهم ؟ فقال : لا ، فزاده ، فابى ؛ وساله عن القصة ، فقصّ عليه الرؤيا ، فقال اليهوديّ لختن[1] أبي عمران : اعرضْ عليّ الاسلام ! فاسلم .

١٢٨ - [توبة مجوسي كريم وإسلامه مع أولاده ورهطه]

وعن أبي حفص النيسابوريّ أنه قال لأصحابه يوماً في وقت الربيع :

(١) الختن : الصهر ، أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ ، جمعه أختان . والختونة بضم الخاء : المصاهرة ، كالختون ، وتزوج الرجل المرأة ، وخاتنه: تزوج اليه .

تعالَوا نخرج إلى التنزُّه، فخرجوا، فمروا بمحلَّة، فإذا شجرة كُمَّثرى قد أثمرت في دار، فوقف ينظر إليها، فخرج من تلك الدار رجل مجوسيّ شيخ كبير، فقال له: يا مقدَّم الأخيار! هل تكون ضيفاً لمقدَّم الأشرار؟ فدخل أبو حفص مع أصحابه، وكان معهم من قُرَّاء القرآن. فأخرج المجوسيّ كيساً فيه دراهم، وقال: أعلم أنكم تتنزّهون ممَّا تصل أيدينا إليه من الطعام، فمُر من يشتري لكم شيئاً من السوق، ففعلوا، فلما أراد أبو حفص أن يخرج قال له المجوسيّ: لا يمكنك أن تخرج إلا وأنا معك! فأسلم، وأسلم من أولاده ورهطه[1] بضعة عشر نفساً.

١٢٩ - [توبة مجوسي بغدادي وإسلامه مع ابنه وابنته وكثير من أصحابه]

وجدتُ في كتاب «الجوهريّ»، قال: حدّث ابن أبي الدنيا أن رجلاً نام، فرأى المصطفى ﷺ وهو يقول له: امض إلى المجوسيّ الذي في بغداد، وقل له: قد أُجيبت الدعوة، فلما أصبحتُ قلتُ: كيف أمضي إلى مجوسيّ؟! فنمتُ الليلة الثانية، فرأيت مثل ذلك. ثمّ رأيت مثل ذلك في الليلة الثالثة، فلما أصبحت تحمَّلت إلى بغداد، وأتيت المجوسيّ، فوجدته في نعمة عريضة ودنيا واسعة. قال: فدخلت إليه وسلمت عليه وجلست. فقال: ألك حاجة؟ فقلت: نعم. قال: تكلم. قلت: في خلوة. فانصرف الناس وبقي أصحابه، فقلت:

(١) الرّهط: قوم الرجل وقبيلته.

وهؤلاء، فصرفهم، وقال: قلْ. قلت: أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليك، وهو يقول لك: قد أُجيبت الدعوة. فقال: أتعرفني؟ قلت: نعم. قال: فإني أنكر الاسلام، وأنكر رسالة محمد عليه السلام. قلت: كذلك قلت، وهو أرسلني إليك، قال: أرسلك إليّ؟ قلت: نعم. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله.

ثم دعا أصحابه وقال: قد كنت في ضلال وقد رجعت إلى الحق؛ فمن أسلم فما في يديه له، ومن لم يسلم فلينزع مما لي عنده، فاسلم القوم إلا قليلاً. ثم دعا ابنه، فقال: يابنيّ! إني كنت في ضلال وقدأسلمت، فما أنت صانع؟ قال: يا أبتِ! أُسلم. فاسلم. ثم دعا ابنته، وقال: يا بنية! قد أسلمتُ وأسلم أخوكِ، فإن أنتِ أسلمتِ فرّقت بينكما. فقالت: يا أبت! والله لقد كنت كارهة لاجتماعي به، وأسلَمتْ. فقال لي: أتدري الدعوة التي أُجيبت؟ قلت: لا. قال: لمَّا زوجت ابنتي بولدي (١) وصنعت له طعاماً ودعوتُ الناس كلّهم، فاجابوا لِما خولني الله من الدنيا. فلما أكل الناس تعبت، فقلت للخادم: افرش لي حصيراً في أعلى الدار أنام شيئاً. فطلعت، وكان بجوارنا (٢) قوم أشراف فقراء. فسمعت صبيّة وهي تقول لأمها: يا أماه! قد آذانا هذا المجوسيّ برائحة طعامه. قال: فنزلتُ وحملتُ لهم طعاماً كثيراً، ودنانير كثيرة، وكسوة لكل من في الدار. فقالت الواحدة: حشركَ الله مع جدّي! وقال الباقون (٣): آمين! فتلك الدعوة التي أُجيبت.

(١) في « ب » والمطبوعة: لما زوجت ابني ولدي.
(٢) في « ب » والمطبوعة: يجاورنا. (٣) في « ب » والمطبوعة: وقال الباقي.

١٣٠ - [توبة طبيب نصراني محسن وإسلامه]

ورُوي أنَّ بعض مشايخ[١] الصوفية خرج على أصحابه، وكانوا أربعين رجلاً وقد أقاموا ثلاثة أيام لم يفتح لهم بطعام، فقال لهم: ياقوم! إن الله قد أباح التسبّب للعباد، فقال تعالى: ﴿ فامشُوا في مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ [تبارك : ١٥][٢]، فانظروا من يخرج منها فليأتِنا بشيء، قال: فخرج فقير فمشى في جانبي بغداد، فلم يجد من يسأله في شيء، فأخذه الجوع والتعب، فجلس على دكان طبيب نصراني والناس عليه خلق عظيم يصف لهم الدواء. فقال له النصراني: ما بك؟ فلم يرَ أن يشكو إلى نصراني حاله، بل مد يده إليه، فمسّ يده. فقال النصراني عند ذلك: هذه علة أنا أعرف دواءها، يا غلام! امض إلى السوق وائتني برطل خبز ورطل شواء ورطل حلواء[٣]. فقال الفقير: فهذه العلة بأربعين رجلاً. فقال: يا غلام! ائتني بأربعين مثل ذلك. فأتى الغلام بذلك. فسلّمه النصراني إلى الفقير، وقال: خذه لمن ذكرتَ. فأخذه معه الحمال ومضى معه إلى الدُّوَيرة[٤]. وقام النصراني يختبر صدق الفقير. فلما أتى الدُّوَيرة وقف خارجاً منها خلف طاق،

(١) في المطبوعة: المشايخ.

(٢) وأول الآية: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها ...) الآية.

(٣) في المطبوعة: حلو.

(٤) الدُّوَيرة: بلد في الريف، وموضع مسكنه حَسُّون بن الهيثم المقرىء الدويري. ودُويرة كصحيفة: قرية بنيسابور.

حتى دخل الفقير فوضع الطعام ، واجتمع الشيخ والفقراء . وقدموا الطعام ، فأمسك الشيخ عن الطعام [1] ، وقال : يا فقير ! ما قصة هذا الطعام ؟ فحكى له القصة بكمالها . فقال الشيخ : أترضَون أن تأكلوا طعام نصرانيّ وصلكم به دون مكافأة؟قالوا:ما مكافأته؟قال:تدعون [2] الله له قبل أكل طعامه بالنجاة من النار ، فَدَعَوْا له وهو يسمع . فلما رأى النصرانيّ إمساكهم عن الطعام مع حاجتهم إليه ، وسمع ما قال الشيخ ، قرع الباب ، ففتح له ودخل ، وقطع الزُّنّار ، وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله .

★ ★ ★

تم - بعون الله تعالى وتوفيقه - كتاب التوابين
للإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي رحمه الله
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) في « ب » والمطبوعة : عن الأكل

(٢) في المطبوعة : تدعوا ، وهو خطأ ، ولا داعي لحذف نون الفعل هنا .

من هدي القرآن الكريم في التوبة

لقد أمرنا الله تعالى بالتوبة فقال : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) أي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات ، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات .

ووعد القبول عليها فقال : (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) .

وفتح باب الرجاء فقال : (قل يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم).

وأمرنا أن نلتمس النجاة على عجل : وأن نبادر إلى التوبة قبل دنو الأجل فقال :

(إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً) .

وندبنا إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة إلى نيل القربات فقال :

(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلى الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) .

من هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التوبة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة » رواه مسلم في « صحيحه » عن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه . وقال أيضاً : « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . وقال : « كل بني آدم خطّاء ، وخير الخطائين التوابون » رواه أحمد ، والترمذي وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهو حديث حسن .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسُكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد ، فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أُوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » رواه مسلم في « صحيحه » عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

شروط التوبة

قال الامام النووي في « رياض الصالحين » : قال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب ، فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لاتتعلق بحق آدمي، فلها ثلاثة شروط . أحدها : أن يقلع عن المعصية والثاني : أن يندم على فعلها . والثالث : أن يعزم أن لا يعود اليها أبداً. فان فقد أحد الثلاثة، لم تصح توبته .

وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي ، فشروطها أربعة : هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كانت مالاً أو نحوه ، ردّه اليه ، وان كان حدّ قذف ونحوه ، مكّنه منه أو طلب عفوه . وان كان غيبة ، استحله منها .

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب ، فان تاب من بعضها ، صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب ، وبقي عليه الباقي .

استدراك

وقع في الصفحة (٢١٢) في ترجمة أبي علي الروزباري : محمد بن أحمد ، وهو كذلك في « الأعلام » للزركلي ٦/١٩٩ ، والذي في « طبقات الصوفية » والرسالة القشيرية ، وغيرهما : أحمد بن محمد ، وهو الصواب .

★ ★ ★

قلنا في الصحيفة (٢٢٢) في ترجمة كتاب « الملتقط » : هو لأبي الفضل محمد ابن أبي جعفر المنذري الهروي ، كما في « كشف الظنون » ٢/١٨١٣ .

وللحافظ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، « ملتقط الحكايات » في الزهديات ، ومن المرجح أن يكون المصنف قد قصد هذا لا ذاك .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٨٥	توبة من قتل مائة نفس
٨٧	توبة لص من بني اسرائيل
٨٨	توبة ثلاث بناة من البغايا وغواة قرية
٩٠	توبة صاحب فاحشة
٩١	آخر الجزء الثاني من الأصل المخطوط
٩٢	**أخبار التائبين من أصحاب رسول الله ﷺ**
	توبة أبي خيثمة رضي الله عنه
٩٤	توبة كعب بن مالك رضي الله عنه مع صاحبيه .
١٠٢	توبة أبي لبابة رضي الله عنه
١٠٤	توبة أبي هريرة رضي الله عنه عن فتواه في امرأة زانية
١٠٥	توبة ثعلبة بن عبد الرحمن رضي الله عنه
١٠٨	توبة مالك الرؤاسي رضي الله عنه
١٠٩	توبة غني من أغنياء الصحابة
١١٠	توبة أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه
١١٧	توبة عبد الله بن الزبعرى الشاعر رضي الله عنه
١٢٠	توبة هبار بن الأسود رضي الله عنه
١٢٢	توبة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه
١٢٥	توبة سهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام رضي الله عنهما
١٢٧	توبة الأنصار رضي الله عنهم .
١٢٩	توبة أبي محجن الثقفي رضي الله عنه
١٣٢	توبة طليحة بن خويلد رضي الله عنه .

الصفحة	الموضوع
١٣٥	آخر الجزء الثالث من الأصل المخطوط
١٣٦	**ذكر التوابين من ملوك هذه الأمة**
	توبة ذي الكلاع
١٣٨	توبة أمير وتاجر
١٤٤	توبة ملك من ملوك البصرة
١٤٦	توبة ملك وجارية
١٤٩	توبة أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان
١٥٠	توبة هشام بن عبد الملك
١٥٣	توبة الأمير حميد بن جابر
١٥٥	توبة ابراهيم بن أدهم
١٦٠	توبة شقيق البلخي
١٦٢	توبة عبد الله بن مرزوق
١٦٢	توبة جعفر بن حرب
١٦٤	توبة هارون الرشيد
١٧٠	توبة ابن هارون الرشيد
١٧٤	توبة المأمون
١٨٣	توبة موسى بن محمد بن سليمان الهاشمي
١٩١	توبة جعفر البرمكي
١٩٢	توبة جارية من بنات الكبار على يد أبي شعيب البراثي
١٩٤	توبة الواثق بالله وابنه المهتدي بالله
١٩٩	آخر الجزء الرابع من الأصل المخطوط